

# النساء الرساليات



# سلسلة المعارف التعليمية

## النساء الرساليات

دروس في سيرة حياة نساء الطهر والكمال  
من أم موسى عليها السلام إلى السيدة نسيبة بنت كعب



دار المعارف الإسلامية الثقافية

---

الكتاب: النساء الرّساليّات  
إعداد: مركز المعارف للمناهج و المتون التعليميّة  
إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية

تصميم وطباعة: DB UH  
009613336218

الطبعة الأولى - 2019م

---

ISBN 978-614-467-119-1

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 76 960 347

# سلسلة المعارف التعليمية

## النساء الرساليّات

دروس في سيرة حياة نساء الطهر والكمال  
من أمّ موسى عليها السلام إلى السيّدة نسيبة بنت كعب



دار المقارب الإسلامية الثقافية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## الفهرس

- الدرس الأول: أم النبي موسى ﷺ بين الحمل والولادة..... 9
- الدرس الثاني: أم موسى ﷺ والوعد الإلهي ..... 21
- الدرس الثالث: السيِّدة آسية والنبي موسى ﷺ ..... 33
- الدرس الرابع: السيِّدة آسية ءعليها السلام من الإيمان إلى الشهادة..... 45
- الدرس الخامس: السيِّدة مريم ءعليها السلام ووالداها..... 59
- الدرس السادس: حياة السيِّدة مريم ءعليها السلام ..... 71
- الدرس السابع: سيِّدة الأمهات، السيِّدة آمنة ءعليها السلام أم النبي الأعظم ﷺ ..... 85
- الدرس الثامن: زواج السيِّدة آمنة ءعليها السلام ..... 97
- الدرس التاسع: السيِّدة آمنة ءعليها السلام تصبح أمًا ..... 109
- الدرس العاشر: السيِّدة آمنة ءعليها السلام من ولادة النبي ﷺ إلى وفاتها ..... 121
- الدرس الحادي عشر: وقفة مع السيِّدة آمنة ءعليها السلام ..... 141
- الدرس الثاني عشر: السيِّدة فاطمة بنت أسد ءعليها السلام من نشأتها إلى زواجها..... 153
- الدرس الثالث عشر: السيِّدة فاطمة بنت أسد ءعليها السلام بين رعاية النبي ﷺ وولادة الأمير ﷺ ..... 165
- الدرس الرابع عشر: فاطمة بنت أسد ءعليها السلام بين مكة والمدينة ..... 175
- الدرس الخامس عشر: وفاة السيِّدة فاطمة بنت أسد ءعليها السلام ..... 187
- الدرس السادس عشر: أصول السيِّدة خديجة ءعليها السلام ونشأتها ..... 197

- 207 **الدرس السابع عشر:** السيِّدة خديجة عليها السلام والنبي صلى الله عليه وآله: بين التجارة والخطوبة
- 221 **الدرس الثامن عشر:** شبهات وردود حول زواج النبي صلى الله عليه وآله والسيِّدة خديجة عليها السلام .....
- 231 **الدرس التاسع عشر:** السيِّدة خديجة عليها السلام من الزواج إلى الاسلام .....
- 241 **الدرس العشرون:** خصائص السيِّدة خديجة عليها السلام .....
- 251 **الدرس الحادي والعشرون:** السيِّدة خديجة عليها السلام والدعوة إلى الاسلام .....
- الدرس الثاني والعشرون: السيِّدة خديجة عليها السلام من ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام إلى الوفاة .....
- 263 .....
- 277 **الدرس الثالث والعشرون:** السيِّدة خديجة عليها السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله: حبَّ خالد .....
- 289 **الدرس الرابع والعشرون:** السيِّدة نسيبة بنت كعب (1) .....
- 301 **الدرس الخامس والعشرون:** السيِّدة نسيبة (2) .....

## المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، باريّ الخلائق أجمعين، له الحمد، والحمد حقّه كما يستحقّه، وصلى الله على من لا نبيّ بعده، سيّدنا ومولانا رسول الله محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين الهادين المهديّين، وبعد:

نحن بصدد الحديث عن الأمومة الخالدة، التي عناها بكلماته الابن البارّ الرحيم رسول الله محمّد ﷺ، وذلك عندما قال وقوله الحق: «الزم رجلها فثمّ الجنة»<sup>(1)</sup>، أي أنّ «الجنة تحت أقدام الأمّهات»<sup>(2)</sup>.

ومما يحسن الإشارة إليه في هذا الموضوع أنّ هناك مقولة متداولة نسمعها كثيراً مفادها أن «وراء كلّ رجلٍ عظيم امرأة»، إلّا أنّنا نوّكد بعد دراستنا لسيرّ نساء الرسالة أنّ تلك الكلمة ما هي إلّا مقولة قاصرة ورثناها من الغرب الذي يتشدّق بالفضيلة وحقوق المرأة، وهي بعد مقولة مجحفة بحقّ المرأة. فالمقولة التي نراها صحيحة من الناحية التاريخية هي «وراء كلّ أمة عظيمة امرأة». ونحن هنا لا نجمال النساء على حساب الرجال، وإنّما نوّكد على استنتاجٍ توصلنا إليه من خلال دراستنا لأحداث ومجريات

---

(1) محمد بن ماجة القزويني، ج4، ص325، حديث 2781، طبعة:1، دار الجيل، وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج2، ص114، كتاب الجهاد، وأحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، ج2، ص401، حديث 18288، طبعة:1، حيدر آباد.

(2) وهذا المعنى من الاستعارة في الحديث كثير، كقوله عائذ المریض في مخارف الجنة، والجنة تحت بارقة السيوف، أي أنّ هذه الأشياء تؤدّي إلى الجنة، يراجع محمد بن مكرم بن منظور الأفریقي المصري، لسان العرب، ج8، ص33، طبعة:3، دار الفكر، بيروت.



التاريخ، فلولا وجود نساء عظيمات مثل السيدتين أمّ كلثوم بنت أمّ المؤمنين، وآسية بنت مزاحم ؑ لافتقدت أمة نبيّ الله يعقوب ؑ أساس قيامتها في عهد حكم الطاغية فرعون، ولولا العذراء مريم ؑ لما كان في ذلك الزمان وعاء يصلح لأن يحوي فيه روح الله وكلمته، ولولا وجود السيدة آمنة بنت وهب وفاطمة بنت أسد، وأمنا الكبرى خديجة ؑ لما قامت أمة الإسلام! وكذلك لولا الطهر البتول فاطمة بنت محمد ﷺ، وابنتها العقيلة زينب ؑ لما كان هناك أمل لأهل الإيمان بأن تُملأ الأرض قسطاً وعدلاً ولو بعد حين. فالمرأة في الرسالات الإلهية هي كلّ المجتمع، وليس نصفه كما يزعم بعض الناس.

نحن في هذا الكتاب النساء الرساليات على موعد مع تراجم لشخصياتٍ من النساء العظيمات؛ اللائي يعجز القلم وصاحبه عن وصفهنّ، وقد قدّمهنّ القرآن الكريم والسنة النبوية أسوةً حسنةً وقدوةً عظيمةً لكلِّ امرأةٍ ترجو الله واليوم الآخر. وإنّ القيمة الإضافية لهذا الكتاب أنّه عمل علميّ ناتج عن جهود بحثية وتحقيقية مركّزة، ومستفاد من كتب الحديث والتفاسير، والمصادر التاريخية، وغيرها من أمهات الكتب.

والحمد لله ربّ العالمين

مركز المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية

## الدرس الأول:

# أمّ النبيّ موسىّ ﷺ بين الحمل والولادة

## أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى البلاء العظيم الذي حلّ ببني اسرائيل قبل ولادة موسى ﷺ.
- أن يشرح حال أمّ موسى أثناء حملها.
- أن يبيّن حادثة ولادة أمّ النبيّ موسى ﷺ لوليدها العظيم.



## تمهيد

من سنن الله الجارية في الأمم والشعوب والدول أنه إذا أراد شيئاً هياً له أسبابه، وأتى به شيئاً فشيئاً. فعندما يصل الظلم إلى أقصى منتهاه، والاستضعاف إلى أسفل نقطة ممكنة، تكون تلك بإذن الله نقطة بداية التمكين للمستضعفين من عباد الله.

فهزيمة أعظم طاغوت عرفته البشرية، وضربت بظلمه الأمثال، بدأت بامرأة كان يحدث ظاهرها بأنها امرأة ضعيفة فقيرة تسكن في بيت صغير على ضفاف نهر النيل، بينما تُنبئ حقيقتها أنها امرأة من زمرة أولياء الله الذين شاء لهم الحق سبحانه وتعالى العظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض. تلك الولية المخلصة اختارها الله وهياًها لتهدي الحياة ربيعها الأخضر متمثلاً في بشرٍ رسولٍ، وتكون بالتالي أمّ نبيٍّ من أعظم أنبياء الله عزَّ وجلَّ، وتعطي من خلال ذلك أروع صورة حية وامضة لكل ما في الأمومة من نداوة الحب، وخصب العاطفة، وأثر الحنان، وإثراء الوجدان، وبسالة الإصرار.

إنها أمّ كلیم الله موسى عليه السلام، وعنهما تحدّث القرآن، ولم يحدثنا عن والد النبيّ موسى عليه السلام، وإنما يخصُّ بالذكر أمّه الطاهرة لأنها كانت بطلة الموقف المختارة لإنفاذ مشيئة الله عزَّ وجلَّ في رفع الله العذاب عن بني إسرائيل ونجاتهم من الكرب العظيم، وإنزال الهزيمة بأكبر قوة إجرامية حكمت مصر على مرّ التاريخ.

## من نبيّ موسى وفرعون

قال الله العظيم في محكم كتابه: ﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ ﴿٣﴾ مِنْ نَبِيّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٢﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٣﴾<sup>(1)</sup>.

في الآيات الكريمة تصوير الظرف الذي ولد فيه نبي الله موسى عليه السلام، وقد أهدت به كل أسباب الفناء، حيث «كان ظرف علو فرعون، وتفريقه بين الناس واستضعافه لبني إسرائيل استضعافاً بيدهم ويفنيهم. والحال أن الله عزت آلاؤه يريد أن يُنعم على هؤلاء الذين استضعفوا من كل وجه، نعمةً تثقلهم وذلك بأن يجعلهم أئمةً يُقتدى بهم... ويُرى فرعون، وهو ملك مصر، وهامان وهو وزيره، وجنودهما منهم، أي من هؤلاء الذين استضعفوا، ما كانوا يحذرون، وهو أن يظهروا عليهم فيذهبوا بملكهم ومالهم وستتهم. إن هذا الظرف الهائل قضى على بني إسرائيل أن لا يعيش منهم مُتنفِّسٌ، وقد أحاطت بهم قدرة فرعون الطاغية وملاً أقطار وجودهم رعبه وهو يستضعفهم حتى يقضي عليهم بالإبادة. هذا ظاهر الأمر وفي باطنه الإرادة الإلهية تعلقت بأن تنجيهم منهم، وتحول ثقل النعمة من آل فرعون الأقوياء العالين إلى بني إسرائيل الأذلاء المستضعفين وتبدل من الأسباب ما كان على بني إسرائيل لهم، وما كان لآل فرعون عليهم، والله يحكم لا معقب لحكمه»<sup>(2)</sup>.

### موسى عليه السلام بشارة يوسف عليه السلام

إنَّ البلاء قد يقع على الأفراد والجماعات، ولكنهم يتفاوتون في درجاته، لكنَّ البلاء الذي وقع على بني إسرائيل كان بلاءً عاماً قد تساوى جميعهم في درجاته. والحقُّ أن ذلك من أعظم البلاء، فقد قال الله - تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة القصص، الآيات 1-6.

(2) العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، سورة القصص، الآيات 1-14.

(3) سورة البقرة، الآية 49.

وكان نبيُّ الله يوسف بن يعقوب ﷺ قد أخبر بني إسرائيل بذلك من قبل أن يصيبهم هذا البلاء العظيم، ففي حديث طويل مروى عن الإمام عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا حَضَرَتْ يَوْسُفَ ﷺ الْوَفَاةَ جَمَعَ شِيعَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ حَدَّثَهُمْ بِشَدَّةِ تَنَالِهِمْ، يُقْتَلُ فِيهَا الرِّجَالُ، وَتُشَقُّ بَطُونُ الْحِبَالِ، وَتُدْبَحُ الْأَطْفَالُ حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ فِي الْقَائِمِ مِنْ وَلَدِ لَأْوِي بْنِ يَعْقُوبَ ﷺ...»<sup>(1)</sup>.

وعن الإمام الصادق ﷺ<sup>(2)</sup> قال: «... اسْمُهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ، غُلَامٌ طَوَالَ جَعْدِ آدَمَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَسْمِي ابْنَهُ عِمْرَانَ وَيَسْمِي عِمْرَانَ ابْنَهُ مُوسَى»<sup>(3)</sup>.

### والدة النبي موسى ﷺ وأولادها

اختلف المفسرون والمؤرخون في اسم السيدة أم نبيِّ الله موسى ﷺ، فذكر أنَّ اسمها ﷺ: «يحيى ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم ﷺ»<sup>(4)</sup>، وذكر أنَّ اسمها «أباحثة»<sup>(5)</sup> و«يوخابد»<sup>(6)</sup>، وقيل «يوكابد» بكافٍ بدل الخاء، وبدالٍ مهملةٍ بدل المعجمة والنطق بالكاف مفخماً، ومعناه بالعربية جليلة»<sup>(7)</sup>. وروى عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «اسم أم موسى وهارون ﷺ صافية»<sup>(8)</sup>.

- (1) الشيخ الصدوق محمد بن عليّ بن بابويه القمي، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص145، باب: في غيبة موسى ﷺ، طبعة:2، دار الإسلام، طهران.
- (2) عن ابن شبرمة قال: ما ذكرت حديثاً سمعته عن جعفر بن محمد ﷺ إلا كاد أن يتصدّع قلبي، قال: حدّثني أبي عن جدّي عن رسول الله ﷺ، قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جدّه ولا جدّه على رسول الله ﷺ، يراجع أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج1، ص206، طبعة:2، دار الكتب الإسلامية، قم.
- (3) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص147، ورواه الفقيه المحدث قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء ﷺ، ص148، طبعة:1، مركز الدراسات الإسلامية، مشهد.
- (4) محمد بن جرير الآملي الطبري، تاريخ الأمم والرسول والملوك، ج1، ص231، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (5) ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم، المعارف، ص20، طبعة:2، دار المعارف، مصر.
- (6) عليّ بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، ج1، ص150، طبعة:1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (7) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج2، ص266، طبعة:2، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.
- (8) أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، مقتل الحسين ﷺ، ص53، الفصل الثاني، طبعة: دار الهدى، قم، رواه بسند ضعّف بعض رجال إسناده، والأثر النبوي وإن ضعّف بعض رجال سنده إلا أنّ مراعاة مضمونه أحب إلى العلماء وأهل الإيمان من القول بالرأي.

أما أولادها فهم: كلثم بنت عمران، وهي الشقيقة الكبرى للبيّن العظيمين موسى وهارون عليهما السلام. وقد جاء عن النبي الأكرم ﷺ: «كلثم بنت عمران أخت موسى وهارون التي قالت لها صافية: ﴿قُصِيَهُ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾»<sup>(1)</sup>. أخبرني جبرائيل أنّ - كلثمة - من أستر نساء العالمين، وأشدهنّ حياءً، ماتت عذراء لحيائها وعبادتها»<sup>(2)</sup>.

وهارون بن عمران، وهو نبّي عظيمٌ من أنبياء الله الكرام، وُلد في عام ترك قتل الأبناء، وأرسله الله تعالى مع الكليم موسى عليهما السلام فكان نعم الأخ الصالح، والنبّي المؤازر، والوزير المؤمن، والمعين بالرأي والبدن على تبليغ رسالة الله تعالى إلى خلقه. وكان شريك النبي موسى عليهما السلام في الدعوة، والركن الآخر فيها، ولعظيم منزلته عند الله وعند النبي الكليم موسى بن عمران عليهما السلام ولكثرة أوجه الشبه بينه وبين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام قال رسول الله محمد ﷺ للامام عليّ عليهما السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبّي بعدي»<sup>(3)</sup>.

ثمّ كليم الله موسى بن عمران عليهما السلام، وهو ثالث أولي العزم من رسل الله الكرام. وقد اعتنى القرآن الكريم بذكر قصّته اعتناءً كبيراً لما في قصّة هذا النبي الكريم من دروسٍ عظيمة، وعبر جليّة، خصوصاً مع ما واجهه في سبيل الدعوة إلى الله. فإنّ في ذلك من العبر والفوائد ممّا يضيّق المقام عن حصره، غير أنّ جانب الصبر في دعوته ظاهرٌ بارزٌ، بالإضافة إلى أن هذا النبي العظيم كان كإخوانه الرسل الكرام محلاًّ للعناية الإلهية التي ترفد مظاهرها الخلائق بأعظم روافد الإيمان.

## بلاء بني إسرائيل العظيم

لم يبال فرعون بأيّ شيءٍ سوى ما يتعلّق بملكه والحفاظ عليه، فقتل أولاد بني إسرائيل

(1) سورة القصص، الآية 11.

(2) أخطب خوارزم، مقتل الحسين عليهما السلام، ص 53، الفصل الثاني.

(3) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج 4، ص 1870، باب من فضائل علي بن أبي طالب، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

دون رحمةٍ أو شفقةٍ، فقد كان جنده ينظرون كلَّ امرأةٍ حاملٍ، فإذا وضعت حملها، فإن كان ذكراً ذبحوه، وإن كان أنثى خلّوا عنها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَذِجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

وسعى فرعون سعيه في كسر شوكتهم حتى لا يكون لهم قوّة من رجال قبيلتهم، واستحيا<sup>(2)</sup> نساء بني إسرائيل إهانةً واحتقاراً لهم، وكان يسومهم سوء العذاب والنكال، وهو مع ذلك يخافهم على نفسه ومُلْكه، فيتعقّب نسلهم من الذكور خوفاً من أن يخرج الغلام الموعود الذي يكون سبب هلاكه على يديه، فعن الإمام الصادق ﷺ، قال: «فلم يزل - فرعون - يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قُتل في طلبه نيف وعشرون ألف مولود، وتعدّز عليه الوصول إلى قتل موسى ﷺ بحفظ الله تعالى إياه»<sup>(3)</sup>.

وفي وصف هذا الحال ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «ما خرج موسى ﷺ حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل كلهم يدّعي أنه موسى بن عمران، فبلغ فرعون أنهم يُرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرتة: إن هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل، فوضع القوابل على النساء، وقال: لا يولد العام ولدٌ إلا ذُبِح»<sup>(4)</sup>.

### حال أم موسى وحملها به ﷺ

قال الإمام الباقر ﷺ: «فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيا النساء هلكننا، فلم نبق، فتعالوا لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى ﷺ: بل باشروهنّ فإنّ أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهم من حرّمه فإنّي لا أحرّمه، ومن

(1) سورة البقرة، الآية 49.

(2) أي يستبقى على حياة الإناث من الأطفال للاسترقاق والاستخدام، وكانوا يفردون النساء عن الأزواج، وذلك من أعظم المضار والابتلاء إذ الهلاك أسهل من هذا.

(3) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ص 169، طبعة: 1، دار المعارف الإسلامية، قم، إيران.

(4) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج 1، ص 147، وقطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء ﷺ، ص 148.



تركه فأني لا أتركه، ووقع على أم موسى فحملت، فَوُضِعَ على أم موسى قابلةً تحرسها، فإذا قامت قامت، وإذا قعدت قعدت...»<sup>(1)</sup>.

ولحكمة يريدتها الله تعالى لم تظهر على زوجة عمران علامات الحمل بنبي الله موسى ﷺ، كما هو حال غيرها من النساء، ولم تفتن لها القابلة التي وُكِّلت بمراقبتها. وفي هذا الشأن العظيم يطالعنا الحديث المنقول عن الإمام الباقر ﷺ: «لَمَّا حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعها له»<sup>(2)</sup>.

كذلك روت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عن الإمام العسكري ﷺ أن مَثَلُ والدة الإمام المهدي ﷺ في حملة: «مثل أم موسى ﷺ لم يظهر بها الحمل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبال في طلب موسى ﷺ...»<sup>(3)</sup>.

ويقول الإمام الباقر ﷺ: «فلما حملته أمه وقعت عليها المحبة، وكذلك حجج الله على خلقه، فقالت لها القابلة: ما لك يا بنت تصفرين وتذوبين؟ فقالت: لا تلوميني فأني إذا ولدت أخذ ولدي فذبح، قالت: فلا تحزني فأني سوف أكرم عليك، فلم تصدقها...»<sup>(4)</sup>.

### أم موسى والمولود المبارك

يعجز اللسان عن التعبير، والقلم عن الكتابة، في وصف حال تلك الأم الحنون، وهي حائرة قلقة وملهوفة خائفة على ولدها من بطش عدو الله فرعون وجنوده الظلمة، ولذلك نكتفي بإيراد بضع روايات تكشف عن جميل بلائها وجيل عنائها.

ومن تلكم الروايات: «أنَّ أمَّ موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلة من القوابل التي وكلهنَّ فرعون بحبال بني إسرائيل مصافية لأمِّ موسى، فلما ضربها الطلق أرسلت إليها،

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص147، ورواه الفقيه المحدث قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء ﷺ، ص148-149، بسنده عن الإمام الصادق ﷺ.

(2) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسير القمي، سورة القصص، ج2، ص135، طبعة:3، دار الكتاب، قم.

(3) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج2، ص427.

(4) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص148، وقطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء ﷺ، ص149.

فقال: قد نزل بي ما نزل، ولينفعني حبك إياي اليوم، قال: فعالجت قبالتها، فلما أن وقع موسى ﷺ على الأرض هالها نورٌ بين عيني موسى، فارتعش كل مفصلٍ منها، ودخل حب موسى في قلبها، ثم قالت لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل مولودك وإخبار فرعون، ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت حب شيءٍ مثل حبه، فاحفظي ابنك، فإنني أراه هو عدونا»<sup>(1)</sup>.

وروي عن الإمام الباقر ﷺ قال: «فلما وضعت أم موسى بموسى ﷺ نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت»<sup>(2)</sup>، وقالت يُذبح الساعة، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفرّ لونك؟ فقالت: أخاف أن يُذبح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحدٌ إلا أحبه، وهو قول الله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةَ مَنَى﴾، فأحبه القبطية الموكلة به»<sup>(3)</sup>.

وقال الإمام الصادق ﷺ: «ثم حملته، فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثم خرجت إلى الحرس وكانوا على الباب، فقالت: انصرفوا، فإنما خرج دمٌ مقطّع، فانصرفوا»<sup>(4)</sup>. في ظل تلك الأوضاع القاسية والخطر المحدق ولد كليم الله موسى بن عمران ﷺ، والموت يتلفّت عليه، وأمه تخاف عليه القتل وتحاول إخفائه عن العيون التي تراقب وتلاحق، فلما ضاقت عليها الأرض بما رحبت تداركتها رحمة الله تعالى، وفي ذلك يقول

(1) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج7، ص234، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وشمس الدين القرطبي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ج13، ص251، الطبعة:2، دار الكتب المصرية، القاهرة، ومحمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج6، ص191، طبعة:4، دار طيبة للنشر والتوزيع، وجمادى الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تفسير الكشاف، ج3، ص393، طبعة:3، دار الكتاب العربي، بيروت، والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج13، ص53، طبعة:2، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(2) قدم عامر بن وائلة الكنانيّ الليثيّ يوماً على معاوية، فقال له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟-أمير المؤمنين علي ﷺ - قال عامر: كوجد أم موسى على موسى، وأشكو إلى الله التقصير، يراجع ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص1697، طبعة:1، دار الجيل.

(3) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسير القمي، سورة القصص، ج2، ص135، بسنده عن الإمام أبو جعفر الباقر ﷺ.

(4) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص148، بسنده عن الإمام الباقر ﷺ، ورواه قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء ﷺ، ص149، بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق ﷺ.

سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

وفي طيات الحديث عن أم النبي الكريم يدخل في سرد قصة موسى وفرعون، ويتحدث بالخصوص عن مراحل يكون فيها نبي الله موسى وأمه العظيمة في أشد حالات الضعف، وذلك من أجل رسم مَثَلٍ حيٍّ لانتصار المستضعفين على المستكبرين، وإحياءً لسنة الله في عباده الصالحين.

(1) سورة القصص، الآية 7.

## المفاهيم الأساسية

- حملت أمّ النبي موسى ﷺ بولدها في ظروف قاسية للغاية، حيث استحكّم ظلم فرعون لبني إسرائيل وغدا يقتل الرجال والأولاد ويُبقي النساء على قيد الحياة من أجل الخدمة، وذلك بعد أن تتالت عليه الأخبار بأنّه سيولد طفل لبني إسرائيل يكون هلاك ملكه على يديه.
- حين وافت المنية النبي يوسف ﷺ جمع وأهل بيته وأخبرهم بالذي سيحصل على بني إسرائيل وأنّ إنقاذهم سيكون على يد نبي اسمه موسى.
- اختلف والمؤرخون في اسم السيدة أمّ نبيّ الله موسى ﷺ على أسماء متعدّدة.
- كان لأمّ النبي موسى ﷺ ثلاثة أولاد، أكبرهم كلثم، ماتت عذراء لحياثها وعبادتها، ثم هارون النبيّ والذي كان أخًا وعضدًا ووزيرًا لموسى ﷺ، ثمّ موسى ﷺ، ثالث أولي العزم من الرسل.
- سعى فرعون سعيه في كسر شوكة بني إسرائيل حتّى لا يكون لهم قوّة من رجال قبيلتهم، وكان يسومهم سوء العذاب والنكال، وهو مع ذلك يخافهم على نفسه ومملكه، فيتعقّب نسلهم من الذكور خوفًا من أن يخرج الغلام الموعود.
- أوكّل فرعون بنساء بني إسرائيل الحوامل قوابل يأتينه بأخبارهنّ وأخبار مواليدهنّ وحملهنّ في محاولةٍ منه لإبادة كلّ مولود جديد، فشاء الله أن تحمل أمّ النبيّ موسى ﷺ به دون أن يظهر عليها شيء من علامات الحمل إلّا وقت الولادة، وقد سلم موسى ﷺ إثر هذا التدبير الإلهي من القتل وهو جنين في بطن أمه ﷺ.
- ألقي في قلب قابلة أمّ موسى ﷺ محبة لها ولمولودها، ولما قربت ولادتها، أرسلت إليها، ثمّ وُلد موسى ﷺ، فأخفت أمره عن جلاوزة فرعون وأنقذت حياته.
- كانت أمّ موسى ﷺ تعيش الهمّ والحزن على ولدها وتخاف عليه القتل والذبح كلّ ساعة، وأبقت أمره في خفاء حتّى جاءها الوحي الإلهي بالقائه في اليمّ.



## الدرس الثاني:

# أمّ موسى عليه السلام والوعد الإلهي

### أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى حادثة أمّ النبيّ موسى عليه السلام مع الوحي.
- أن يبيّن الأحداث التي تلت الوحي؛ من الإلقاء في اليمّ إلى إنجاز الوعد الإلهي في حقّها.
- أن يتعرّف إلى أهمّ صفتين اتّصفت بهما أمّ موسى عليه السلام وهما الثقة بالله والتوكّل.



## تمهيد

إنَّ اصطفاء الله تعالى لخيرة خلقه من عباده سنَّة إلهية بدأت مع أبي البشر الصفيِّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد وصف الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ طرفاً من الأحوال التي مرَّ بها أنبياء الله تعالى ورسله الكرام، فقال: «فَاسْتَوْدَعَهُمْ (الله) فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخْتَهُمْ كَرَائِمِ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ»<sup>(1)</sup>.

وقد رسم القرآن الكريم نموذجاً لامرأة من مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ نقيّات الجيوب، ورفع الله قدرها لما انتخبها لتكون والدة لثالث أولي العزم من رسله الكرام، ثمَّ اختصّها من بين نساء العالمين في ذلك الزمان، فأكرمها بأن أوحى إليها، وربط على قلبها ما سارعت لتلبية أمر ربّها، والتصديق بكلمات بارئها، ثمَّ جعلها من الداخلين في سنن الاصطفاء الإلهيِّ الحاصل في بيوتات الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

## ما تلا مولد الكليم

بعد مولد كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حصلت جملةً من الحوادث التي تؤكِّد أنَّ هذا المولود العظيم ووالدته الطاهرة كانا محلّاً للعناية الإلهية، ومنها ما روي عن ابن عبّاس حيث قال: «فلما خرجت القابلة من عندها (أمّ موسى) أبصرها بعض العيون، فجاها إلى بابها ليدخلوا على أمّ موسى، فقالت أخته: يا أمّاه هذا الحرس بالباب، فلفت موسى في خرقة، فوضعتة في التّور وهو مسجور، فطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التّور مسجور، ورؤوا أمّ موسى لم يتغيّر لها لون، ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي، فدخلت عليّ زائرة، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها،

(1) مجموع ما اختاره الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي، من كلام سيّدنا أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، نهج البلاغة، ج1، ص185، شرح الشيخ محمد عبده، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.



فقال لأخت موسى: فأين الصبي؟

قالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور، فانطلقت إليه، وقد جعل الله سبحانه النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته»<sup>(1)</sup>.

## الوحي إلى أم موسى

إِنَّ السَّيِّدَةَ أُمَّ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمَّا رَأَتْ إِلْحَاحَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ فِي طَلْبِ وَلَدَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلذَّبْحِ خَافَتْ عَلَى ابْنِهَا وَفَلَذَتْ كَبْدَهَا، وَقَدْ كَانَ مِنْ «وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا»<sup>(2)</sup> أَنْ أَمْرَهَا سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فتلقت هذه المرأة العظيمة سلام الله عليها هذا الإيحاء المطمئن المبشر المثبت، ونزل على قلبها الواجب المحروق برداً وسلاماً، ولا يذكر لنا السياق القرآني كيف تلقت أم النبي الكريم هذا الوحي العظيم إلا أن قبولها له وعملها به يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك عمق معرفتها بعصمة القناة التي كان من خلالها هذا الوحي الإلهي.

وفي رواية عن الامام الباقر ﷺ، قال: «وأنزل الله على موسى التابوت»<sup>(4)</sup>، ونوديت

(1) الثعلبي، الكشف والبيان، ج7، ص234، والقرطبي، تفسير القرطبي، ج13، ص251، والبغوي، تفسير البغوي، ج6، ص191، والزمخشري، تفسير الكشاف، ج3، ص393، والعلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج13، ص53، وغيرهم.  
(2) أكثر ما وردت كلمة (وحي) في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاة من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من أصناف العلم والهداية بطرق عدّة منها الرؤيا الصادقة ومنها الإلهام، ولا ريب أن اطمئنان أم نبي الله موسى ﷺ بالوحي المذكور في هذه الآية دليل على عظيم مقامها وسمو مكانتها...  
(3) سورة القصص، الآية 7.

(4) تابوت بني إسرائيل أو صندوق العهد؟ من آيات القرآن الكريم النازلة فيه قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَنُوحٌ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم مِّن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وفي تفاسيرنا وأحاديثنا، وكذلك في العهد القديم كلاماً كثيراً عنه. إلا أن أوضحها هو ما جاءنا في أحاديث أهل البيت ﷺ وأقوال بعض المفسرين من أمثال ابن عباس، حيث قالوا إن التابوت هو الذي وضعت فيه أم موسى ابناً موسى وألقته في اليم، وبعد أن التقط آل فرعون التابوت من البحر وأتوا به إليه وأخرجوا موسى منه، ظل التابوت في بيت فرعون ثم وقع بأيدي بني إسرائيل، فكانوا يحترمونهم ويتبركون به، وإن موسى ﷺ وضع فيه الألواح المقدسة التي تحمل على ظهرها أحكام الله، ودرع موسى وأشياء أخرى تخصه، وأودع كل ذلك في أواخر عمره لدى وصيه يوشع بن نون، وبهذا ازدادت قيمة التابوت عند بني إسرائيل، فكانوا يحملونه معهم كلما نشبت حرب بينهم وبين الأعداء، لذلك قيل: إن بني إسرائيل كانوا أعرّة كرماء ما دام ذلك التابوت بمحتوياته المقدسة بينهم... وفي الحقيقة أن هذا التابوت كان أكثر من مجرد لواء لبني إسرائيل وشعار لهم. كان يمثل رمز استقلالهم ووجودهم وبرؤيته كانوا يسترجعون ذكرى عظمتهم السابقة»- بتصرف- نقلًا عن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص223، تفسير سورة البقرة، الآية 248، طبعة: قسم الترجمة والنشر لمدرسة الامام أمير المؤمنين ﷺ.

أمه ضعيه في التابوت، فاقدفيه في اليمِّ، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(1)</sup>، فوضعت في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل»<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «دفعته في اليمِّ، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر، وإنَّ الريح ضربته فانطلقت به...»<sup>(3)</sup>. وجعل الله سبحانه وتعالى موج البحر لذلك الرضيع العظيم مستراحاً ومأمناً كما جعل من النار لجدّه الخليل إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً.

### بشائر الله لأم موسى عليها السلام

كان من خطاب الله سبحانه لأم نبيِّ الله موسى عليه السلام: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(4)</sup>. وإنَّ المتدبّر للنصّ القرآني يلاحظ أنّ الله عزّت آلاؤه بعد أن نهى أم نبيِّ الله موسى عليه السلام عن الخوف والحزن ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾، فقد أراد سبحانه طمأننتها أكثر، وذلك من خلال المبشّرات التي أعقبت النهي لتقوية قلبها، وإزالة خوفها وحزنها، فكانت البشارة الأولى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾، لأنّ ذهاب موسى عليه السلام من حضنها كان الهمّ الأكبر الذي يشغل بالها.

والبشارة الثانية هي البشارة بمستقبله عليه السلام بأنّه سيكون من الأنبياء المرسلين. ودلّت هذه الآية المباركة كذلك على التحديّ الإلهي لكلّ قوّة فرعون وقدرته وجبروته، ومن خلال طفل رضيع سيجعله الله سبحانه يقتحم كلّ حصون فرعون وقومه الخاطئين، ليجسّد انتصار مشيئة الله على إرادة الجبابرة العتاة في أعلى الصور وأحسن الوجوه.

ويظهر من خلال الآيات القرآنية: أنّ الله عزّت آلاؤه أوحى إلى أم نبيِّ الله موسى بأنّ تُرضعه، فإذا خافت عليه، فما عليها إلا أن ترميه في اليمِّ، فالله سبحانه لا يكلف نفساً إلاّ وسعها، وعلى أهل الإيمان أن يبذلوا جهدهم، وهو إن كان قليلاً، فإنّ الله تعالى سوف يبارك فيه، وسوف يهيئ من الأسباب التي يمكن بها لدينه الذي ارتضى.

(1) سورة القصص، الآية 7.

(2) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسير القمي، سورة القصص، ج 2، ص 135، بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(3) قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، ص 149، بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام.

(4) سورة القصص، الآية 7.

## عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْطَابِ

من الملاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى أمر أمّ نبيّ الله موسى ﷺ بأمر عكس ما هو جارٍ في الأسباب العادية. فإنّ

إلقاء الرضيع في النهر أو البحر شيءٌ خطيرٌ ومستنكر، لأنّ ذلك سيعرّضه للموت غرقاً، وهذا خلاف القاعدة المتبعة التي يستخدمها الناس للمحافظة على أطفالهم، ولكن لأنّ لله سبحانه بما أمر أمّ موسى ﷺ إرادةً وحكمةً ومشيةً، وهو: ﴿خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

فقد أمر تلك السيّدة العظيمة بأن تفعل ما هو عادةً من أسباب الهلاك، لأنّه يريد بحكمته من إلقاء موسى ﷺ أن يذهب به إلى بيت الطاغية فرعون ليتربّى فيه ويكبر، ويحصل ما كان يحذر منه فرعون وهامان وجنودهما.

وبالفعل فقد أوتي فرعون من قبل امرأته السيّدة آسيا بنت مزاحم ﷺ، التي تولّت تربية نبيّ الله موسى في حجر فرعون؛ ليكون هلاكه بعد ذلك على يده، وما كان على أمّ نبيّ الله موسى ﷺ إلا أن تمتثل لأمر الله، ففعلت ﷻ ما أمرها به، ولم تشكّ ولم تُخالِف، ولا تردّدت في إنفاذ أمر الله، مع أنّ الحالة تُؤذّن بالهلاك، فأكرمها الله بأن جعل التابوت -الذي هو رمز من رموز الموت- وسيلةً لحياة رضيعها العظيم، وجعل عنصر الإغراق في الماء عنصر نجاةً لنبيّه الكليم ﷺ. ومن تأمل قول الله لأُمّ موسى ﷺ: ﴿فَإِذَا خُفِتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله سبحانه في بيان عاقبة فرعون: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾<sup>(3)</sup>، فسيجد أنّ «اليم» كان موضعاً مشتركاً بين موسى وفرعون، مع اختلاف الحال والخاتمة، فموسى ﷺ كان في غاية الضعف، واليمّ لم يضرّه، وأمّا الطاغية فرعون، فقد كان في أقوى حالاته وأكثرها اقتداراً، فغمره اليمّ وكان من المغرقين، بسبب ذلك الوليد الذي جاء جنده يطلبونه ذات يوم ليقتلوه. فلنكن على يقين أنّ من

(1) سورة يوسف، الآية 64.

(2) سورة القصص، الآية 7.

(3) سورة القصص، الآية 40.

كان مع الله سبحانه، فلن يضره ضعفه، ومن لم يكن مع الله، فلن تنفعه قوته مهما بلغت وعظمت.

## فراغ فؤاد أم موسى

لقد كان من وحي الله تعالى لأم النبي موسى ﷺ: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَيُلْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾<sup>(1)</sup>، والحق أنه لولا كمال ثقته بربها لما قذفت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه وجريانه إلى أن يُلقه اليمُّ بالساحل المقابل لقصر فرعون ليلتقطه آل فرعون<sup>(2)</sup>.

﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾<sup>(3)</sup> وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(4)</sup>، هكذا هو مآل كلِّيم الله موسى ﷺ بعد أن التقطه آل فرعون. وأما حال أم نبيِّ الله موسى ﷺ، فقد بينه الله عزت آلاؤه بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِيغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(5)</sup>، وقد اختلف أهل التفسير في بيان حال فراغ فؤاد أم نبي الله موسى ﷺ، فقيل: أي خالياً من الصبر لشدة تهالكها عليه. وقيل: خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وقيل: فارغاً من الاهتمام بموسى لأن الله تعالى وعدّها أن يردّه إليها. وقيل: أنسيناها ذكره حتى احتملت أن تلقي فلذة كبدها في البحر، وهذا لا يقدر عليه بشر إلا بأن يقدره الله عليه، ويؤيد

(1) سورة طه، الآية 39.

(2) الالتقاط: إصابة الشيء وأخذه من غير طلب، ومنه اللقطة، واللام في قوله: «ليكون لهم عدوا وحزنا» للعاقبة - على ما قيل - والحزن بفتح الحين. الحزن بالضم فالسكون بمعنى واحد كالسقم والسقم، المراد بالحزن سبب الحزن، فإطلاق الحزن عليه - مبالغة في سببته لحزنهم، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي: في ما كانوا يفعلونه في أبناء بني إسرائيل وموسى تحذراً من انهدام ملكهم وذهاب سلطانهم بيدهم إرادة لتغيير المقادير عن مجاريها، فقتلوا الجم الغفير من الأبناء ولا شأن لهم في ذلك، وتركوا موسى حيث التقطوه وربوه في حجورهم، وكان هو الذي بيده انقراض دولتهم وزوال ملكهم، يراجع العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، سورة القصص.

(3) سورة القصص، الآيات 8-9.

(4) سورة القصص، الآية 10.

الآخر قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بعد قوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾<sup>(1)</sup>. ويقول العلامة الطباطبائي في تفسيره: «والمراد بفراغ فؤاد أم موسى فراغه وخلوه من الخوف والحزن، وكان لازم ذلك أن لا يتوارد عليه خواطر مشوشة وأوهام متضاربة يضطرب بها القلب، فيأخذها الجزع فتبدي ما كان عليها أن تخفيه من أمر ولدها، وذلك أن ظاهر السياق -يوضح أن سبب عدم إبدائها له فراغ قلبها، وسبب فراغ قلبها الربط على قلبها، وسبب الربط هو قوله تعالى لها فيما أوحى إليها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ إلخ.

وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا﴾ إلخ، ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة أي: إنها قربت من أن تظهر الأمر وتفشي السر لولا أن ثبتنا قلبها بالربط عليه، وقوله: ﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الواثقين بالله في حفظه، فتصبر ولا تجزع عليه فلا يبدو أمره. والمجموع أعني قوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ إلى آخر الآية في مقام البيان لقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا﴾. ومحصل معنى الآية أنه صار قلب أم موسى بسبب وحينا خالياً من الخوف والحزن المؤديين إلى إظهار الأمر، لولا أن ثبتنا قلبها بسبب الوحي لتكون واثقة بحفظ الله له لقربت من أن تظهر أمره لهم بالجزع عليه...»<sup>(2)</sup>.

## المتوكلة على الله

إنّ التوكّل على الله سبحانه وتعالى هو الثقة بوعدده، واليقين بقضائه، وهو الذي يقتضي من الإنسان تحقيق الإيمان والانتماء لله تعالى، وذلك من خلال معرفة الإنسان أنّ الله لا يخلف الميعاد، وأنّ وعده هو الحق لا ريبة فيه، وأنّه هو الذي في قبضته السماوات والأرض ومن فيهنّ. ولأنّ التوكّل على الله أعظم ما تُدفع به الآفات، وأنفع ما تحصل به المطالب صار يُعدّ مفتاح الفرج، فمن توكّل على الله كفاه أموره كلّها، وقد قدّم الله سبحانه لأهل

(1) شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج3، ص220، الطبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، سورة القصص.

الإيمان من خلال السيِّدة العظيمة أم موسى وهارون ﷺ أعظم مثلٍ عالٍ في اليقين، وأسمى المواقف في التوكُّل على الله، وفي الثقة به سبحانه وتفويض الأمر إليه، فإنَّه سبحانه هو الذي ربط على قلبها المبارك<sup>(1)</sup>، ففعلت ما فعلت، ومن خلال جهدها وجهادها ﷺ لفت الباري سبحانه أنظارنا إلى أنَّ العبد - ولو عرف أنَّ القضاء والقدر ووعده الله نافذٌ لا بدَّ منه- فإنَّه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله سبحانه، فإنَّ الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت بالعمل على رده، وأوكلت هذا الدور لابنتها الطاهرة أخت نبيِّ الله موسى ﷺ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِهٖ قُصِيْبِيۙ فَبَصَّرْتِ بِهِۦٓ عَنْ جُنُبٍ وَهُمۡ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُوْنَهُ لَكُمْ وَهُمۡ لَهُ نَصِيحُوْنَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمۡ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿١٣﴾ ۝ (2). فقد كانت بالأمس القريب تخشى على رضيعها من فرعون وملئه، فصارت تُرضع موسى آمنَةً مطمئنَةً، وبأمره ومن الخزينة نفسها التي كان يصرف منها ليقتل موسى ﷺ كان يصرف منها أجر أم موسى مقابل إرضاعه ﷺ وتربيته.

### أم موسى وإنجاز وعد الله جلَّ وعلا

لقد أولى الله سبحانه نبيِّه العظيم موسى بن عمران ﷺ نعماً لا تُحصى ولا تُعدَّ، ومنها أن كتب عليه ألا يرضع إلا من أمه، حتَّى اضطرَّ فرعون، ومن معه، إلى أن يرده إليها، وهم لا يشعرون، وبهذا التدبير الحكيم، واللفظ الخفي، أنجز الله لأم موسى وعده، وأرجع إليها ولدها لينعم بحنانها، ويتمتع بعطفها، وتقرب به عينها ولا تحزن، ولتعلم أنَّ وعد الله حق، وليجعلها سبحانه مثلاً يُستدلُّ به على أن بناء أمَّةٍ بأسرها يبدأ بالمرأة الأم، ومن خلال تضحياتها، فإنَّ العبرة كلُّ العبرة أن تترجم الأخوات الصالحات تلك المواقف العظيمة والسير المجيدة إلى حياةٍ عمليةٍ يتبعن فيها خطوات نساء الرسالة اللواتي بذلن

(1) الإبداء بالشيء إظهاره، والربط على الشيء شدة، وهو كناية عن التثبيت.

(2) سورة القصص، الآيات 11-13.

ما بذلن لنيل مرضاة الله سبحانه، وليعلمن أنّ من المحن تأتي المنح، وأن تحت كلّ مصيبة خيراً لصاحبها، ولا أدل على ذلك من قصة أمّ نبيّ الله موسى عليه السلام، فقد ابتلاها الله تعالى بما ابتلاها به، ثم انقلبت محنتها منحةً وخيراً. فلنكن على يقين أنّ الله عزّت آلاؤه مع أوليائه، وأنه ناصر عباده المؤمنين، كما وعد في مُحكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الصافات، الآيات 171-173.

## المفاهيم الأساسية

- بعد مولد كليم الله موسى عليه السلام حصلت جملة من الحوادث التي تؤكد أنّ هذا المولود العظيم ووالدته الطاهرة كانا محللاً للعناية الإلهية، حيث جاء حرس فرعون في طلبه، فما كان من أمّه إلا أن أخفته في التنور وهو مسجر لكنّ العناية الإلهية سلّمته من كل سوء.
- لما رأت السيدة أم موسى عليها السلام إلحاح فرعون وجنوده في طلب ولدان بني إسرائيل للذبح خافت على ابنها فجاءها الوحي أن إذا خفت عليه فألقيه في اليمّ، وقد كانت على معرفة ويقين بعصمة ذلك الوحي فاستجابت له وأمّثلت الأمر الإلهي.
- دفعت أم موسى وليدها الغالي في اليمّ، فبشرها الوحي وطيب خاطرها بأن ابنها سيُرَدُّ إليها، بل وسيكون من المرسلين.
- بعد أن أخذ اليمّ موسى عليه السلام أصبح فؤاد أم موسى فارغاً من الخوف والحزن بسبب الوحي الذي ربط على قلبها وإلا كادت أن تفشي الأمر وتبديه بسبب الجزع.
- إنّ من توكل على الله كفاه أموره كلّها. وقد قدم الله سبحانه لأهل الإيمان من خلال السيدة العظيمة أم موسى وهارون عليهما السلام أعظم مثلٍ عالٍ في اليقين، وأسمى المواقف في التوكل على الله، وفي الثقة به سبحانه وتفويض الأمر إليه، ففعلت ما فعلت لثقتها برّبها وتوكلها عليه.
- أرسلت السيدة أم موسى ابنتها في إثر موسى، تتبع أخباره ومآله، وكانت هذه الحادثة هي السبب في استدلال آل فرعون على أم موسى بوصفها المرضعة التي ستتولّى أموره.
- أنجز الله لأم موسى وعده، وأرجع إليها ولدها لينعم بحنانها، ويتمتع بعطفها، وتقرّ به عينها ولا تحزن، وتعلم أنّ وعد الله حقّ، وليبقى في حضنها ريثما يعود إلى قصر فرعون.





## الدرس الثالث:

# السيدة آسية والنبي موسى ﷺ

## أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرف إلى قصة تبني آسية للنبي موسى ﷺ ولدًا لها.
- يعدد بعض خصال السيدة آسية ﷺ.
- يشرح كيف رعت السيدة آسية النبي موسى ﷺ وحمته في بلاط فرعون.



## تمهيد

إنّ الذي يطلّ بناظره على سيرة زينة الملكات، سيدة نساء أهل الجنّة، آسية بنت مزاحم عليها السلام، سيتيقن بأنّ سنن الله الكونية نافذة بلا شكّ ولا ريب، رغم أنوف الطغاة وتظافر إراداتهم لمنع نفاذها، فهي التي قدّمت التضحيات في سبيل الله تعالى، وإنفاذ مشيئته مذ تعرفت على النبي موسى عليه السلام وإلى أن قبضها الله تعالى إلى جواره صديقةً شهيدةً، فدوّنت من خلال إيمانها وصبرها أعظم البطولات التي خلد التاريخ ذكرها، وسطرها الفرقان الحكيم ممداد من نور، لتتناقلها الأجيال المؤمنة جيلاً بعدَ جيل. ولهذا تحظى السيّدة الجليلة آسية بنت مزاحم عليها السلام بأهمية كبيرة ومكانة عالية؛ حيث تقدّمها الإسلام مثلاً أعلى في التضحية والفداء، وقدوة عظيمة لجميع أهل الإيمان وأسوةً كريمةً ثبتت على التوحيد الحقّ في أصعب الملّمات.

## آسية بنت مزاحم ومقامها

أولى الله سبحانه نبيّه الكليم موسى بن عمران عليه السلام رعايةً خاصةً قلّ نظيرها. وكان أحد أبرز تجلّيات ومظاهر تلك الرعاية في ما قدّمته له السيّدة آسية بنت مزاحم عليها السلام. ومن خلال مواقفها العظيمة التي وقفها في الذبّ عن كليم الله يظهر أنّها قد كانت لها مقدّماتٌ معرفيةٌ وإيمانيةٌ، فمن ذلك ما روي أنّها عليها السلام كانت من ذراري الأنبياء<sup>(1)</sup>،

(1) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج3، ص627.

وأنها أخت حزقيل<sup>(1)</sup> مؤمن آل فرعون الذي كان قد كتم إيمانه بالله ستمائة سنة<sup>(2)</sup>،  
وأنها عليّة<sup>(3)</sup> كانت على دين بني إسرائيل تكتم إيمانها<sup>(3)</sup>.

هذا وقد صرّحت الأحاديث المحمّدية الشريفة بفضلها وكمالها، وعظمتها وقديستها،  
فقد قال مولانا رسول الله ﷺ: «أفضل نساء العالمين: خديجة بنت خويلد، وفاطمة  
بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»<sup>(4)</sup>. كما قال ﷺ:  
«أفضل نساء أهل الجنة: خديجة ابنة خويلد، وفاطمة ابنة محمد، ومريم  
ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون»<sup>(5)</sup>.

وهذه الأحاديث تدلّ على أنّ السيدة آسية عليّة<sup>(3)</sup> قد وصلت لمنتهى الفلاح، والصلاح  
والكمال، وإلا لما كانت من أفضل نساء الجنة ومن أفضل نساء العالمين. وفي حديث أنّ  
النبي ﷺ دخل على فاطمة عليّة<sup>(3)</sup> يعودها، فقال: «أي بنيّة، لا تجزعي، فوالذي بعثني  
بالنبوة حقاً إنّك لسيدة نساء العالمين، فوضعت يدها على رأسها ثم قالت: يا ليتها  
ماتت، فأين آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد؟ قال ﷺ:  
«آسية سيّدة نساء عالمها، ومريم سيّدة نساء عالمها، وخديجة سيّدة نساء عالمها، وأنت  
سيّدة نساء عالمك، إنّكن في بيوت من قصب، لا أذى فيه ولا نصب»، فقالت عليّة<sup>(3)</sup>: يا  
رسول الله ما بيوت من قصب؟ قال: درّ مجوّف من قصب، لا أذى فيه ولا صخب»<sup>(6)</sup>.

(1) محمد بن حبيب البغدادي، المحبر، ص 388، قال: وكان اسم مؤمن آل فرعون حزيبيل أو خزيبيل، وهو أخو آسية امرأة فرعون. وقال هشام: حزيبيل زوج الماشطة، وكان فرعون قد جعله على نصف الناس.

(2) عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان خازن فرعون مؤمناً بموسى، قد كتم إيمانه ..»، يراجع علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج2، ص137، بسنده عن أبيه عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام.

(3) علي بن الحسين المسعودي، إثبات الوصية، ص52، طبعة:3، أنصاريان، قم.

(4) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج2، ص650، حديث 4160، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(5) أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، ج5، ص93، حديث 8355، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت، والشيخ الصدوق بإسناده إلى النبي ﷺ، الخصال، ج1، ص205-206، حديث 22-23، طبعة:1، جماعة المدرسين، قم.

(6) محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرّي البغدادي، ج5، ص2198، حديث 1689، باب: بشارة النبي ﷺ لخديجة عليّة<sup>(3)</sup> بما أعد الله عز وجل لها في الجنة، طبعة:2، دار الوطن، الرياض، والحافظ ابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق، ج42، ص134، طبعة: دار الفكر، بيروت، رواه بسنده إلى سعيد بن جبیر عن عمران بن الحصين باختلاف ألفاظ.

كذلك روى عن النبي الأكرم ﷺ، أنه لم يكمل من النساء على مستوى البشرية كلها إلا هؤلاء العظيمات الأربعة، حيث قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ»<sup>(1)</sup>. وما أعظمها من كلمة نطق بها خاتم النبيين ﷺ بحق هؤلاء السيدات العظيمات اللواتي تحلن بالفضائل وعظيم السيرة، إذ إن كلاً منهن قد كفلت نبياً مرسلًا، وأحسنت الصحبة في كفالتها له، وآمنت به وصدّقت به بما جاء به من عند ربّه. فآسية جعلها الله سبباً في إنقاذ موسى الكليم ﷺ، وبعد ذلك ربّته وأحسنت إليه وصدّقت به حين بعثه الله، ومريم العذراء ﷺ كفلت السيد المسيح أتم كفالة وأعظمها وصدّقت به حين أرسله الله تعالى، وخديجة الغراء ﷺ رغبت في أن يتزوجها رسول الله ﷺ، وصدّقت به أوّل ما نزل عليه الوحي وأرسله الله رحمةً للعالمين، وبذلت في سبيل الله، ونشر دعوة رسول الله ﷺ، كلّ غالٍ ونفيس، والسيدة الزهراء ﷺ فاقت الجميع وهي غنيّة عن التعريف.

### مع التابوت كانت البداية

لا شكّ ولا ريب أنّ السيدة آسية بنت مزاحم ﷺ في الذروة العالية من قائمة العظماء الذين مرّوا عبر الأجيال الماضية وسيمرّون في الأجيال القادمة، فالبيان يعجز عن وصف هذه المرأة الجليلة التي هيئها الله لكفالة النبي الكليم بعد أن أدّت أم النبي موسى ﷺ ما كلفها الله تعالى به وألقت ذلك التابوت - وفيه موسى ﷺ - في أيمّ طاعة لله سبحانه، فقفده أيمّم إلى الساحل ليأتي الدور على المرأة الصالحة آسية بنت مزاحم ﷺ امرأة فرعون، التي وصف لنا حالها آنذاك إمامنا الباقر، فقال ﷺ: «قالت (آسية) لفرعون: إنّها أيام الربيع، فأخرجني فاضرب لي قبةً على شاطئ البحر حتى أتزّه هذه الأيام، فضرب لها قبةً على شطّ النيل، إذ أقبل التابوت يريدّها، فقالت: هل ترون ما أرى على الماء؟ قالوا: أي والله يا سيّدتنا إنّنا لنرى شيئاً، فلمّا دنا منها ثارت

(1) الحافظ ابن عساكر الدمشقي، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، ص84، طبعة:1، دار الفكر، دمشق.

إلى الماء فتناولته بيدها، وكاد الماء يغمرها حتى صاحوا عليها، فجذبتة فأخرجته من الماء، فأخذته فوضعتة في حجرها، فإذا غلام أجمل الناس وأسترهم، فوَقعت عليها له محبة، فوضعتة في حجرها، وقالت: هذا ابني، فقالوا: إي والله يا سيدتنا والله مالك ولد ولا للملك، فاتّخذي هذا ولداً...»<sup>(1)</sup>.

أخذت آسية عليها السلام هذا الرضيع العظيم ولداً، واقتضت مشيئة الله أن يتحدّى به جبروت فرعون وعظمته، وكلّ جنده وحصونه، ويفشل كلّ تدابيره، فجعل الله سبحانه هذا الطفل الموعود في متناول يد فرعون، وبين جنده وحراسه وفي قصره، ومع كلّ ذلك لا يستطيع أن يؤذيه، فقد زوّد الباري عزّ وجلّ هذا المولود الرضيع بسلاح ماضٍ لدفع الخطر عنه، وهذا السلاح لم يعهده الطغاة والحكّام الظلمة من قبل، وهو سلاح (الحبّ) الذي جعل السيّدة آسية عليها السلام تحامي عن كليم الله وتذبّ عنه، وقد قال الله تعالى فيما بعد مخاطباً موسى النبي عليه السلام: ﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ مِثِّي وَلِثُصَنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾<sup>(2)</sup>.

### موسى عليه السلام قرّة عين آسية عليها السلام

ألقي الله سبحانه في قلب امرأة فرعون حبّ ذلك الطفل الرضيع، فوَقفت سداً منيعاً بقلبها الحاني، ضدّ قوّة وقسوة وغلظة فرعون وجنده التي أبدوها من الوهلة الأولى اتّجاه موسى عليه السلام، فطلبت من الطاغية فرعون أن يُبقي عليه ليكون قرّة عين لها وله، فوهبها إياه على كراهةٍ منه، حيث تقول الرواية: «فلما فتحته -التابوت- رأته فيه غلاماً، فألقي عليها منه محبةٍ لم يلق منها على أحد قط، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه، فقالت لهم: أفزّوه فإنّ هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص148، ورواه قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، ص149، بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

(2) سورة طه، الآية 39.

بذبحه لم ألمكم، فأنت فرعون<sup>(1)</sup>، فقالت: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(2)</sup>. وفي روايةٍ أخرى تبيّن تنمّة الحادثة: «فقال فرعون يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي، فقال رسول الله ﷺ: «والذي يُحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرّة عينٍ كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن الله حرمه ذلك»<sup>(3)</sup>. ولما رأت السيدة آسية ﷺ مبلغ عداء فرعون لموسى بن عمران ﷺ استخدمت ذكاءها وفطرتها في منع قوّته الغاشمة من أن تنال ذلك الرضيع الذي أحبته حباً عظيماً، فقدّمت عذر المنفعة قائلة: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾، وأردفته بعذرٍ آخر وهو: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، لأنها تعلم أنّ فرعون كان بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الولد، فأبقى عليه إرضاءً لها.

### رعاية آسية لكليم الله ﷺ

روي عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «قال -فرعون-: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: ما أدري إلا أنّ الماء جاء به، فلم تزل به حتّى رضي، فلما سمع الناس أنّ الملك يربّي ابناً لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلاّ بعث امرأته إليه تكون له ظئراً أو تحضنه، فأبى أن يأخذ من امرأةٍ منهنّ ثدياً، قالت امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً، فجعل لا يقبل من امرأةٍ منهنّ...»<sup>(4)</sup>، فلم يقبل موسى الرضيع أن يرتضع من أيّ امرأةٍ منهنّ.

وكانت السيدة العظيمة أمّ نبيّ الله موسى ﷺ قد قالت لأخته الكبرى: قصّيه: انظري أترين له أثراً؟ فانطلقت حتّى أتت باب الملك، ولما نظرت أخته إلى حال أخيها وحالهم، وهم في حيرةٍ من أمره ودهشةٍ، حيث لم يقبل الرضاع، قالت لهم بطريق الاستفهام:

(1) أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، ج6، ص396، حديث 11326، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت، ورواه ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد التميمي الرازي، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ج9، ص2944، حديث 16698، طبعة:3، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ورواه أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، ج5، ص10، حديث 2618، طبعة:1، دار المأمون للتراث، دمشق.

(2) سورة القصص، الآية 9.

(3) أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، ج6، ص396، حديث 11326، ورواه ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم، ج9، ص2944، حديث 16698، وأبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج5، ص10، حديث 2618.

(4) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص149، ورواه قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء ﷺ، ص149.



﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِاحُونَ﴾<sup>(1)</sup> فنكرت البيت الذي سيقوم بإرضاعه، ولم تكشف لهم عن حاله شيئاً، مع أنها زكت أهل ذلك البيت لمعرفة ذلك، وهذا بعد توفيق الله من الفطنة بـمكان، ويذكر الامام الباقر عليه السلام أنها: «قالت: قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً (أي امرأة ترضع ولد غيرها)، وههنا امرأةً صالحَةً تأخذ ولدكم وتكفله لكم، فقالت: أدخلوها، فلما دخلت قالت لها امرأة فرعون: ممّن أنت؟ قالت: من بني إسرائيل، قالت: اذهبي يا بنية فليس لنا فيك حاجةٌ، فقلن لها النساء: انظري عافاك الله يقبل أو لا يقبل؟ فقالت امرأة فرعون: أرايتم لو قبل هل يرضى فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل، والمرأة من بني إسرائيل يعني «الظئر» فلا يرضى، قلن: فانظري هل يقبل أو لا يقبل؟

قالت امرأة فرعون: فاذهبي فادعيها فجاءت إلى أمها، فقالت: إنّ امرأة الملك تدعوك فدخلت عليها، فدفعت إليها موسى، فوضعت في حجرها ثم ألقمته ثديها فازدحم اللبن في حلقه، فلما رأت امرأة فرعون أنّ ابنها قد قبل قامت إلى فرعون، فقالت: قد أصبت لابني ظئراً، وقد قبل منها، فقال: ممّن هي؟

قالت: من بني إسرائيل. قال فرعون: هذا ممّا لا يكون أبداً، الغلام من بني إسرائيل، والظئر من بني إسرائيل، فلم تزل تكلمه فيه، وتقول: ما تخاف من هذا الغلام؟ إنّها هو ابنك ينشأ في حجرك حتّى قلبته عن رأيه ورضي»<sup>(2)</sup>.

ويروي ابن عباس: «قالت - آسية لأمّ موسى - امكثي ترضعي ابني هذا، فإنّي لم أحب شيئاً حبّه قطّ، قالت أمّ موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت، فإنّي غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أمّ موسى ما كان الله وعدّها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أنّ الله منجزٌ موعوده، فرجعت إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتاً حسناً، وحفظ لما قد

(1) سورة القصص، الآية 12.

(2) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص149، ورواه قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، ص149.

قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم»<sup>(1)</sup>، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وهكذا نشأ نبيُّ الله موسى ﷺ وترعرع بين أحضان أمه الرحيمة الواثقة بالله تعالى والمتوكِّلة عليه. وقد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عزِّ وجهٍ ورزقي دارٍ، وتحت رعاية تلك المؤمنة الصابرة التي هيأها الله تعالى لحماية ثالث أولي العزم من الرسل، والدفاع عنه، فصرف الله بسبب السيدة آسية ﷺ عن نبيِّ الله موسى ﷺ صولة الظالمين وإنفاذ تهديدات رأس المجرمين.

ومن فوائد مواقف السيدة آسية بنت مزاحم ﷺ التي وقفتها دون نبيِّ الله موسى ﷺ نلاحظ أن وجود الصالحين في المجتمعات الفاسدة يحدِّ ويخفف من أذى المفسدين وسطوتهم، فإنَّ وجود السيدة آسية ﷺ في بطانة عدوِّ الله فرعون كان سبباً رئيساً في إنقاذ سيِّدنا موسى ﷺ والله غالب على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

### تكريم آسية لكليم الله ودفاعها عنه

أتمَّ نبيُّ الله موسى ﷺ مدَّة الرضاع عند أمه الكريمة، وبعدها انتقل إلى بيت فرعون؛ لتشرف السيدة آسية ﷺ على تربيته، وترعى شؤونه. وقد استخدمت ذكاءها وفطنتها مراراً في منع يد فرعون من أن تناله بسوء، فقد مكَّن الله تعالى حبَّ موسى ﷺ من قلب زوجة فرعون، وأعطاه من القدرة على الجدل والنقاش بحيث أقنعت فرعون بتركه وكفَّ يده عنه.

وقد جاء في حديث ابن عباس أنه: «لما ترعرع (موسى) قالت امرأة فرعون لأُم موسى أزيريني ابني فوعدها يوماً تزيروها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخازنها وظوورها وقهارمتها -الحاشية الملكية- لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامةٍ لأرى ذلك فيه، وأنا باعثةٌ أميناً يحصي كلَّ ما يصنع كلُّ إنسانٍ منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله

(1) النسائي، السنن الكبرى، ج6، ص398، حديث 11326، وأبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج5، ص10، حديث 2618.

(2) سورة القصص، الآية 13.

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته<sup>(1)</sup>، وأكرمتها وفرحت به ونحلت أمه بحسن أثرها عليه، ثم قالت: لآتين فرعون فلينحلته وليكرمنه، فلما دخلت به عليه جعله في حجره، فتناول موسى لحية فرعون فمدّها إلى الأرض. قال الغواة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيّه،-إشارة إلى موسى كونه من نسل إبراهيم-، إنّه زعم أن يرّبك ويعلوك ويصرعك؟ فأرسل إلى الذّباحين ليذبحوه، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ فقال: ألا ترىنه يزعم أنّه سيصرعني ويعلونني<sup>(2)</sup>، لكنّه تركه وشأنه.

وفي ذلك قال الإمام الباقر عليه السلام: «فلما درج موسى كان يوماً عند فرعون، فعطس موسى، فقال: الحمد لله ربّ العالمين، فأنكر فرعون عليه ولطمه وقال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللحية فهلها أي قلعها، فألمه ألماً شديداً بلطمته إياه، فهمّ فرعون بقتله، فقالت امرأته: هذا غلام حدث لا يدري ما يقول، فقال فرعون: بل يدري، فقالت امرأته: ضع بين يديه تمراً وجمراً فإن ميّز بينهما فهو الذي تقول، فوضع بين يديه تمراً وجمراً وقال له كل، فمد يده إلى التمر، فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر فأخذ الجمر في فيه، فاحترق لسانه وصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك إنه لا يعقل؟ فعفا عنه<sup>(3)</sup>، وبذلك صرف الله فرعون عن نبيّه موسى عليه السلام بعدما همّ بقتله، وكان الله بالغاً فيه أمره.

وبعد الرعاية الكبيرة التي قامت بها السيّدة آسية عليها السلام لخدمة نبيّ الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام، يلاحظ أنّ الاختبارات الإلهية لم تفارق هذه السيّدة الجليلة، فكانت عليها السلام كلّما دخلت امتحاناً نجحت فيه نجاحاً منقطع النظير، وستعرض لبعض من تلك الاختبارات والامتحانات والتي خاضتها بكلّ عزيمة وثبات سيّدة النساء آسية بنت مزاحم عليها السلام.

(1) النحلة: وهي الهبة والعطية يُعطها الإنسان، وتكون خالصة عن طيب نفس.

(2) أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، ج6، ص398-399، حديث 11326، وأبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج5، ص10-11، حديث 2618.

(3) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج2، ص136، بسنده عن أبيه عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام.

## المفاهيم الأساسية

- أولى الله سبحانه نبيه الكليم موسى بن عمران ﷺ رعاية خاصة قلّ نظيرها، حيث تولّت السيّدة آسية ﷺ شؤونه وأنقذته من الموت مرارًا، وقد كانت مؤمنةً على دين بني إسرائيل تكتم إيمانها.
- صرّحت الأحاديث النبوية بفضل السيّدة آسية ﷺ وكمالها، حيث إنّها من أفضل نساء العالمين، ومن أفضل نساء الجنة، وكذا هي من النساء الأربع اللواتي كملن حسب قول الرسول ﷺ.
- بعد أن ألقّت أمّ النبيّ موسى ﷺ به في التابوت ثم ألقته في اليمّ، كانت السيّدة آسية تتنزّه على الشاطئ، حين رأت التابوت يعوم فوق الماء، فالتقطته ووجدت فيه موسى ﷺ الرضيع.
- منعت السيّدة آسية جلاوزة فرعون من قتل موسى وبقيت تقنع فرعون بالإقلاع عن قتله بأنّه سيكون ولدًا لهما وسيكون قرّة عين لهما، وأنّه سيتربّى تحت ناظره فامتنع عن قتله.
- ألقى الله سبحانه في قلب امرأة فرعون حبّ ذلك الطفل الرضيع، فوقفت سدًا منيعًا، بقلبها الحاني، ضد فرعون، على الدوام، ثم بدأت تطلب المراضع لابنها الصغير، وكان النبيّ موسى ﷺ يمتنع عن كلّ النساء حتّى جاءت أخته وعرضت كفالتة من قبل أمّها.
- عاد موسى ﷺ الرضيع إلى أمّه كي تقرّ عينها، ثمّ بعد إتمام رضاعه رجع إلى قصر فرعون لينشأ في أحضان آسية ﷺ، فترعرع بين حنئيهما.
- بعد أن عاد موسى ﷺ الرضيع إلى القصر، ذهب آسية به إلى فرعون ليحبّوه ويكرمه، فإذا به يشدّ له لحيته نحو الأرض فغضب منه وأراد قتله، لكنّ السيّدة آسية ﷺ حالت دون ذلك.



## الدرس الرابع:

# السيدة آسية عليها السلام من الإيمان إلى الشهادة

## أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى بعض معاناة وصر آسية في قصر فرعون.
- يذكر بعض المواقف الايمانية للسيدة آسية عليها السلام.
- يبيّن قصة شهادة السيدة آسية المؤمنة.



## تمهيد

لقد استعرض الذكر الحكيم ألواناً وصوراً شتى من المواجهة التي حصلت بين الحقّ والباطل، وكيف استطاع أهل الحق، بإيمانهم وصرهم، الانتصار على أعتى قادة حزب الشيطان وأتباعهم. وفي طليعة هؤلاء المُضْحِين من أهل الحق تأتي المرأة الراضية المرضية، آسية بنت مزاحم عليها السلام، التي جاءت بداية ذكرها في الفرقان الحكيم مقرونة مع كليم الله موسى بن عمران عليه السلام واقترنت عاقبتها على لسان رسول الله ﷺ مع أم المؤمنين الكبرى خديجة الغراء، وأم السبطين فاطمة الزهراء عليها السلام، وقدمها القرآن الكريم مع العذراء مريم بنت عمران عليها السلام كقدوة ليس للنساء فقط بل: ﴿.. لِلَّذِينَ ءَامَنُوا..﴾، أي بصفتها رمزاً للإنسان المؤمن لا رمزاً للمرأة المؤمنة.

يعني أنّ الله تعالى عندما أراد أن يذكر نموذجاً يندر مثيله بين بني الإنسان، ويكون هذا النموذج مثلاً لأعلى درجات الإنسانية والتكامل المعنوي، لم يذكره من عظماء الرجال ولا من شخصياتهم العلمية والدينية بل ذكره من النساء، حيث ذكّر امرأتين كقدوة أعلى للإنسانية إحداهما امرأة فرعون ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

## صبر آسية ونشأة النبي الكليم

لا يُعرف في هذه الدنيا امرأة ابتليت بزوج سيئ كالسيّدة آسية بنت مزاحم عليها السلام، فقد ابتليت بالطاغية فرعون وهو أسوأ الرجال خلقاً وأكثرهم استعلاءً؛ فظ غليظ، جلف

(1) سورة التحريم، الآية 11.



عنيد، متكبر جبار، لم يكن من الملوك الذين سبقوه من هو أقسى قلباً، ولا أشد غلظةً ولا أسوأ ملكاً منه، وكذلك ابتليت بأسوأ بيت في الدنيا، بيت فرعون الذي حوى أفراداً كالأنعام بل هم أضل إذ يعتبرون فرعون ربهم الأعلى.

ومع هذا أطاعت آسية عَلَيْهَا السَّلَامُ بارئها وما عصته، وشكرت خالقها وما كفرته، وابتعدت عن الذنب وما رضيته، وصبرت على فرعون وظلمه وأذاه حتى ضرب الله تعالى بها للمؤمنين مثلاً، فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

وتحت أنظارها في بيت فرعون نشأ النبي الكليم دون أن يتأثر بالجو الديني والأخلاقي الذي كان سائداً داخل قصر الطاغية، فالإله الذي اصطفى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحماه منذ ولادته، ونجاه من القتل وحفظه من الغرق، حال دون أن يصل إليه شيء من رذائل الكفر والأخلاق السيئة التي كان يحملها فرعون وزبانيته. ولا يغيب عنكم أن هذا النبي العظيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد رضع عقيدة التوحيد والإيمان بالله سبحانه مع لبن أمه المصدقة بوحى الله والعاملة بمقتضاه. وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتنقل في تربيته بين صدرين من أملاً صدور العالمين حكمة، فكان مغداه على أمه الجليلة الطاهرة المتوكله على الله، ومراحه على العظيمة الكاملة آسية بنت مزاحم. وقد بقي نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذا الحال إلى أن بلغ أشده، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>، ثم خرج كليم الله عَلَيْهِ السَّلَامُ من المدينة تلقاء مدين التي يسكنها نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ما ذكره الله لنا ضمن آياته البينات من سورة القصص<sup>(3)</sup>.

## عودة موسى إلى مصر، وإيمان آسية

إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عاش فترةً زمنيةً مع خطيب الأنبياء شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حصل له فيها الكثير من المواقف والمشاهد<sup>(4)</sup>. والذي نعلمه من خلال النص القرآني أنه قضى أتم الأجلين

(1) سورة التحريم، الآية 11.

(2) سورة القصص، الآية 14.

(3) سورة القصص، الآيات 14-28.

(4) وقيل إنه ليس شعيباً؛ لأن بينه وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ زمناً معتداً به...

وأكملهما عشر سنوات، لأن الاتفاق بين النبيين الكريمين كان على ثماني سنوات، فإن أكملها موسى عليه السلام عشرًا فذلك كرم منه، وليس بالزام، وقد قال الله سبحانه وتعالى حاكياً لنا ما شرطه نبيُّ الله شعيب على الكليم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْصَحَكَ إِحْدَى أَبْنَتَيَّ هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾<sup>(1)</sup>.

ولما قضى نبيُّ الله موسى عليه السلام أكمل الأجلين وأتمهما ودَّع نبيُّ الله شعيباً وسار بأهله؛ ليعود إلى أهله وبلاده التي غادرها خائفاً؛ وليقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ ولتبدأ مرحلة جديدة من حياة نبيِّ الله موسى عليه السلام يكرسها هذا النبي العظيم للدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ. ولما قام نبيُّ الله موسى عليه السلام بأعباء الدعوة إلى الله فتحت السيِّدة آسية عليها السلام مسامع قلبها للهدى والنور الذي جاء به، ولم تخش طغيان فرعون وغطرسته، فناصرت نبيَّ الله موسى عليه السلام على عدوِّ الله فرعون، ثم ثبتت على إيمانها بالله تعالى دون أن يصرِّفها عن ذلك أيُّ صارفٍ، فكان ما فعلته في أسمى درجات الإخلاص وصدق اليقين خصوصاً أنَّ الحال الذي كان فيه نبيُّ الله موسى عليه السلام قد وصفه الله سبحانه في فرقانه العظيم، فقال: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>. وعن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون»<sup>(3)</sup>.

### الجهر بالدعوة، ودعاء آسية عليها السلام

روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: «لما بُعث موسى عليه السلام إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه، فضرب بعصاه الباب فاصطكت الأبواب مفتحةً ثم دخل على

(1) سورة القصص، الآيتان 27-28.

(2) سورة يونس، الآية 83.

(3) الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، ج1، ص174، حديث 230، طبعة: 1، جماعة المدرسين، قم، ورواه أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص160، ترجمة 7468، طبعة: 1، دار الكتب العلمية.

فرعون، فأخبره أنه رسول رب العالمين، وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل، فقال: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتِ - أي قتلت الرجل - وَأَنْتِ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾<sup>(1)</sup>، يعني كفرت نعمتي، فتجاوبا الكلام إلى أن قال موسى ﷺ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ - إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾<sup>(2)</sup>، فلم يبق من جلساء فرعون شخص إلا هرب، ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك، فقال: أنشدك الله والرضاع إلا كففتها عني، ثم نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ، فلما أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمم بتصديقه، فقام إليه هامان فقال: بينما أنت إله تُعبد إذ صرت تابعا لعبد، ثم قال فرعون للملا الذين حوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَسٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾<sup>(3)</sup>. وكان فرعون وهامان قد تعلما السحر، وإنما غلبا الناس بالسحر وادعى فرعون الربوبية بالسحر.

فلما أصبح بعث في المدائن حاشرين وجمعوا ألف ساحر واختار من الألف ثمانين، فقال السحرة لفرعون قد علمت أنه ليس في الدنيا أسحر منّا فإن غلبنا موسى فما عندك؟ قال: أشاركم في ملكي، قالوا فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أن ما جاء به ليس بسحر آمنّا به وصدقناه، فقال فرعون فإن غلبكم موسى صدقته أنا أيضاً معكم، وكان موعدهم يوم عيد لهم، فلما ارتفع النهار جمع فرعون الخلق والسحرة، وكانت له قبة طولها في السماء سبعون ذراعاً وقد كانت لبست بالفولاذ المصقول، وكانت إذا وقعت عليها الشمس لم يقدر أحد أن ينظر من لمع الحديد ووهج الشمس...»<sup>(4)</sup>.

هكذا كان الموقف في تلك الساعة العظيمة، وأمّا الحال الذي كانت فيه السيّدة آسية بنت مزاحم ﷺ، فكان كما جاء في حديث مشهور: «وأمرأة فرعون بارزة تدعو الله

(1) سورة الشعراء، الآيات 18-19.

(2) سورة الشعراء، الآيات 30-32.

(3) سورة الشعراء، الآيات 34-35.

(4) الثقة علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج2، ص118-120، طبعة:3، دار الكتاب، قم.

بالنصر لموسى على فرعون وأشباعه، فمن رآها من آل فرعون ظنَّ أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشباعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى ؑ»<sup>(1)</sup>.

ثمَّ تتابعت الأحداث: «فقالَت السحرة لفرعون إنا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولم يبلغ سحرنا السماء وضمنت السحر في الأرض، فقالوا لموسى ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُنُ الْمُلْقِينَ﴾<sup>(2)</sup> ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿١٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾<sup>(3)</sup> فأقبلت تضرب مثل الحيات ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(4)</sup> ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾<sup>(5)</sup> فنودي ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿١٦﴾ وَآلِي مَا فِي يَمِينِكَ﴾<sup>(6)</sup>، فألقى موسى العصا، فذابت في الأرض مثل الرصاص ثمَّ طلع رأسها وفتحت فاهها ووضعت شدقتها العليا على رأس قبة فرعون، ثم دارت والتقمت عصي السحرة وحبالهم، وانهمز الناس حين رأوا عظيمها... ودارت على قبة فرعون، فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما من الفزع، ومَرَّ موسى في الهزيمة مع الناس، فناداه الله ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾<sup>(7)</sup>، فرجع موسى ولفَّ على يديه عباءة ثم أدخل يده في فمها، فإذا هي عصا كما كانت ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا﴾<sup>(8)</sup>، لما رأوا ذلك ﴿قَالُوا ءَأَمَتْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾<sup>(9)</sup>، فغضب فرعون من ذلك وقال ﴿ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ

(1) الحديث المشهور «بحديث الفتون» يراجع السنن الكبرى للنسائي، ج6 ص402، حديث 11326، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) سورة الأعراف، الآية 115.

(3) سورة الشعراء، الآيتان 43-44.

(4) سورة الشعراء، الآية 44.

(5) سورة طه، الآية 67.

(6) سورة طه، الآية 68.

(7) سورة طه، الآية 21.

(8) سورة طه، الآية 70.

(9) سورة طه، الآية 70.

خَلْفٍ وَلَا صَلِيَتَكُمْ أَجْمَعِينَ»<sup>(1)</sup> فقالوا له ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا﴾<sup>(2)</sup>، فحبس فرعون من آمن بموسى في السجن حتى أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والضفادع والدم...»<sup>(3)</sup>.

### ماشطة بنت فرعون وموقف آسية عليها السلام

انتشر أمر نبي الله موسى عليه السلام وأصبح المؤمنون برسالته خطراً يهدد فرعون ومُلكه، فقرر الطاغية أن يقبض على كل من يؤمن بدعوة موسى عليه السلام، وأن يعذبهُ حتى يرجع عن دينه، فصارت سجون فرعون وقصره مقابر للأحياء من المؤمنين بالله الموحدين له، وشمل التعذيب جميع المؤمنين، فزاد بلاؤهم، واشتد كربهم مما اضطر كثيراً منهم إلى كتمان إيمانه؛ خوفاً من الطاغية وجبروته واستعلائه في الأرض. وكان في قصر فرعون حينئذ امرأة حزقيل «مؤمن آل فرعون» تقوم بتمشيط شعر ابنة فرعون وتجميلها، وكانت هذه الماشطة كزوجها من المؤمنين الذين كتموا إيمانهم في قلوبهم، وذات مرة كانت تمشط ابنة فرعون كعادتها كل يوم، فسقط المشط من يدها على الأرض، ولما همّت بأخذه من الأرض، قالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أتقصدين أبي؟

قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك «الله»، فغضبت ابنة فرعون من الماشطة وهددتها بإخبار أبيها بذلك، ولكن الماشطة لم تخف، فأسرعت البنت لتخبر أباهاً بأن هناك في القصر من يكفر به، فلما سمع فرعون ذلك، استشاط غضباً، وأعلن أنه سينتقم منها ومن أولادها.

فدعاها، وقال لها: أولك رب غيري؟! قالت: نعم، ربي وربك الله. وهنا جن جنونه، فأمر بإحضار وعاء ضخم من نحاس وإيقاد النار فيه، وإلقائها هي وأولادها فيه، فما كان من المرأة إلا أن قالت لفرعون: إن لي إليك حاجة، فقال لها: وما حاجتك؟

(1) سورة الشعراء، الآية 49.

(2) سورة الشعراء، الآية 51.

(3) الثقة علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج2، ص118-120، طبعة:3، دار الكتاب، قم.

قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، فقال: ذلك علينا. ثم أمر بإلقاء أولادها واحداً تلو الآخر، والأم ترى ما يحدث لفلذات كبدها، وهي صابرة محتسبة، وأولادها يموتون حرقاً، وهي لا تستطيع أن تفعل لهم شيئاً، إلى أن انتهى ذلك إلى ابن لها رضيع كأنها تقاعست من أجله، فأنطقه الله، قال: يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتمت»<sup>(1)</sup>.

وماتت ماشطة ابنة فرعون وأبنائها شهداء في سبيل الله تعالى، «فلما قُتلت الماشطة رأت آسية عليها السلام الملائكة تعرج بروحها، وكشف الله عن بصيرتها.. فلما رأت الملائكة قوي إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى عليه السلام، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة، فقالت له آسية: الويل لك ما أجراك على الله، فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة؟

فقالت: ما بي جنون، ولكني آمنت بالله تعالى ربِّي وربك ورب العالمين، فدعا فرعون أمها وقال لها: إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة، فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى، فخلت بها أمها وأرادتها على موافقة فرعون، فأبت وقالت: أما أن أكفر بالله فلا والله، فأمر فرعون حتى مدَّت بين يديه أربعة أوتاد»<sup>(2)</sup>.

وهكذا شرع عدو الله بتعذيب المؤمنة الطاهرة سيِّدة النساء آسية عليها السلام، فقد اعتبر أن أول من يجب عليه أن يؤمن به قد كفر بربوبيته المُدعاة، وكفى بذلك دليلاً على كذب فرعون وبهتانه.

## شهادة العقيدة

رفضت السيِّدة آسية عليها السلام عيش هذه الحياة وهي متنعمّة بهارج الملك جاحدة لباريها، وآثرت الإيمان بالله سبحانه وثبتت على إيمانها، ولم تفتننها دنيا فرعون ومباهجها

(1) وأصل مجريات هذه القصة في مسند أحمد بن حنبل، ج5، ص31، حديث رقم 2821، طبعة:2، مؤسسة الرسالة، وقد روى الحاكم في المستدرک، وابن حبان في صحيحه، وابن أبي شيبة في مصنفه، وجماعة غيرهم من رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رفعه إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «لما أسري بي مرت رائحة طيبة... الحديث»، وفيه قصة الماشطة.

(2) عز الدين علي الشيباني ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج1، ص161، طبعة:1، دار الكتاب العربي، بيروت.

الزائفة، وتحدت الطاغية وجبروته وأوتاده، فانتصرت بإيمانها على الطاغوت الذي صار مضرب المثل بجبروته وعتوه.

وقد ورد في الرواية عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾<sup>(1)</sup>، لأي شيء سُمي ذا الأوتاد؟ قال: «لأنه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ومد يديه ورجليه، فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض»<sup>(2)</sup>، وبهذه الكيفية الفظيعة عذبت السيدة آسية بنت مزاحم عليها السلام.

فإنها لما تمسكت بما آمنت به متخليّة عن كلّ شيء سوى عقيدتها الراسخة كالجبال الرواسي قرّر عندئذ فرعون الانتقام منها ومن دينها، فألقاها في الشمس، ومنع عنها الطعام والشراب، وضربها ضرباً مبرحاً، وأذاها ووكل بها من يؤذيها. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وتد فرعون لامراته أوتاداً أربعة ثم جعل على بطنها رحى عظيمة»<sup>(3)</sup>، فصبرت السيدة آسية عليها السلام، وتحملت أنواع العذاب التي ابتكرها الطاغية، كلّ ذلك طمعاً بقاء الله وجواره جل وعلا، والحصول على الجنة، وذلك لاعتقادها الكامل بأن الله لا يضيع أجر الصابرين، وقبل أن تلتحق روحها الطاهرة ببارئها، ولما أحست بدنو أجلها، دعت الله أن يتقبلها في جواره.

### في جوار الله سبحانه

على رغم كلّ فنون التعذيب التي استخدمها عدو الله فرعون، وما نتج عن ذلك من آلام كابدها السيدة آسية عليها السلام، إلا أنّ ذلك لم يؤثر على كمال عقلها، ووفور علمها، ومما يدل على ذلك أدبها الجمّ في مخاطبة الربّ تبارك وتعالى، فإنها لما قالت: ﴿رَبِّ أَنْبِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(4)</sup>. طلبت

(1) سورة ص، الآية 12.

(2) الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي، علل الشرائع، ج1، ص70، طبعة: 1، مكتبة داوري، قم.

(3) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج11، ص246، حديث 20445، طبعة: 2، المكتب الإسلامي، بيروت، وأحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، ج2، ص244، حديث 1638، طبعة: 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) سورة التحريم، الآية 11.



جوار الله سبحانه قبل أن تطلب ذلك المنزل في جنَّة النعيم، فقالت عليها السلام: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ..﴾، ولم تقل: (رَبِّ ابْنِ لِي بَيْتاً عِنْدَكَ)، وبذلك تكون اختارت الجار عزَّ وجلَّ قبل أن تختار الدار. وقد روي عن سلمان المحمدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «كانت امرأة فرعون تُعذَّب، فإذا انصرفوا أظلتها الملائكة بأجنحتها، وترى بيتها في الجنة وهي تعذَّب»<sup>(1)</sup>.

وروي عن ابن عباس: «كشف الله عن بصيرتها، فرأت الملائكة وما أعدَّ لها من الكرامة، فضحكت، فقال فرعون: انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب، ثم مات»<sup>(2)</sup>. ولا غرابة في هذا الأمر، فهنيئاً لأسية بنت مزاحم عليها السلام جوار الله عزَّ وجلَّ.

### موضع قبرها الشريف

يقول الرحالة الشهير ابن جبير عن الجبَّانة المعروفة بالقرافة (مقبرة موجودة في القاهرة في مصر): «هي أيضاً إحدى عجائب الدنيا، لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم، وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء... فمنها قبر ابن النبيِّ صالح، وقبر روييل بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسية امرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين، مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء»<sup>(3)</sup>.

### العاقبة للمتقين

السيِّدة العظيمة آسية بنت مزاحم عليها السلام اختارت جوار ربِّها والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وعشيقته وهي ملكة مصر، وآثرت بيتاً بينه لها ربُّها على بيت فرعون الذي فيه ممَّا تشتهيهِ الأنفس وتتمنَّاه القلوب ما تقف دونه الآمال، فقد كانت

(1) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ص205-206، طبعة:4، دار الكتاب العربي، بيروت، ورفع هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أولى لأن مثله لا يدرك بالرأي.

(2) عز الدين علي الشيباني ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج1، ص161، طبعة:1، دار الكتاب العربي، بيروت.

(3) محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي، رحلة ابن جبير، ج1، ص19-20، دار ومكتبة الهلال، بيروت.



عزفت نفسها عما هي فيه من زينة الحياة الدنيا وهي لها خاضعة. تعلقت بما عند ربها من الكرامة والزلفى فأمنت بالغيب واستقامت على إيمانها حتى قضت، وهذه القدم هي التي قدمتها إلى أن جعلها الله مثلاً للذين آمنوا ولخص حالها وما كانت تبتيغيه وتعمل له مدى حياتها في مسير العبودية في مسألة حكى عنها وما معناها إلا أنها انتزعت من كل ما يلهيها عن ربها ولاذت بربها تريد القرب منه تعالى والإقامة في دار كرامته»<sup>(1)</sup>.

فلم يخرجها الله سبحانه من دار الدنيا إلا وهي سيّدة نساء عالمها. وحرّي بكل مؤمن ومؤمنة أن يكون من دعائه الذي يبتهل به إلى الله أن يدعو بهذا الدعاء: ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فرضى الله وجواره وجنته أعظم ما طلبه المؤمنون من ربهم عزّت آلاؤه، والسيدة الجليلة آسية بنت مزاحم عليها السلام شهيدة العقيدة وشهيدة الحق، وهي نموذج عظيم بقتدي به المؤمنون، ومثل عالٍ لكل امرأة مؤمنة صابرة واثقة بالله تعالى، ومصدقة وعده عزّت آلاؤه.

فالسلم على السيدة آسية بنت مزاحم في الأولين، والسلم عليها في الآخرين، والسلم عليها في الملأ الأعلى إلى قيام يوم الدين.

(1) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، سورة التحريم، ج19، ص359، طبعة: مؤسسة الأعلمي، بيروت.

## المفاهيم الأساسية

- ابتليت السيِّدة آسية عليها السلام بالطاغية فرعون، وهو أسوأ الرجال خُلُقاً وأكثرهم استعلاءً، وكذلك ابتليت بأسوأ بيتٍ في الدنيا بيت فرعون إذ كانوا يعتبرون فرعون ربِّهم الأعلى.
- لكن آسية أطاعت بارئها وآمنت به وشكرته، ولم تنجرَّ إلى المعاصي التي كانت تسود بيت فرعون، حتَّى قال فيها النبي ﷺ إنها لم تكفر بالله طرفة عينٍ.
- لمَّا عاد النبي موسى عليه السلام من مدين مع أهله، وأراد دعوة فرعون وملئه إلى توحيد الله، وجرى ما جرى بينهما من محاورة، اتَّفقنا على المبارزة بالسحر في يوم العيد على أعين الناس أجمعين.
- لمَّا اجتمع الناس والتقى موسى عليه السلام بالسحرة أخذت آسية تدعو بالنصرة لموسى عليه السلام على فرعون وأشياعه وكان حزنها وهمُّها له عليه السلام.
- انتشر أمر نبيِّ الله موسى عليه السلام وأصبح المؤمنون برسالته خطراً يهدِّد فرعون ومُلَّكه، فقرَّر الطاغية أن يقبض على كلِّ من يؤمن بدعوة موسى عليه السلام، وأن يعدِّبه حتَّى يرجع عن دينه، فصارت سجون فرعون وقصره مقابر للأحياء من المؤمنين بالله الموحِّدين له.
- كانت ماشطة بنت فرعون مؤمنة بالله، فلما تبين ذلك لفرعون قتلها حرِّقاً هي وأولادها. ولمَّا علمت آسية بالخبر أثبت فرعون على جرأته على الله، وكشفت عن إيمانها بالله وكفرها بفرعون.
- لمَّا لم يستطع فرعون رد آسية عن إيمانها قرَّر تعذيبها بطريقةٍ بشعةٍ، فربطها بالأوتاد ووضع على بطنها رحىً كبيرةً في حرِّ الشمس، فكانت ترى الملائكة وترى بيتها في الجنة فتفوق عزميتها وتضحك، حتَّى قضت شهيدةً.
- قبر السيِّدة آسية عليها السلام في مصر في منطقة معروفة بالقرافة، فيها قبور العديد من الأولياء والصالحين وأولاد الأنبياء عليهم السلام.



## الدرس الخامس:

# السيدة مريم عليها السلام ووالداها

## أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يبيّن أصول السيدة مريم عليها السلام ومنبتها الطيب.
- يشرح قصة نذر أمّ السيدة مريم عليها السلام وحملها بها.
- يتعرّف إلى حادثة ولادة السيدة مريم عليها السلام.



## تمهيد

نحن في رحاب السيدة التي بمولدها قرّت العيون، وسرّت قلوب الأبرار والعون، وافتخرت بيمن مطلعها الأسرة الداوودية. وخفقت بنود السعادة. ونشرت أعلام الإفادة. وصُبت على شعب إبراهيم بركات الولادة، المنذورة التي على الرغم من عيشها بعد مجيئها فقيرةً في هذا العالم، إلا أنها أثرت بفقرها أبناء آدم، فبوليدها ظهرت البركات العجيبة، وبهرت المعجزات الغريبة، وطربت الأرض فرحاً مع السماء، ورتل كلام الربّ المجيد ترتيلاً لا عن أب للمسيح رعاه، ولا عن أسرة له أنجبته، ولكن عن أمّه التي خلّدت الأمومة في أنصح صفحات تاريخها الوضيء... تلك الأمومة الفدّة، التي تعرّضت لامتحانٍ رهيب، فلم تهن، ولم تتهالك، وإمّا شمخت بكلّ ما في كيانها من إباء متحديةً تحرّص المنتخرّصين، ولغط اللاغطين، ماضيةً على طريق المحامد، جاعلةً من الصفاء مادّةً للمناهل والموارد، حتّى أذعن بعفافها كلّ ضالٍّ وماردٍ في يوم تحقّقت فيه بشائر النبيّين الأوائل، وأعطيت الطوبى من كلّ الأمم والقبائل لمولاتنا الطهر البتول سيّدة نساء العالمين مريم ابنة عمران عليها أزكى السلام والرضوان.

## شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

لما أراد الله تبارك وتعالى أن يضرب مثلاً لنوره - ولله المثل الأعلى- شبّهه بالمشكاة التي فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري شديد الإضاءة يستمدّ وقوده من شجر الزيتون لشدة نقائه وصفائه، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ

لَا شَرَفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ يَكَادُ رَبُّهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوِّرُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>(1)</sup>.

ففي أي موضع جعل الله تعالى هذه الأمثال التي ضربها لنا؟ قال: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ..﴾<sup>(2)</sup>. وروى أنه لما نزلت هذه الآية المباركة سئل رسول الله ﷺ: أي بيوت هذه؟ فقال: «بيوت الأنبياء»<sup>(3)</sup>. من هذه البيوت العظيمة انتخب الله سبحانه مولاتنا الطهر البتول مريم العذراء عليها السلام.

فقد انحدرت عليها السلام من عائلة عريقة معروفة بالفضل والقداسة فيها الاصطفاء والاجتباء الإلهي حقيقة لا يرقى إليها الشك أبداً، وتمتد جذور هذه العائلة الطيبة بكل طهر وعفافٍ إلى أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام. وقد تحدّث عن ذلك الفرقان الحكيم ناقلاً لنا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(4)</sup>.

وفي هذه الآيات المباركة ألحق الله تبارك وتعالى سيدنا المسيح عليه السلام بالخليل إبراهيم عليه السلام، فعيسى من ذريته المباركة، وهذا الإلحاق كان من جهة أمه سيّدة النساء مريم ابنة عمران عليها السلام.

(1) سورة النور، الآية 35.

(2) سورة النور، الآية 36.

(3) فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها - وأشار إلى بيت علي وفاطمة؟ - قال رسول الله ﷺ: «نعم، من أفاضلها»، يراجع جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج6، ص203، طبعة دار الفكر، وقال: أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة، ورواه الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان، ج7، ص107، عن أنس بن مالك، وبريدة الأسلمي، وذكره الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، والألوسي في روح المعاني، وغيرهم.

(4) سورة الأنعام، الآيات 83 - 87.





المؤمنون»<sup>(1)</sup>. وقد حظي عمران بالاصطفاء الإلهي العظيم<sup>(2)</sup>، فهو صفة الله في زمانه، وعلى هذا الأساس قدّمه القرآن الكريم لنا. وقد سئل مولانا الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام عن عمران عليه السلام «أكان نبياً؟ فقال: «نعم كان نبياً مرسلًا إلى قومه، وكانت حنة امرأة عمران وامرأة زكريا أختين»<sup>(3)</sup>.

### والدة السيِّدة العذراء مريم عليها السلام

السيِّدة حنة بنت فاقوذا امرأة عمران. أضافها الله سبحانه إلى عمران العظيم والد السيِّدة مريم عليها السلام، فقال في محكم كتابه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(4)</sup>. وهذه الإضافة يقصد منها في القرآن الكريم تشريف والدة مريم عليها السلام حيث جاءت إضافتها إلى عمران عليه السلام عقب ذكر اصطفاء الله له ولآله على العالمين، وهي أيضاً من آله من جهة نسبها، ومن جهة إيمانها.

وكانت عليها السلام امرأة دقيقة التأمل كثيرة الدعاء والمناجاة معروفة بورعها واجتهادها في عبادة الله سبحانه، وقد عاشت في كنف زوجها سنواتٍ طويلةً ولم تُرزق ولداً فكانت تتألم بهرارة من العقم، وتتحسر على مولود تربّيه في أحضانها يكون خادماً لبيت الملك الديان، ويبقى به الذكر الطيب لآل عمران عليهم السلام. وكانت السيِّدة حنة متميِّزةً بين نساء قومها، معروفةً بعفتها وفضلها، وقد أشار إلى

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1263، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيحًا﴾ [سورة مريم، الآية 16].

(2) وبعيد جداً أن يكون عمران المذكور في آية الاصطفاء هو والد كليم الله موسى عليه السلام، وذلك لأنه لم يرد له ذكر في القرآن الكريم، وهو في كتب الأنساب والتاريخ عمران بن يصر بن قاهت بن لاوي ابن نبي الله يعقوب عليه السلام، وأما عمران والد السيِّدة مريم، فقد ذُكر في سورتين من كتاب الله تعالى، وبآيات ثلاث هي التي أوردناها. أضف إلى ذلك أن الفاصل الزمني بين عمران والد نبي الله موسى عليه السلام، وعمران والد السيِّدة مريم عليها السلام ثمانمائة سنة على أقل الروايات التي وردت في هذا الشأن، وإنه ليقنعنا معشر المسلمين أن نقول: إن عمران والد السيِّدة مريم عليها السلام غير عمران والد النبيين موسى وهارون عليهم السلام، حيث أخبرنا بذلك القرآن المنزّل من عند الله، فيجب علينا تصديقه، وعدم الالتفات إلى الشبهات.

(3) قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء عليهم السلام، ص، طبعة 1، مركز الدراسات الإسلامية، مشهد.

(4) سورة آل عمران، الآية 35.

ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧﴾ يَتَأَخْتُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾<sup>(1)</sup>. ففي هاتين الآيتين حكى القرآن الكريم ما كان عليه الناس من نظرة احترام وتقدير لطهارة وعفة عمران وحنة عليها السلام، ولذلك كانوا مستهجنين من ظاهر ما جاءت به السيدة مريم عليها السلام، لأن منبت الطهر والعفة لا يثمر إلا طهراً وعفة.

### حمل حنة بالسيدة مريم عليها السلام

روي في هذا الشأن العظيم عن عبد الله بن عباس<sup>(2)</sup> أنه قال: «ذلك أن أم مريم حنة كانت جلست عن الولد والمحيض، فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة إذ نظرت إلى طير يزق فرخاً له، فتحركت نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، فحاضت من ساعتها، فلما طهرت أتاها زوجها»<sup>(3)</sup>.

قال الإمام الصادق عليه السلام<sup>(4)</sup>: «إن الله تعالى أوحى إلى عمران إنني واهب لك ذكراً سوياً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك، وهي أم مريم، فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلام»<sup>(5)</sup>. ويقول عبد الله بن عباس: «فلما أيقنت -إمرأة عمران- بالولد قالت: لئن نجاني الله، ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرراً»<sup>(6)</sup>، وبنو ماثان (والد عمران) من ملوك بني إسرائيل

(1) سورة مريم، الآيتان 27-28.

(2) الحديث موقوف على عبد الله بن عباس، ولكن مثل هذا الخبر لا يُدرك بالرأي؛ أي: لا يمكن لابن عباس أن يتفوه به لو لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، فتأمل.

(3) علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج70، ص77.

(4) هو القائل: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»، يراجع الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص53، باب: رواية الكتب والحديث، وفضل الكتابة والتمسك بالكتب.

(5) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص535، كتاب الحجّة، أبواب التاريخ، باب: في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، وكان في ولده أو ولد ولده، فإنه هو الذي قيل فيه، حديث رقم 1.

(6) وإطلاق المحرّر على هذا المعنى إطلاق تشريف لأنه لما خلا لخدمة بيت المقدس، فكأنه حرر من أسر الدنيا وقبورها إلى حرية عبادة الله تعالى.

من نسل داوود، والمحرّر لا يعمل للدنيا ولا يتزوَّج، ويتفرَّغ لعمل الآخرة ويعبد الله، ويكون في خدمة المعبد.

ولم يكن يُحرَّر في ذلك الزمان إلا الغلمان، فقالت (حنة) لزوجها ليس جنس من جنس الأنبياء إلا وفيهم محرّر غيرنا، وإني جعلت ما في بطني نذيرة، تقول: قد نذرت أن أجعله لله فهو المحرّر»<sup>(1)</sup>. وعلم بنو إسرائيل ببشارة الله لصفية عمران وفرح جميع المؤمنين واستبشروا منتظرين قدوم هذا المولود العظيم.

وأما حنة امرأة عمران عليها السلام فقد نذرت لله تعالى نذرًا مباركًا ميمونًا، فخلد الباري لها نذرها في قرآن يتلى أثناء الليل وأطراف النهار: **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**<sup>(2)</sup>. والمتدبر في قولها: **﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾** يجد حنة العظيمة في تفانيها، لم تؤثر نفسها على ربها، بل آثرت ربها على ما تحب، فكل الدموع، والآهات، والحسرات، والقلب المتفطر شوقًا للأمومة وحنانها، لم تحل بينها وبين أن تقدّم ذلك الأمل الذي كُرِّمت به إلى أعلى من تحب، «رب العالمين»، مكفياًً بأمومة تقدّم ولدها خدمةً لبيت الله، راجيةً التفضل والقبول..

### مولد سيّدة نساء العالمين مريم عليها السلام

بعد أن بان الحمل على السيّدة حنة عليها السلام، واشتهرت ببشارة عمران بين الناس، كانت السيّدة الجليلة على موعد مع الحزن، فهذا الصفيّ عمران عليه السلام على فراش الاحتضار قد نزل به الموت، وأمر الله أعلى وإليه المصير، فما لبث عمران عليه السلام أن فاضت روحه

(1) علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج70، ص77.

(2) سورة آل عمران، الآية 35.

الطاهرة ولحقت ببارئها<sup>(1)</sup>، وكعاداتها استسلمت حنة لقضاء الله وقدره، فلم تتذمر ولم تشتك، ولم تعترض ولم تفعل إلا ما يرضى الرب تبارك وتعالى، ووجدت في جنينها ما يخفف عنها عوائد كلِّ الأحزان، فها هي تستمع إلى دقات قلبه المبارك، وتستشعر فيه السلوى عن والده الذي غيبه الموت، فلم تزل حنة على ذلك إلى أن جاء اليوم الذي تحققت فيه براهين الرجاء، وكانت حنة فيه قد أتمت مدّة حملها.

فلما حضرت ولادتها وحان وضعها تولّت أمرها أختها زوجة نبيِّ الله زكريا عليه السلام، وقوبل من نساء آل داوود عليه السلام، فتباشرت الحور العين لتلك الولادة، واحتفت زمر الملائكة بزيادة التقديس والتسبيح، فلما لاح صباح المنقبة الغراء، أعاد الله تألق شمس البرارة مع مشرق سيِّدة النساء الطاهرة البتول، وولدت «مريم عليها السلام»، نذيرة الرب وابنة البيت المقدس، وهي مجلّلة بالنور والبهاء.

### عظمة امرأة عمران وجلالة قدرها

وأما الجليلة حنة عليها السلام فبرحمة الله تعالى وبركته المصبوبة عليها وعلى ابنتها الميمونة مريم، فقد كانت لا تشكو وجعاً ولا مغصاً، ولا يعرض لها ما يعرض للنساء بعد الولادة، فكانت بمنتهى العزم والإقدام، والله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾<sup>(2)</sup>، وجملة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ هي من كلام الله الخالص لا من كلامه المحكي عن امرأة عمران، وهي جملة اعتراضية، وسرّها البلاغي الذي جيء بها من أجله هو: «دفع توهم غير المراد» حتّى لا يقع في فهم أحد أن قول امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ إخبار منها لله بأمر هو لا يعلمه - حاشا لله - بل إنّها تعتذر إلى الله عزّتْ ألوّه، وتتحسّر على عدم استطاعتها الوفاء بنذرها؛ لأنها نذرت أن تهب ما في بطنها لخدمة بيت الله

(1) عدة من الاحاديث تشير الى أن مريم عليها السلام ولدت وهي يتيمة الأب، منها ما روي عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام أنها: «ابتعت من ابها»، يراجع محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، تفسير العياشي، ج1، ص174، تفسير سورة آل عمران، طبعة المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج14، ص192.

(2) سورة آل عمران، الآية 36.

في أورشليم (القدس)، والذي يصلح لتأدية هذه الخدمة الذكور دون الإناث. وقد أسلفنا أنّ حنة لما حملت بمريم عليها السلام كانت تظنّ أنّ جنينها الذي تحمله في أحشائها ذكر، وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: «فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلام، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ وليس الذكر كالأنثى، أي لا تكون البنت رسولاً؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، فلما وهب الله تعالى لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران ووعده إياه، فإذا قلنا في الرجل منا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده، فلا تنكروا ذلك»<sup>(1)</sup>.

وقد ردّ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام على أحد الجاحدين، فقال: «أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران أنّي واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم ومريم من عيسى، وعيسى ومريم شيء واحد...»<sup>(2)</sup>.

وقد صور القرآن الكريم لنا عزم وإقدام السيّدة الجليلة حنة بقول الله تعالى المنقول عنها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(3)</sup>. وهذا وصف يؤكّد نقاء روح حنة، وإيمانها المطلق برّبها، وهي تختار لمولودها اسماً مرضياً ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾<sup>(4)</sup>، وهو اسم يرمز إلى الخدمة والعبادة<sup>(5)</sup>، وما كانت امرأة عمران تقصد من ذلك الاسم إلاّ الخادمة لبيت الله والعبادة؛ لأنّ الخدمة لا تنفكّ عن العبادة، وهذا هو الأحبّ إلى قلب الطاهرة حنة؛ فهي نموذج يقتدى به في علاقة العبد مع ربّه!

ثمّ توجهت إلى الله بثقة المطمئنّ قائلة: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ

(1) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص535، كتاب الحجة، أبواب التاريخ، باب: في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، وكان في ولده أو ولد ولده، فإنه هو الذي قيل فيه، حديث رقم 1.

(2) الشيخ الصدوق محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص155، حديث رقم3564، باب: نوادر العتق،

(3) سورة آل عمران، الآية 36.

(4) سورة آل عمران، الآية 36.

(5) وقد قيل: مريم يعني الخادمة، وقيل: مريم يعني العابدة، وقيل: مريم هو اسم آرامي معناه (السيّدة) أو (الأميرة). وكل ما ورد في معاني اسم السيّدة العذراء مريم عليها السلام يصرح بأنه اسم مبارك ميمون محفوظ في شغاف القلوب وفي مقل العيون.. ووصف السيّادة قرين اسمها.. كلما نطقه المؤمنون الصادقون.

(1) **الرَّجِيمِ** ﴿١﴾. وما تعويذها لمريم عليها السلام وذريتها إلا لبقى الطهر، ولتتحقق البشارة بالمنقذ المخلص والموعود المنتظر. وقد قبل الله نذرها، وهذا ما دلّ عليه قول الله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** .. ﴾ (2). هذه هي حنة أم مريم، وجدّة السيد المسيح عليه السلام: إيمان، وطهر، وتسليم، ويقين، وتوكل، فيجب على كل من يذكر السيدة العذراء مريم عليها السلام ألا ينسى الدور العظيم لأمها حنة عليها السلام.

(1) سورة آل عمران، الآية 36.

(2) سورة آل عمران، الآية 37.

## المفاهيم الأساسية

- انحدرت السيدة مريم عليها السلام من عائلة عريقة معروفة بالفضل والقداسة فيها الاصطفاء والاجتباء الإلهي، وتمتد جذور هذه العائلة الطيبة إلى أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.
- ألحق النبي عيسى عليه السلام بسلالة النبي إبراهيم عليه السلام من جهة أمه السيدة مريم عليها السلام.
- ذكر الطاهر عمران في القرآن الكريم مرّات عدّة، وقد صرح القرآن بأنه مصطفىّ هو وذريته على العالمين كحال آل إبراهيم عليهم السلام.
- جاء في الروايات أنّ عمران عليه السلام كان من الأنبياء وكان من صفوة أهل زمانه.
- السيدة حنّة بنت فاقوذا امرأة عمران عليه السلام هي أمّ السيدة مريم عليها السلام، وكانت عليها السلام امرأةً دقيقة التأمل كثيرة الدعاء والمناجاة معروفة بورعها واجتهادها في عبادة الله سبحانه، متميّزة بين نساء قومها، معروفة بعفتها وفضلها.
- عاشت حنّة في كنف زوجها سنواتٍ طويلةٍ ولم تُرزق ولداً فكانت تتألم بمرارة من العقم، وتتحرّس على مولود تربيّه في أحضانها يكون خادماً لبيت الملك الديان، ويبقى به الذكر الطيب لآل عمران عليهم السلام.
- دعت حنّة ربّها أن يهبها مولوداً تنذره للمعبد، فاستجاب الله دعاءها، وكان ولدها لا يزال جنيناً في بطنها عندما لحق عمران عليه السلام بالرفيق الأعلى.
- لما حضرت حنّة تولّت أمرها أختها زوجة نبيّ الله زكريا عليه السلام، وقوابل من نساء آل داوود عليهم السلام، فتباشرت الحور العين لتلك الولادة، واحتفت زمر الملائكة بزيادة التقديس والتسبيح.
- تحسّرت السيدة حنّة عند وضع طفلتها بعدم قدرتها على وفاء نذرها، فالأنثى لا تكون محرّراً ولا تكون رسولاً، لكنّ ربّها تقبلها بقبولٍ حسنٍ وقبل من حنّة وفاءها بنذرها بابنتها مريم عليها السلام.

## الدرس السادس:

### حياة السيدة مريم عليها السلام

#### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يذكر المراحل التي مرّت بها حياة السيدة مريم عليها السلام.
- يتعرّف إلى قصّة حمل ووضع السيدة مريم عليها السلام للنبي عيسى عليه السلام.
- يبيّن الأحداث التي جرت على السيدة مريم عليها السلام عند مواجهتها لقومها حتّى وفاتها.





## مريم في بيت الرب تبارك وتعالى

روي عن ابن عباس أنه قال: «خشيت حنة أم مريم أن لا تُقبل الأنثى محرراً، فلفتها في الخرقه ووضعتها في بيت المقدس عند القراء، فتساهم القراء عليها لأنها كانت بنت إمامهم، وكان إمام القراء من ولد هارون، أيهم يأخذها، فقال زكريا وهو رأس الأخبار: أنا أخذها وأنا أحقهم بها خالتها عندي -يعني أم يحيى-، فقال القراء: وإن كان في القوم من هو أفقر إليها منك، ولو تركت لأحق الناس بها تركت لأبيها، ولكنها محررة، غير أنا نتساهم عليها، فمن خرج سهمه فهو أحق بها، ففرعوا ثلاث مرات بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي أيهم يكفل مريم، يعني أيهم يقبضها، ففرعهم زكريا عليه السلام، وكانت قرعة أقلامهم أنهم جمعوها في موضع، ثم غطوها، فقالوا لبعض خدم بيت المقدس من الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم: أدخل يدك، فأخرج قلماً منها، فأدخل يده فأخرج قلم زكريا، فقالوا: لا نرضى، ولكن نلقي الأقلام في الماء، فمن خرج قلمه في جرية الماء، ثم ارتفع فهو يكفلها، فألقوا أقلامهم في نهر الأردن، فارتفع قلم زكريا في جرية الماء، فقالوا: نقترع الثالثة، فمن جرى قلمه مع الماء فهو يكفلها، فألقوا أقلامهم فجرى قلم زكريا مع الماء، وارتفعت أقلامهم في جرية الماء، وقبضها عند ذلك زكريا عليه السلام»<sup>(1)</sup>.

فتولّى شأنها كله، وأدخلها بيت الله، وبنى له فيه المحراب، ولئن غيَّب الموت عمران، وحُرِّمت مريم عليها السلام عطف الأبوة، فهذه النبوة بخدمتها في ظل الألفاظ الإلهية والعناية الربانية ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّمْ أُيْهُمُ يَكْفُلُ

(1) الحافظ ابن عساکر الدمشقي، تاريخ مدينة دمشق، ج70، ص78.

مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ»<sup>(1)</sup>، وما ذكر من كفالة زكريا عليه السلام للطاهرة العذراء هو المنسجم مع طبيعة الأمور، فهي أنثى نذرتها أمها لبيت الله، فلا يُعقل أن تبقى الطفلة المنذورة من دون عناية ورعاية، وإلا كيف سيكون حالها في بيت الربّ تبارك وتعالى؟

### صور من أحوال السيِّدة العذراء

بعد رضا الربّ تبارك وتعالى بنذر حنة عليها السلام، وقبول المنذورة المباركة مريم جاء دور إنباتها عليها السلام بالعناية الإلهية، فنبتت نباتاً حسناً في بدنها وخلقها وأخلاقها، ونشأت برعاية الله وتربيته لها، وترعرعت على عين نبيّ الله زكريا عليه السلام، وفي ذلك يقول عزت آلاؤه: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا»<sup>(2)</sup>.

والإنبات هنا فيه إشارة إلى طريق الكمال الذي رسمه الله تعالى، وجعل السيِّدة العذراء مريم عليها السلام تسلكه، وفيه إشارة أيضاً إلى الاستعدادات الكامنة فيها للسَّير في طريق التناهي والتمام. وقد روي عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله أنه قال: «كَمَلَمَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله»<sup>(3)</sup>.

وفي كفالة نبيّ الله زكريا عليه السلام للسيِّدة العذراء مريم عليها السلام يقول ابن عباس: «ربَّأها تربيةً حسنةً في عبادة وطاعةٍ لربِّها حتّى ترعرعت، وبنى لها زكريا محرّاباً في بيت المقدس، وجعل بابها في وسط الحائط لا يُصعد إليها إلا بسلم، وكان استأجر لها ظئراً<sup>(4)</sup>، فلما تمّ لها حولان طعمت وتحركت، فكان يغلق عليها الباب والمفتاح معه لا يأمن عليه أحداً، لا يأتيها بما يصلحها غيره حتى بلغت»<sup>(5)</sup>.

(1) سورة آل عمران، الآية 44.

(2) سورة آل عمران، الآية 37.

(3) قال الحافظ ابن عسّاك في كتابه الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، ص84، طبعة: 1، دار الفكر، دمشق: روى ابن رزين في مجموع الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «كَمَلَمَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع»، وساق الحديث، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج9، ص335، طبعة: 1، دار إحياء التراث العربي.

(4) الظئر: المرضع لولد غيرها في الناس، والظئر: هي المرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها.

(5) ابن عسّاك الدمشقي، تاريخ مدينة دمشق، ج70، ص79.

وقد روي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: «لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل، وتبتلت حتى أربت على الأحبار»<sup>(1)</sup> أي: تفوقت عليهم، وقال المفسرون: «أخذ لها زكريا مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواه، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سداثة (خدمة) البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلاً ونهاراً حتى صارت يُضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة... ويقال إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفتطرت قدمها»<sup>(2)</sup>. وكان نبيُّ الله زكريا عليه السلام قد كبرت سنّه، وليس له ولد، وامرأته عاقرة. والذي يظهر أنّ سلوك السيدة مريم عليها السلام وعبادتها وتفانيها في الحقِّ ورزق الله إياها قد أثرت في نبيِّ الله زكريا عليه السلام، فانطلق من جديد يدعو الله ويناجيه. وقد روي عن ابن عباس: «كان زكريا يستأذن عليها، فتأذن له فيدخل عليها يسلم عليها، فتأتية بمكتل عندها، فتضعه بين يديه، فيجد فيه زكريا عنباً في غير حين العنب، فيقول ﴿يَمْرُؤُا أَيُّ لِكَ هَذَا﴾»<sup>(3)</sup>، فتقول ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾»<sup>(4)</sup>، فرغب زكريا في الولد، فدعا ربّه، فأوحى الله إليه يشره بيحيى»<sup>(5)</sup>، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾»<sup>(6)</sup>.

ومرت السنون على الصديقة الطاهرة مريم عليها السلام، وهي في انقطاعها، وفيّة لنذر أمّها الصالحة، ملتزمة بالعبادة، طائعة، حتى بلغت سنّ الشباب، وها هي ملائكة الله تخاطبها وتخبرها باصطفاء الله لها وتطهيره إياها واصطفاءها مرّة بعد مرّة، وحثّوها على مزيد من الطاعة والعبادة والصلاة، فقالوا لها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

(1) محمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج3، ص121، طبعة: دار الفكر، بيروت.

(2) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج2، ص58-59، طبعة: دار الفكر.

(3) سورة آل عمران، الآية 37.

(4) سورة آل عمران، الآية 37، أي من الجنة وهذه تكرمة من الله تعالى لها، وإن كان ذلك خارقاً للعادة، فإنه يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء.

(5) ابن عساكر الدمشقي، تاريخ مدينة دمشق، ج70، ص83،

(6) سورة آل عمران، الآية 38.

وَأَصْطَفَكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَمْرَيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾<sup>(1)</sup>.  
فانقطعت الطاهرة عن الناس وصارت قلماً يرى شخصها لانشغالها بعبادة الله سبحانه، فأكبرت الملائكة سيدتنا الطهر البتول مريم، وبشرتها بأن الله أراد لها أمومةً فريدةً ما حدثت لامرأة قبلها ولا تحدث لامرأة بعدها، وتحقق بذلك بشارة أبيها الصفي عمران عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾<sup>(2)</sup>.

### حمل السيِّدة مريم عليها السلام

ضربت السيِّدة مريم عليها السلام على نفسها الحجاب، وابتعدت عن الناس، وأصبح لا يراها أحدٌ ولا ترى أحداً، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٧﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾<sup>(3)</sup>.  
وذات يوم وبينما مريم غارقة في تفكرها وتأملاتها، يتلألاً نورها، فإذا بها ترى إنساناً لا تدري كيف اخترق الحجاب ودخل عليها. وقد صور القرآن الكريم ما رأت بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾<sup>(4)</sup>، وإمّا ظهر لها في صورة البشر، فهو كذلك في ظرف إدراكها لا في نفسه، فخاطبته باستعاذتها، مستعملةً اسم الرحمن؛ لتكون الرحمة هي السبيل في مثل هذه المواقف الصعبة، فإن كان من أهل الرحمة، والتقى، تأثر بالاستعاذة<sup>(5)</sup>، وكشف هويته الصادقة، وما يحمل من رسالة، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ

(1) سورة آل عمران، الآيتان 42-43.

(2) سورة آل عمران، الآيات 45-49.

(3) سورة مريم، الآيتان 16-17.

(4) سورة مريم، الآية 17.

(5) روي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «علمت أن التقى ينهات التقى عن المعصية»، يراجع الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج6، ص411، طبعة: مؤسسة الأعلمي، بيروت.

مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا»<sup>(1)</sup>، فأجابها: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾<sup>(2)</sup>.  
 والله تعالى أعلم بحالها في ذلك الوقت، إلا أنها ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي  
 بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾<sup>(3)</sup>، ويتوجه إليها الملاك: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ رَ  
 آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾<sup>(4)</sup>، إشارة إلى تحتم القضاء في أمر هذا الغلام  
 الزكي، فلا يردّ بإباء أو دعاء.  
 فتقدم الملاك ونفخ فيها من روحه: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا  
 وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(5)</sup>، والأغراض الإلهية أعظم من أن يحيط بها فهم أو يفني  
 بتمامها لفظ<sup>(6)</sup>.

### حمل السيدة مريم عليها السلام

اختلفوا في حمل مريم عليها السلام، وهل حملت حملاً كسائر النساء أخذ مدته المعهودة،  
 أم أنّ حملها كان على غير عادة النساء؛ فحملت في زمنٍ قريبٍ ليس بالفترة التي يعهدها  
 النساء في حملهن.  
 لم يرد نصّ قطعيّ في تحديد فترة حملها بالسيد المسيح عليه السلام، وجُلّ ما ورد في ذلك  
 اختلف فيه المفسرون والرواة، ف قيل: حملت ساعةً واحدةً، وقيل: تسع ساعات وكلّ ساعةٍ  
 بشهرٍ، وقيل: ستة أشهرٍ، وقيل إنها حملت به ثمانية أشهرٍ، وروي عن ابن عباس أنّه قال:

(1) سورة مريم، الآية 18.

(2) سورة مريم، الآية 19.

(3) سورة مريم، الآية 20.

(4) سورة مريم، الآية 21.

(5) سورة الأنبياء، الآية 91.

(6) ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ قد ذكر الباري عزت آلاؤه بعضاً من ماهية الغرض من خلق السيد المسيح عليه السلام على هذا النهج الخارق للعادة، وهو معطوف على مقدّر؛ أي خلقناه بنفخ الروح من غير أب لكذا وكذا، ولنجعله آية للناس بخلقته ورحمة منا برسالته، والآيات الجارية على يده، حذف بعض الغرض، وعطف بعضه المذكور عليه كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية 75]، وفي هذه الصنعة إشارة إلى أن الأغراض الإلهية أعظم من أن يحيط بها فهم أو يفني بتمامها لفظ.

فما هو إلا أن حملته فوضته<sup>(1)</sup>، وروي عنه خلاف ذلك بروايتين متعارضتين<sup>(2)</sup>.  
 وروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «إن جبرائيل تناول جيب مدرعتها  
 فنفخ فيه نفخة، فكمّل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النساء  
 تسعة أشهر، فخرجت من المستحم، وهي حاملٌ مُثقلٌ، فنظرت إليها خالتها، فأنكرتها،  
 ومضت مريم على وجهها مستحيّةً من خالتها، ومن زكريا»<sup>(3)</sup>. وهناك من قال: «إن الآية  
 الكريمة دلّت صريحاً على أنّ الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور، من غير مهلة،  
 فالمولى سبحانه وتعالى استخدم حرف العطف الفاء ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ  
 النَّخْلَةِ﴾، فالآية حسمت الخلاف إذا نظر في استخدام الحروف العاطفة فيها، ولكنه رُدّ  
 أيضاً على هذا الكلام»<sup>(4)</sup>، والله تعالى أعلم.

### مولد السيّد المسيح عليه السلام

بعد أن أدّى الروح الأمين ما كلفه الله تعالى به: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ  
 فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾<sup>(5)</sup>، غاب الملاك عن عين الطاهرة البتول، فأدركت عليها السلام  
 أنها مقبلة على أيام صعبة، وأنها تتحمّل مسؤولية كبرى. كيف ستجمع بين ما بشرتها به  
 الملائكة من أنها تحمّل في أحشائها روح الله وكلمته، وبين موقفها بين يدي الناس، قلقاً،  
 مضطربةً، خائفةً.

يعزّ عليها أن لا تُصدّق! ومن يصدّق؟ حملٌ وطفلٌ من غير أب، فتورات عن الأنظار،  
 ومرّ وقت حملها، وأحسّت مريم بآلام الحمل وهي تسير إلى مكانٍ قصيٍّ ﴿فَحَمَلَتْهُ

(1) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج2، ص65.

(2) المصدر نفسه.

(3) الفضل بن الحسن الطوسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج6، ص415-416، العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج14، ص225.

(4) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج2، ص66.

(5) سورة التحريم، الآية 12، والنفخ فيها من الروح كناية عن عدم استناد ولادة عيسى عليه السلام إلى العادة الجارية في كينونة  
 الولد من تصور النطفة أولاً ثم نفخ الروح فيها فإذا لم يكن هناك نطفة مصورة لم يبق إلا نفخ الروح فيها، وهي الكلمة  
 الإلهية كما قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ «سورة آل عمران، الآية 59، أي  
 مثلهما واحد في استغناء خلقهما عن النطفة، يراجع العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج17، ص313.

**فَأَنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**<sup>(1)</sup>، وجلست تحت جذع نخلة تفكر في أمرها، وما سيكون عليه حالها بعد ولادتها، واقتربت ساعة الولادة وبشائر المولود. إنها وحيدة في صحراء لا عشب فيها، ولا ماء، ولا ظل، ولا أحد، والحامل في لحظات الوضع، بحاجة إلى مساعدٍ. يا لها من لحظات، **﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾**<sup>(2)</sup>، فتمنت أن لو كانت قد ماتت قبل أن يحدث لها ما حدث. ويصور القرآن الكريم هذا المنظر بقوله تعالى: **﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾**<sup>(3)</sup>. -وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من سوء»<sup>(4)</sup>، - وبينما هي على هذا الحال «ولد المخلص، والسيد العظيم» نفخة نورانية من أحشاء نورانية.

وإذا مريم عليها السلام تسمع صوتاً رقيقاً، يدخل قلبها، وتلتفت. يا إلهي من صاحب الصوت؟ إنه يناديها من تحتها<sup>(5)</sup>، **﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا مَحْزُونِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾**<sup>(6)</sup>، قيل ضرب جبرائيل عليه السلام برجله، فظهر ماء عذب. والمروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ضرب عيسى برجله، فظهرت عين ماء تجري»<sup>(7)</sup>.

(1) سورة مريم، الآية 22.

(2) سورة مريم، الآية 23.

(3) سورة مريم، الآية 23.

(4) علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، النكت والعيون، ج3، ص364، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، والفضل بن الحسن الطوسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج6، ص415-416.

(5) يقول أكثر المفسرين إن الذي ناداها من تحتها هو عيسى المسيح أو جبريل عليه السلام، وعلل بعضهم هذا القول بأن الفاعل مستتر، وقال آخرون إن الذي ناداها هو جبرائيل عليه السلام لأن العذراء عليها السلام لحظة ولادتها كانت أعلى الأكمة، وجبريل عليه السلام كان تحتها أسفل الأكمة، ولكن من تأمل الآيات الواردة في هذا الشأن العظيم يعلم أن كلام جبريل قد ختم بما نقله الله تعالى عنه: **﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْبٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾**، وجاء بعده قول الله سبحانه: **﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾** ومن استنطق سياق الآيات التي أتت بعد هذه الآية المباركة، وأعاد الضمائر إلى الآية السالفة الذكر يجزم أن الذي نادى البتول العذراء من تحتها هو ولدها العظيم عيسى المسيح عليه السلام، وذلك أشد إزالة لما خامر قلبها من الاغتمام.

(6) سورة مريم، الآيتان 24-25.

(7) الفضل بن الحسن الطوسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج6، ص415-416.



نظرت الطهر البتول فرأت من آيات الله ما يرد إليها يقينها، ويملؤها ثقةً تواجه بها العالم، وتتحدى الدنيا، إنه السيد المسيح الذي بشرت به يطلب منها هزّ جذع النخلة (وقيل إنها كانت يابسة) فتساقط عليها الرطب، ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾<sup>(1)</sup>، فأكلت وشربت وقرت عيناً. ولكن هذا لم يكن آخر المطاف، بل علم الله الخبير بالهواجس التي تدور في نفس مريم وخوفها من مواجهة قومها بهذا المولود، ولذلك أمرها أن تصوم عن الكلام، ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾<sup>(2)</sup>، فامتثلت لأمر الله تعالى.

### عودة السيدة مريم عليها السلام إلى قومها

بين ذراعَيْها الطاهرتين حملت السيدة مريم عليها السلام ابنها الحبيب بكل اعتزازٍ وفخرٍ، مؤمنةً بأن الله الذي رأت فضله وقدرته لن يتخلى عنها مصدقةً بوعده، وعادت عليها السلام وهي تجرّ الخطى بثقلٍ متعبةً قاصدةً بيت الربّ في اورشليم (القدس)، ﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾<sup>(3)</sup>. وبينما هي تسير، رآها قومٌ من اليهود، فتعجبوا من ذلك وأقبلوا عليها لائمين ومعنفين بكلامٍ قد أسقطت منه كلّ معاني الحياء والأدب.. شائعاتٍ واتهاماتٍ وأقاويل، ﴿وَبِكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾<sup>(4)</sup>.

وكما هو الأمر في كلّ حدثٍ مفاجئٍ يلفّ الكهنة صمتٌ وذهولٌ.. لا كلام، ولا جواب أمام ثرثرة الناس.. وصلت مريم الساحة، وتعالّت الأصوات ﴿قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾<sup>(٧)</sup> يتأخّت هرون ما كان أبوك أمراً سوءاً وما كانت أمك بغيّاً<sup>(5)</sup>، ما كان هذا هو العهد ببيت الطهر. أما استوقفك إرثك، والمنبت الصالح، وجذورك الممتدة إلى هارون،

(1) سورة مريم، الآية 26.

(2) سورة مريم، الآية 26.

(3) سورة مريم، الآية 27.

(4) سورة النساء، الآية 156.

(5) سورة مريم، الآيتان 27-28.

وأملك شمس العفة التي تشرق على الدنيا<sup>(1)</sup>؟

ومن ثم تبدأ محاكمتها بالسخرية اللاذعة، والتوبيخ المهين، ولا يحرك ذلك ساكناً فيها، ولا تهتز ثقتها بالله، ولا تزيد عن أن تشير إلى ابنها ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾<sup>(2)</sup>، فجعلتهم واجمين حتى كأن على رؤوسهم الطير، ولكنها تحدّث قومها بما لم يعهدوه، فلا تقنعهم إجابتها، بل يرون فيها تهكماً بهم، فيردون عليها وهم في ذروة انفعالهم منكرين ذلك عليها: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾<sup>(3)</sup>!

عندها تكلم رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم ليبرئ ساحة أمه القديسة من كل اتهام باطل نسبه إليها الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه، فها هو الكون يهتز، والناس يضطربون، والغطاء يكشف، والحق يصدع، بلسان لا يُرقى إليه، ومعجزة هي الجواب عن كل الافتراءات: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَفِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

### حياة السيدة مريم بعد ولادة المسيح عليه السلام

«تحدّث القرآن الكريم عن السيدة مريم بصورةٍ اجماليةٍ، ملقياً الضوء على مفاصل أساسيةٍ وحساسةٍ من حياتها. وقد أظهرها بحلّتها المرصعة بالعفة والطهر، وأنها دخلت التاريخ من باب الإعجاز الذي ما فارقها وهي تضمّ ولدها المسيح عليه السلام، وتقف مواقف العزة والكرامة.

(1) اتخذ اليهود من مولد السيد المسيح عليه السلام، حيث لم تستطع عقولهم القاصرة وقلوبهم المنكرة أن تستوعبه، مدعاة للظعن فيه، واعتقدوا أن المسيح عليه السلام ولد من الفحشاء، وأن مريم أتت به بطريق بشري غير شرعي، وهذا الأمر ليس غريباً على اليهود الذين تناولوا على خالقهم، وقتلوا أنبياءهم، ورموهم بالعظام.

(2) سورة مريم، الآية 29.

(3) سورة مريم، الآية 29.

(4) سورة مريم، الآيات 30-34.

فبالمعجزة كانت تبرئتها، وبالإعجاز كانت حياتها وسيرتها، ولم يتحدث القرآن الكريم عن حياة السيدة مريم بعد ولادة السيد المسيح إلا بالقدر الذي أكد أن المولود هو السيد المسيح المخلص، وهو بشارة الأنبياء، وولادته المعجزة، التي حارت بها العقول، فتقاذفتها أوهام، وتشكيكات، كان لا بد من ردّها بإيضاح الصورة الجليّة، والحق المنير طهراً، ونقاء، وعفة، وكرامة، وألطافاً، وكل ذلك بفضل الله تعالى...

### وفاة السيدة مريم عليها السلام

ومع اختلاف التفاسير والتحليل التي تناولت وفاة السيدة مريم، فإن حدثاً تاريخياً عظيماً يتعلّق بامرأة حملت السرّ الإلهي، تجعل المرء يتساءل: كيف لا يُحفظ بأحرف من نور؟ كيف لا يُحفظ هذا الحدث بدقّة تفاصيله، وروعة مجرياته؟ ولكن مع كلّ أسف، فإنّ هذا الحدث ككثير من القضايا التاريخية التي تناولتها الاجتهادات والتحليل بعيداً عن الواقع، ضاعت حقيقته في زوايا الرغبات، والتقاليد، والعادات، والعصبيّات، حتّى أنك لا تجد في أغلبها سبيلاً إلى موضوعيّة، أو أمانة تاريخية... وتبقى هذه القضية - موت السيدة مريم - معلّقة كسائر القضايا التاريخية الغامضة. أمّا القدر المتيقن الذي لا يُختلف فيه فهو أنّ مريم قد ماتت كما هو سبيل كلّ إنسان ومخلوق. عاشت مريم عليها السلام طيبةً عزيزةً كريمةً، وماتت بأجمل صورة. عرّجت روحها إلى خالقها، لتستقرّ وترتاح في واسع الرحمة، في ساحة قدسيّة العظمة، وقد قام السيد المسيح عليه السلام بدفنها...<sup>(1)</sup>.

(1) الشيخ محمد حسن يزبك، عفة وعبادة، مريم العذراء أم المسيح في القرآن الكريم. وفي ترجمتنا هذه للسيدة مريم عليها السلام قد استفدنا كثيراً من سفره العظيم.

## المفاهيم الأساسية

- وضعت مريم في بيت المقدس، وكان ينبغي لأحد أن يتولى أمورها ويرعاها، وقد وقع الخيار الإلهي على النبي زكريا عليه السلام.
- تنازع القوم في مسألة كفالة مريم عليها السلام فافترعوا لذلك ثلاث مرات، وكانت القرعة تقع على زكريا عليه السلام في كل مرة.
- ربّي زكريا عليه السلام مريم عليها السلام تربيةً حسنةً في عبادةٍ وطاعةٍ لربّها حتى ترعرعت، وبنى لها محراباً في بيت المقدس، وجعل بابه في وسط الحائط لا يُصعد إليها إلا بسلم، واستأجر لها مرضعةً، فلما تمّ لها حولان طعمت وتحركت، فكان يغلق عليها الباب والمفتاح معه لا يأمن عليه أحداً.
- بعد بلوغها كانت تصوم نهارها وتقوم ليلها حتى صارت عبادتها مضرب مثلي في بني إسرائيل، وظهرت منها الكرامات والصفات الشريفة.
- خاطبت الملائكة السيدة مريم عليها السلام وأخبرتها باصطفائها على نساء العالمين، فانقطعت الطاهرة عن الناس وصارت قلماً يرى شخصها لانشغالها بعبادة الله.
- جاء الوحي إلى السيدة مريم عليها السلام يبشّرها بكلمة الله عيسى، فحملت به عليها السلام. وقد اختلفت الأقوال في مدّة الحمل إن كان حمل ساعاتٍ أو أشهرٍ أو لحظاتٍ.
- ابتعدت مريم عليها السلام عن قومها، وقد حان موعد الولادة، وضعت ابنها المبارك في تلك اللحظات، وفجرت لها عين تشرب منها، وهزّت جذع النخلة وأكلت منها الرطب، وأمرت بأن تصوم لله فلا تتكلم مع أيّ بشرٍ.
- عادت السيدة مريم عليها السلام إلى قومها تحمل وليدها المبارك، فأنكروا ذلك عليها واتهموها، فأنطق الله تعالى نبيّه ليبرئ ساحة القديسة أمّه ويعلن عن نبوّته أمام الملائكة.
- اختلفت الآراء حول موت السيدة مريم عليها السلام. ولا خبر قطعياً في كيفيته. وقد قام السيّد المسيح عليه السلام بدفنها، ثمّ خاطبها كما في بعض الروايات، فأجابته.







## تمهيد

هي من زمرة أولياء الله الذين شاء لهم الحق سبحانه وتعالى العظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض. فهي سلام الله عليها درّة من الدرر المكنونة المصونة، وعظيمة من العظيّمات اللّآتي بلغن أوج العظمة وذروة الشرف وقمة الفضيلة. شخصيّة كلّما ازداد البشر نضجاً وفهماً للحقائق واطّلاعاً على الأسرار، ظهرت لهم عظمتها بصورةٍ أوسع، وتجلّت معانيها ومزاياها بشكلٍ أوضح، هي السيّدة آمنة بنت وهب.

وهي تمثّل أشرف ما في المرأة من إنسانيّة وكرامة، وعفّةٍ وقداسةٍ، وحشمةٍ مرعيةٍ.. إلى ما كانت عليه من ذكاء وقاد وفطنة حادّة ونفس طاهرة مطهّرة ونجابهة وكمال، وحسبها من الشرف المتين، والكرم المبين، والفخر الممكن غاية التمكين أن أكرمها الله تعالى بأن جعلها الوعاء المبارك لأشرف سلالة عرفتها البشرية، فصارت أمّاً لصفوة الخلق رسول الله الأكرم محمد ﷺ، وجدّة للسادة الأشراف نسل النبي الأكرم ﷺ، وقد كانت محلّ تقديس وإكبارٍ من قبل أمة العترة النبوية الطاهرة ﷺ.

## نسبها الواضح

السيّدة الشريفة آمنة بنت وهب قرشية زهرية من سليلة بيت زهرة، وهي أسرة قرشية كريمة يُشهد لها بنصاعة الحسب والنسب والفضل.  
أبوها: وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مّرة بن كعب بن لؤي بن غالب



بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، القرشي سيّد بني زهرة شرفاً وحسباً<sup>(1)</sup>، وفيه يقول الشاعر:

يا وهب يا بن الماجدين زهرة  
سُدت كلاباً<sup>(2)</sup> كلها ابن مرة  
بحسبٍ زاكٍ وأمٍّ حرّة<sup>(3)</sup>

ولم يكن نسب السيدة آمنة من جهة أمها دون ذلك عراقاً وأصالةً، فأما: برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، القريشية<sup>(4)</sup>. وعليه فالسيدة آمنة عليها السلام من ناحية أبيها وأمها من سلالة طيبة وأصل أصيل، ونسبٍ يُعزّز به، ويجتمع بوسائط قريبة مع نسب والد النبي الأكرم عليه السلام إذا بلغا إلى كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وهو الجدّ الثالث لآمنة عليها السلام، وهو ملتقى نسب والد النبي عليه السلام بنسب أمه. والملاحظ أنّ السيدة آمنة عليها السلام أقرب نسباً إلى كلاب من والد النبي عليه السلام عبد الله عليه السلام برجل واحد، فهي تجتمع مع والد النبي الأكرم في جدهما الأعلى: كلاب، وقد كان زهرة الولد البكر لكلاب بن مرة، والشقيق الأكبر لقصي الذي جمع قريشاً بعد تشتت، كما أنّ جدة السيدة آمنة لأبيها هي عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال السلمية، إحدى النساء اللواتي اعتزّ

(1) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، ج1، ص292، طبعة: دار الجيل، بيروت.  
(2) كان مولعاً بالصيد بالكلاب وكان يجمعها، فيسأل عنها، فيقال هذه كلاب بن مرة، فلقب كلاباً، واسم كلاب: المهذب، يراجع كتاب الثقات لمحمد بن حبان، ج1، ص22، طبعة:1، دار الفكر، وقيل: عروة. وقيل حكيم، وهو الجد الثالث للسيدة آمنة عليها السلام، وهو ملتقى نسب والد النبي عليه السلام بنسب أمه، وقد كان سيداً كريماً مطاعاً في قومه يجير الملهوف ويدفع الظلم، وقد قال بعض العرب: حكيم بن مرة ساد الوري...ببذل النوال وكفّ الأذى، يراجع سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج1، ص276، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.  
(3) مصعب الزبيري، نسب قريش، ج1، ص261، طبعة:3، دار المعارف، القاهرة، إلا أنه قد يكون الأصل: « يا بن الماجد بن زهرة».

(4) المصدر نفسه، ج1، ص20-21، حكاة عمدة أهل النسب ابن الكلبي، ومصعب الزبيري، وابن جرير الطبري، والبلاذري، وابن حزم الظاهري في جمهرته، وابن سعد في طبقاته، ورواه ابن عساکر في تاريخ دمشق، وغيرهم.

بِهِنَّ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ لَمَّا قَالَ: «أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ»<sup>(1)</sup>.

وَجَدَّ السَّيِّدَةَ آمَنَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: عَبْدُ مَنْفَى بْنِ زَهْرَةَ يُقْرَنُ اسْمُهُ بِابْنِ عَمِّهِ عَبْدُ مَنْفَى بْنِ قَصِيٍّ جَدِّ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ يُقَالُ: الْمَنْفَانُ، تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا. وَزَهْرَةُ<sup>(2)</sup> بِنْتُ كَلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، هُوَ الْأَخُ الشَّقِيقُ «لِقَصِيٍّ» جَدُّ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ. وَبِذَلِكَ التَّقَى فِي مَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِيرَاثَ آبَائِهِ الْهَاشِمِيِّينَ، وَأَخْوَالِهِ الزَّهْرِيِّينَ، وَبِهِ ﷺ شَاعَ ذِكْرُ الْمَنْفَانِ، فَهُوَ شَرَفُ الْأَشْرَافِ، وَفَخْرُ آلِ عَبْدِ مَنْفَى، وَقَدْ شَدَّ اللَّهُ أَرْكَانَ مَجْدِهِمُ الْعَرِيقَ الْعَتِيقَ بِهَذَا النَّبِيِّ الْأَمِيِّ، فَاحْتَازُوا الْمَجْدَ عَنْ آخِرِهِ، وَفَازُوا مِنْ شَرَفِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِمَا تَعَجَزَ أَلْسِنَةُ الْبَلْغَاءِ عَنْ أَدْنَى مَفَاخِرِهِ.

فَنَسَبُ السَّيِّدَةِ آمَنَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ نَسَبُ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ، وَهُوَ أَشْرَفُ الْأَنْسَابِ قَاطِبَةً، وَحَسَبُهَا حَسَبُهُ ﷺ، وَهُوَ خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ.

فَيَا لِافْتِخَارٍ فِيهِ آمَنَةٌ عَلَّتْ

عَلَى كُلِّ مَنْ تَعْلُوهُ شَمْسٌ وَكَوْكَبٌ<sup>(3)</sup>

وَقَدْ اعْتَنَى النَّسَابُونَ وَالْعُلَمَاءُ، وَالشُّعْرَاءُ وَالْأَدْبَاءُ بِنَسَبِهِ الشَّرِيفِ نَثْرًا وَنِظْمًا، وَنَقَّبُوا عَنْ آبَائِهِ الْأَمْجَادِ وَأَمْهَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ الْمِيلَادِ أَبًا فَأَبًا، وَأُمَّ فَأُمَّ، فَرَادُوا مِنْ ذَلِكَ الْفَخَارِ حَدَائِقَ غَلْبًا، وَسَادُوا مِنْ شَرَفِ تِلْكَ الْأَثَارِ مِرَاقِي شُمًّا.

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعَلَا بِحُلَاهِ

قَلْدَتُهُ نَجْمُهَا الْجَوْزَاءُ

حَبْذَا عَقْدٌ سَوْدِدٌ وَفَخَارٌ

أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ<sup>(4)</sup>

(1) ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج5، ص51، طبعة 4: دار الكتب الإسلامية، طهران، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، ج7، ص168، حديث رقم 6714، طبعة: 2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ورواه سعيد بن منصور في سننه، والحافظ ابن عساكر الدمشقي بسند رجاله ثقات،.....، وغيرهم.

(2) قال شيخ أهل النسب هشام الكلبي: إن اسم زهرة (المغيرة)، والزهرة في اللغة: إشراق في اللون، أي لون كان.

(3) من قصيدة للشاعر عمر الأنسي.

(4) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري.

## نشأتها عليها السلام :

ولدت السيِّدة آمنَة عليها السلام في حدود منتصف القرن السادس الميلاديّ، في مكّة المكرّمة في جوار البيت العتيق، في ذلك المكان من أمّ القرى الذي يسعى إليه الناس من كلّ فجٍّ عميق، ملبين الأذان الذي أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام أن يرفعه.

هناك في البيئَة التي لا يخفى عليها ما لآمنة عليها السلام من حسب ونسب<sup>(1)</sup>، وطيب محتد وأرومة، ولدت السيِّدة آمنَة ونشأت، فكانت عليها السلام أفضل بنات قريش، ومن ثمّ نساءها، وأكرم امرأة فيهم لا يجاربيها في ذلك إلا سيِّدة نساء أهل الجنة أمّ المؤمنين خديجة الكبرى، والسيِّدة العظيمة فاطمة بنت أسد بن هاشم، وبنات شيبَة الحمد سلام الله عليهنّ جميعاً. يقول العباس بن عبد المطلب: «كانت - آمنَة - من أجمل نساء قريش، وأتمّها خلقاً»<sup>(2)</sup>.

وكانت على جانب عظيم من الفصاحة والبلاغة لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب. وقد كان الأنصار يفتخرون بأنهم أخوال آمنَة وعبد الله عليه السلام ولسان حالهم ما نطق به حسان بن ثابت مادحاً للنبي صلى الله عليه وآله ومفتخراً بأنهم قد ولدوه من جهة أمه آمنَة، وولدوه من جهة أبيه، فقال:

يا بَكر آمنَة المبارك بكرها

ولدته محصنة بسعد الأسعد

ولقد ولدناه وفينا قبر

وفضول نعمته بنا لم يجحد

نوراً أضاء على البرية كلها

من يهد للنور المبارك يهتد<sup>(3)</sup>

وقالت قتيلة بنت النضر القرشية أخت بني عبد الدار مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم

فتح مكة، وعلى الرغم من أمره بقتل أخيها، ومع كل عداة قومها له صلى الله عليه وآله :

(1) الحسب: ما يعدّ من مفاخر الآباء والأمهات، والنسب: هو الوجه الذي يحصل به الإلقاء من جهة الآباء.

(2) الشيخ الصدوق محمد بن علي القمي، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص175، طبعة:2، الدار الإسلامية، طهران.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج6، ص92، والروض الأنف للسهيبي، ج4، ص458.

أَمَحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ

فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعَرَّقٌ<sup>(1)</sup>

نشأت السيِّدة آمنة عليها السلام نشأة الخير، وعُرفت بالعفة والطهر، والشرف والكرامة، وكانت تتحلَّى بالفضائل والمحاسن وضيئة الطفولة، طهورة الشباب؛ فلم يشب نقاء صباها ريبة، ولم تهف بقدس شبابها نزعة من هوى، وقد ظلت في خدرها محجوبةً عن العيون مصونةً عن الابتذال حتى ما يكاد الرواة يتبينون ملامحها، وكانت عليها السلام في كل أطوار حياتها الكاملة في الأدب والخلق، ومع حكمة العقل وسمو العاطفة اللذين كانت تتصف بهما عليها السلام، أبت إلا أن تزينهما بزينة التواضع، يشهد لها بذلك الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(2)</sup>، لما جاؤوه برجل ليكلّمه، فأرعد الرجل، فقال له رحمة الله المهداة عليها السلام: «هَوْنٌ عَلَيْكَ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ<sup>(3)</sup> فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ»<sup>(4)</sup>، وهذا تواضع منه عليها السلام أيضاً، وبيان لتواضع أمه السيِّدة آمنة عليها السلام.

### كريمة قريش

إن من يتتبع سيرة هذه السيِّدة العظيمة، والأمّ الرووم، يجد أنها كانت زهرة قريش وكريمتها بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. بهذا نطق عبد المطلب عليه السلام لما قال له سيف بن ذي يزن بعد حديثٍ طويلٍ جرى بينهما: «إِذَا وُلِدَ بَتِهَامَةٌ غَلَامٌ بِهِ عَلَامَةٌ، كَانَتْ لَهُ الْإِمَامَةُ، وَلَكُمْ بِهِ الزَّعَامَةُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.....، هَذَا حِينَهُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ أَوْ قَدْ وُلِدَ، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، بَيْنَ كَتْفَيْهِ شَامَةٌ<sup>(5)</sup>، يَمُوتُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ، وَيَكْفُلُهُ جَدُّهُ وَعَمُّهُ، وَقَدْ وُلِدَانَهُ مَرَارًا، وَاللَّهُ بَاعَثَهُ جَهَارًا، وَجَاعَلَ لَهُ مَنًّا أَنْصَارًا، يَعِزُّ بِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَذَلُّ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ، وَيَضْرِبُ بِهِمُ النَّاسَ عَنِ عَرْضٍ، وَيَسْتَبِيحُ بِهِمْ كَرَائِمَ الْأَرْضِ، يَعْبُدُ الرَّحْمَنَ، وَيُدْحِرُ الشَّيْطَانَ، وَيَكْسِرُ

(1) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي السهيلي، الروض الأنف، ج3، ص217.

(2) سورة النجم، الآيتان 3-4.

(3) القديد: من اللحم ما قطع طولاً ومُلِحَ وجُفِفَ في الهواء والشمس، يراجع المعجم الوسيط، ج2، ص718.

(4) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج2، ص506، طبعة دار الكتب العلمية، عن جرير بن عبد الله البجلي، ورواه

الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص16، طبعة:4، قم، رواه عن أبو مسعود البدری بلفظ القد.

(5) الشامة والشامة: العلامة في الجسد، وتعرف بالخال ومنه: جميل الخال والقوام

الأوثان<sup>(1)</sup>، ويخمد النيران، قوله فصل<sup>(2)</sup>، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله. فخرَّ عبد المطلب ساجداً، فقال له الملك: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا كعبك، فهل أحسست من أمره شيئاً؟ فأجابه عبد المطلب عليه السلام: «نعم أيها الملك، كان لي ابن، وكنت به معجباً وعليه رفيقاً، فزوجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سمّيته محمداً...»<sup>(3)</sup>.

هذا مع ما يعلمه من خصائلها المجيدة وشمائلها الحميدة صاحب كلِّ ذوق رفيع أطلع على تاريخ نشأتها ونشأة ابنها العظيم الذي آوته أحشاؤها، وغذاه لبنها، واتصلت حياته بحياتها، فهو عليه السلام بضعة أمه وأبيه.

ذاك ابن آمنة البشير المنذر

الصادق المزمّل المدثر

السابق المتقدم المتأخر

حاوي المفخر آخر آخراً وقديماً

صلوا عليه وسلّموا تسليماً<sup>(4)</sup>

قالت كاهنة قريش سوداء بنت زهرة بن كلاب لبني زهرة: «إن فيكم نذيرةً أو تلد نذيرةً، فاعرضوا عليّ بناتكم، فعرضن عليها، فقالت في كلِّ واحدةٍ منهنّ قولاً ظهر بعد حين، حتّى عرضت عليها آمنة بنت وهب، فقالت: «هذه النذيرة أو تلد نذيرةً... ولما سئلت عن جهنم قالت: سيخبركم عنها النذير»<sup>(5)</sup>.

(1) الأوثان: جمع وثن وهو الصنم، وقيل: الوثن كلُّ ما له جُنةٌ مَعْمولة من الأرض أو من الحَسَب والحجارة، كصورة الآدمي تُعْمَل وتُنصَب فتُعْبَد وقد يُطَلَق الوثن على غير الصورة.

(2) الفصل: البَيِّن الظاهر، الذي يَفْصَل بين الحقِّ والباطل

(3) أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص 9-14، طبعة:1، دار الكتب العلمية، عن زرعة بن سيف بن ذي يزن، ورواه محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج1، ص120، طبعة:1، مكتبة الثقافة الدينية، والشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص180، ط2: دار الإسلامية، طهران، والكراچي في كنز الفوائد عن عبد الله بن عباس، والخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ورواه ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية.

(4) الشاعر الأديب، والقاضي الشيخ يوسف النبهاني.

(5) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، ج1، ص364.

وهذه الحادثة تدل على ظهور سمات العظمة والجلال والفضائل في السيّدة آمنة منذ صغرها، لدرجة أنّ هذا اللقاء بين آمنة عليها السلام وسوداء كان كفيلاً بتبيان مستقبلها العظيم.

### مقامها العظيم عند الله تعالى

عندما يأمر مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في حياته الشريفة أن يُحجّ لله تعالى بالنيابة عن شخص من الأشخاص، فلك عند ذلك أن تتصوّر أيّ منزلة عظيمة يحظى بها هذا الشخص المكرّم. وعندما تعلم أنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يعود فيوصي في وصيته أن يُحجّ لله تعالى بالنيابة عن ذلك الشخص، فلا بدّ أن تتساءل أيّ رتبة خطيرة لهذا الشخص المبجل. وعندما يأمر مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالطواف نيابة عن شخص، والصلاة لله ركعتين كي تقضى الحوائج، فاعلم أنّ ذلك الشخص العظيم في قمة شماء تنخلع الرقاب عند عراها، إنّها الطاهرة التي خصها الله بأعلى الشرف، وسطح من جبينها نور سيد الأنبياء، فأضاءت به الأرض والسماء، ونزلت لأجلها الملائكة الكرام، وضربت لها الحجب، السيّدة آمنة بنت وهب عليها السلام.

فقد جاء في خبر عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «كان والله أمير المؤمنين عليه السلام يأمر أن يُحجّ عن أب النبي وآمه، وعن أبي طالب في حياته، ولقد أوصى في وصيته بالتحجّ عنهم بعد مماته».

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام ما يدلّ بوضوح على أنّ للسيّدة آمنة عليها السلام مقاماً عظيماً عند الله تعالى، وأنّها من صفوة أولياء الله الذين يتوسّل بهم إليه، حيث جاء في رواية أن رجلاً دائماً لجأ إلى الامام الصادق عليه السلام ليرشده إلى تحصيل دينه، فقال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل مال قد خفت تواه، فشكوت إليه ذلك، فقال لي: «إذا صرت بمكة، فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين، ثم ادع أن يردّ عليك مالك». قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا وإذا غريمي واقف

يقول: يا داود حبستني تعال اقبض مالك».

كذلك فإنه عندما يزور أهل الإيمان نبي الله الأكرم ﷺ من القرب والبعد يخاطبونه قائلين: السلام عليك وعلى جدك عبد المطلب وعلى أبيك عبد الله، السلام عليك وعلى أمك آمنة بنت وهب. وفي هذه الأخبار وغيرها دلالة واضحة على علو منزلة السيدة آمنة عليها السلام وسمو مقامها عند الله عز وجل، وقد كانت خصالها تلك ومقام قربها من الباري سبحانه سبب اصطفائه تعالى لها بأن صارت أمًا لخير خلق الله صلوات الله عليه.

### من أرحام المطهرات

لما كان أنبياء الله تعالى صفوة عباده، وأمناءه في بلاده، وخير خلقه، وحججه على بريته، فقد هيأهم لما كلفهم من القيام بحقه، لذلك استخلصهم من أكرم العناصر، وأمدهم بأوكد الأواصر، حفظاً لنسبهم من القدح، ولمنصبهم من الجرح. ونبينا محمد ﷺ خاتمهم وقائدهم، فاختر الله تعالى لمصطفاه ﷺ أفضل العشائر، وأكرم القبائل، وأشهر الفصائل، فأخرجه تعالى من الأصلاب الشامخة، والأرحام العفيفة، كان آخرها رحم السيدة العظيمة آمنة بنت وهب عليها السلام كريمة قومها، وفي ذلك يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَفَرَّقَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ شُعُوبًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ شُعْبَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ بَيْتٍ»<sup>(1)</sup>.

كما أنه ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»<sup>(2)</sup>. وفي ذلك بيان واضح لطهارة أمهات الرسول ﷺ وجداته بقول مطلق، وعدم اقتراب أي دنس من

(1) محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، ج5، ص 584، حديث 3607، طبعة: دار أحياء التراث العربي، وقال: هذا حديث حسن، ورواه أحمد بن حنبل في المسند، وابن أبي شيبة في المصنف، والبخاري في مسنده، وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد، ج8، ص397، حديث رقم 13824، طبعة دار الفكر، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(2) حدثنا عبد الرحمن بن سلم الرازي، حدثنا محمد بن أبي عمرو العدني المكي، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال أشهد على أبي حدثي عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: «...»، رواه أبو القاسم الطبراني في المعجم الأوسط، ج5، ص80، حديث: 4728، طبعة: دار الحرمين، القاهرة، وأبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرئي البغدادي، الشريعة، ج3، ص1417، حديث 957، طبعة: 2، دار الوطن، الرياض، وأبو نعيم الأصبهاني، وابن عساكر الدمشقي، وغيرهم من الحفاظ، وللحديث شواهد مروية عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة.

الجاهلية إلى محافلهم، كُنَّ نَقِيَّاتِ الْجِيُوبِ، عَدِيْمَاتِ الْعِيُوبِ- والسَّيِّدَةُ آمَنَةُ ﷺ عَلَى رَأْسِهِنَّ - من هذه الأصول الطاهرة اصطفى الله تعالى خاتم النبيين، وأرسله هدىً ونوراً ورحمة للعالمين ليتم به الرسالات ويكمل به النبوات، فكان الله تعالى حافظه صلوات الله عليه، في أصلاب الرجال وأرحام النساء، حتَّى خرج من صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب ﷺ إلى رحم أمه آمنة بنت وهب ﷺ، فوضعتة سيِّداً للأنبياء وخاتماً للمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.



## المفاهيم الأساسية

- السيدة آمنة قرشية زهرية من سليلة بيت زهرة، وهي أسرة قرشية كريمة يُشهد لها بنصاعة الحسب والنسب والفضل. أبوها هو وهب بن عبد مناف، وأمها هي برة بنت عبد العزى.
- يجتمع نسبها عليها السلام مع نسب والد النبي صلى الله عليه وآله عند الجدّ كلاب بن مرة، وهو الجدّ الثالث لآمنة عليها السلام. وعليه فإنّ نسب السيدة آمنة عليها السلام هو نفسه نسب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو أشرف الأنساب قاطبة.
- ولدت السيدة آمنة عليها السلام في حدود منتصف القرن السادس الميلاديّ، في مكة المكرمة في جوار البيت العتيق، وكانت عليها السلام أفضل بنات قريش ونسائها لا يجارها في ذلك إلاّ السيدة خديجة الكبرى والسيدة فاطمة بنت أسد.
- وكانت عليها السلام على جانب عظيم من الفصاحة والبلاغة. وكان الأنصار يفتخرون بأنهم أحوال آمنة وعبد الله صلى الله عليه وآله، وعُرفت بالعفة والطهر والشرف والكرامة، وكانت تتحلّى بالفضائل والمحاسن، وقد ظلت في خدرها محجوبة عن العيون حتّى ما يكاد الرواة يتبينون ملامحها.
- للسيدة آمنة عليها السلام مكانة عظيمة ومقام رفيع عند الله سبحانه، حيث يأمر مولانا الامام عليّ عليه السلام في حياته بأن يُحجّ لله تعالى بالنيابة عنها كذا ويوصي بذلك في وصيته، كما ويأمر الإمام الصادق عليه السلام بالطواف نيابة عنها، والصلاة لله ركعتين كي تقضى الحوائج. وفي هذه الأخبار وغيرها دلالة واضحة على علو منزلة السيدة آمنة عليها السلام وسموّ مقامها عند الله عزّ وجلّ. وكانت خصالها تلك ومقام قربها من الله سبب اصطفاؤه تعالى لها بأن صارت أمّاً لخير خلق الله صلى الله عليه وآله.

## الدرس الثامن:

### زواج السيدة آمنه عليها السلام

#### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى بعض خصال عبد الله أب رسول الله ﷺ.
- يبيّن قصة زواج السيدة آمنه عليها السلام وعبد الله ﷺ.
- يشرح حادثة وفاة عبد الله ﷺ.



## مقدّمة

«انتجب - الله تعالى - أحبّ أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله ﷺ في حومة العزّ مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه ولا ممزوج نسبه، ولا مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأمّلتها الحكماء بوصفها، مهذبٌ لا يدانى، هاشميٌّ لا يوازي، أبطحيٌّ لا يسامى، شيمة الحياء وطبيعته السخاء، مجبولٌ على أوقار النبوة وأخلاقها إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها، وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهايتها، أذاه محتوم قضاء الله إلى غايتها، تبشّر به كلّ أمة من بعدها، ويدفعه كلّ أبٍ إلى أبٍ من ظهرٍ إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح، ولم ينجسه في ولادته نكاحٌ من لدن آدم إلى أبيه عبد الله، في خير فرقة وأكرم سبط وأمنع رهط، وأكلأ حَمَلٍ وأودع حجر، اصطفاه الله وارتضاه واجتباها، وآتاه من العلم مفاتيحه، ومن الكرم ينابيعه، ابتعثه رحمة للعباد، وربيعاً للبلاد...»<sup>(1)</sup>.

## الزواج المبارك الميمون

لقد عرفت السيّدة آمنة في طفولتها وحدثتها ابن عمّها عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، حيث إنّ بني زهرة كانوا أقرب الأسر إلى بني هاشم، ولكنها لم تكن تدري أثناء فداء عبد الله بن عبد المطلب بتلك الإبل أن الله تعالى قد اختارها لتكون أمّاً لخاتم

(1) الإمام أبو عبد الله جعفر بن مُحمد الصادق ﷺ في خطبة له خاصة يذكر فيها حال النبي ﷺ والائمة ﷺ وصفاتهم، يراجع الكافي، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، ج1، ص444-445، طبعة:4، الدار الإسلامية، طهران.

النبين وقائد المرسلين ﷺ. ومن أجدر من آمنة بنت وهب ؓ أن تحتل هذه المكانة العظيمة، والمنزلة المرموقة، وأن تكون المرأة المنتخبة التي ادّخرها القدر لأعظم أمومة في التاريخ؟ فبعد مدة من فداء عبد الله ﷺ بالإبل<sup>(1)</sup> توجه سيّد مكة عبد المطلب بن هاشم بولده الحبيب عبد الله ميمماً وجهه تلقاء وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة خاطباً كريمته آمنة ؓ لأكرم فتى في ذلك الزمان. وقد ذكرت ذلك بعض المصادر التاريخية، ومنها ما رواه الأزرقى في كتابه المعتر الذي فرغ من تأليفه سنة (244هـ) «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» عن محمد بن إسحاق برواية كاملة، وهي مجزأة في سيرته، وسيرة ابن هشام، وموضع الشاهد الذي سنورده هو:

قال ابن إسحاق: وسمعت أيضاً من يحدث في أمر زمزم، عن علي بن أبي طالب ؓ: «.... وذكر حفر زمزم، ونذر عبد المطلب، وفداء عبد الله ﷺ.. إلى أن قال: ولما انصرف عبد المطلب ذلك اليوم إلى منزله مر بوهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهو جالس في المسجد، وهو يومئذ من أشرف أهل مكة، فزوج ابنته آمنة عبد الله بن عبد المطلب»<sup>(2)</sup>.

وآمنة ؓ يومئذ زهرة بني زهرة وأنجب نساء قريش وأفضلهن، وأزكاهن أخلاقاً وفرعاً وأطيب، فتمت خطبة عبد الله بن عبد المطلب ﷺ لأشرف عقيلة في قريش آمنة بنت وهب ؓ.

وقد كان عبد الله أحسن رجل رُئي قط، خرج يوماً على نساء قريش، فقالت امرأة منهن: أيتكن تزوج بهذا الفتى، فتصطحب النور الذي بين عينيه، فإني أرى بين عينيه نوراً؟ فتزوجته آمنة بنت وهب<sup>(3)</sup>.

وقد كان وجهاء قريش وأشراف مكة وسدنة البيت الحرام ورؤساء القبائل يتمنون

(1) قول لبعض أصحاب السير.

(2) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، أخبار مكة، ج2، ص45، طبعة:1، مكتبة الثقافة الدينية، وتاريخ الطبري، والروض الأنف للسيهلي، والسيرة النبوية لابن كثير، والمختصر في أخبار البشر لإسماعيل بن أبي الفداء ملك حماة.

(3) أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص133، طبعة:2، دار النفائس، والبيهقي في دلائل النبوة.

مصاهرة عبد المطلب بوساطة أحبّ ولده إليه، فكانوا يعرضون بناتهم بلا مهر ولا عوض، بل كانوا يبذلون المهر لعلّهم يشرفون أسرهم بهذا الفخر، فلما تزوّج عبد الله السيدة آمنه عليها السلام خابت آمالهم وملأت الحسرة قلوبهم، «وقيل إنه لم تبق امرأة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف إلا مرضت»<sup>(1)</sup>. ولا عجب في ذلك، فقد كان عبد الله بن عبد المطلب مطمع الآمال، وغاية الأمانى، من الغيد الكواعب الحسان.

### يحمي الكريم عرضه ودينه

قال البلاذري المتوفى (279 هـ): حدّثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده قال:.. ومّا خطبها عبد المطلب على عبد الله، فأجيب إلى تزويجه إياها، انطلق به ماضياً إلى بني زهرة، فمرّ بامرأة من خثعم، يقال لها فاطمة- وكان فتيان قريش يحدثون إليها، وكانت عفيفة، ويقال إنها كانت من بني أسد بن خزيمه، وكانت تعتاف<sup>(2)</sup>، وتنتظر وتقرأ الكتب- فقالت لعبد الله، وجلس إليها منتظراً لأبيه، وقد عرج لبعض شأنه: هل لك في موافقتي على أن أعطيك مائة من الإبل؟ (وكانت موسرة)، فقال عبد الله:

أما الحرام فالممات دونه

والحلّ لا حلّ فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تنوينه

يحمي الكريم عرضه ودينه<sup>(3)</sup>

ثم إنه مضى مع أبيه إلى بني زهرة، فزوّجه آمنه. وأقام عندها ثلاثاً، وكانت تلك سنّتهم. ثم إنَّ عبد الله أتى المرأة بعد ذلك، فقال لها: هل لك فيما كنت عرضت «على أن يكون بيننا تزويج»؟ فقالت:

لا تطلبن الأمر إلا ميلا

قد كان ذاك مرة فاليوم لا

(1) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ج1، ص58.

(2) الاعتياف: عمل العيافة أي: زجر الطير، والتشأم أو التفأل بطيرانها، بحار الأنوار، ج15، ص277.

(3) البيتان في الروض الأنف للسهيلى، ج1، ص180، والبداية والنهاية لابن كثير، ج2، ص250، وغيرهم

إني رأيت في وجهك نوراً ساطعاً، وقد ذهب الآن، فما الذي صنعت؟ فحدثها حديثه، فقالت:

إني لأحسبك أبا النبي الذي قد أظل وقت مولده، وقالت:  
لله ما زهرية سلبت

ثَوْبَيْكَ ما سكنت وما تدري»<sup>(1)</sup>

### بيان وتوضيح

أتينا بهذه الرواية مع علمنا بضعف إسنادها على مباني أهل الجرح والتعديل، ولكننا وجدنا متنها أليق المتون المروية في هذا الشأن. وقد جاء المؤرخون بروايات تروي هذه الحادثة دون شرط عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام الذي اشترطه على تلك المرأة بقوله: «على أن يكون بيننا تزويج». وقد تتبّعنا مرويات أهل السير التي جاؤوا بها في هذا الشأن، وأسانيد تلك المرويات سنداً سنداً، فوجدنا أسانيداً تالفة لا تخلو من رجل اتهم بالكذب، أو رجل أجمع علماء الحديث على ضعفه، أو مدلس مشهور، فمروياتهم في هذه الحادثة لا يُستشهد بها فضلاً عن أن يُحتجّ بها. وللأسف الشديد أن جُلّ المؤرخين وأصحاب السير قد تناقلوها خلفاً عن سلفٍ دون تأملٍ وتمحيصٍ، مع أن ابن اسحاق وهو أقدمهم قد استعمل لما رواها لفظ: «فيما يزعمون، وزعموا». كما أن المتأمل لمتن رواياتهم يجد فيها أن المرأة طلبت من عبد الله الفاحشة فأبى، وفي اليوم التالي عرض هو عليها فأبت، ومن يقرأ الروايات المختلفة في هذا الشأن<sup>(2)</sup> يدرك مدى الاختلاف والاضطراب في تعيين المرأة، إذ مرّة هي خثعمية، وأخرى أسديّة قرشيّة اسمها قتيلة، وثالثة عدويّة اسمها ليلى، وكذلك في صفة عبد الله عندما التقته، فمرّة هو مطين الثياب، وأخرى هو في زينته. وليس صعباً على من تتبّع رواياتهم في هذا الشأن أن يراها جاءت للذمّ في صورة المدح، ولم ينتبهوا إلى أن هذه الروايات فيها اتهامٌ لوالد النبي الأكرم عليه السلام بعفته. وعبد الله بن عبد

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص80، حديث 139.

(2) بإمكان القارئ الكريم العودة لثلاث صفحات من كتاب ابن سعد الطبقات الكبرى، ج1، ص95-98، ليرى بأمر عينه كيف تضطرب الروايات في هذا الشأن.

المطلب قد كان صورةً طبق الأصل عن والده شيبية الحمد، ولو أمهله الزمن لتولّى مناصب الشرف التي كانت بيد عبد المطلب وهاشم، وكان شعاره الذي التزمه طيلة حياته «أما الحرام فالممنون».

وبغض النظر عن صحّة هذه الرواية من عدمها، فهو قد شُبّه في بعض الأخبار «بالناسك»، وأبياته التي أنشأها قد رويت عنه في غير هذا المورد، وهي أيضاً ممّا ينسف كلّ ما جاء في طيات مروياتهم نسفاً، فرجل هذا شأنه هل نطمئنُّ الى هذه الروايات المزعومة، التي تطعن بطهارته وعفته التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار، والله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(1)</sup>؟ وقد أجاد وأفاد الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله تعالى بقوله:

تجلّى له التاريخ بحراً فخاضه	وغاص الى الأعماق فانكشف القعْرُ
وأبصر أشتاتاً تغاير نعتها	وراعته أغوارٌ ومنعطف وعرُ
وشاهد زيفاً يستطيل وواقعا	يذاد ومقياساً إلى الخلط ينجُرُ
وأخبار يرويها الهوى وصحائفا	تحكم فيها الحب والبغض والتبرُ
ومرّت به الأقلام منهن قانع	بفضل فتات الظالمين ومعترُ

### دار عبد الله وآمنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

تزوج عبد الله بن عبد المطلب والد ملاذ المقرب وعباد المغترب آمنَةَ أمّ إمام الخلائق الأعظم الذي وفر الله من الكرامة قسمه وبحياته أقسم، واستغرقت أفراح زواجهما المبارك ثلاثة أيام بلياليها، وكان عبد الله أثناءها يقيم مع عروسه الميمونة في دار أبيها على عادة القوم يومئذٍ، «وكانت تلك السنّة عندهم إذا دخل الرجل على امرأته في أهلها»<sup>(2)</sup>، ومن ثم نقلها عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إلى داره عند الجمرة الوسطى، وهي الدار التي

(1) سورة الأنعام، الآية 124.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص95، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه، وعن أبي الفيض الخثعمي.



وُلد فيها مولانا رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>، وكانت تشتمل على سلّم حجريّ متّصلٍ بباب يفتح نحو الشمال، ومن هناك كانوا يستطيعون الدخول إلى غرفة طولها 12 متراً، وعرضها 6 أمتار، وعند الجدار الأيمن كان بابٌ يفتح تجاه قبة، وفي الوسط باتجاه الجدار الغربي هناك غرفة مصنوعة من الخشب - وهي في الحقيقة كانت غرفة نوم العروسين - داخلها رخامة قد فُعرّ جوفها لتعيين مولد السيد الرسول ﷺ<sup>(2)</sup>.

كانت هذه الدار «في الزقاق المعروف بزقاق المولد، وكانت في مهاجر رسول الله ﷺ في يد عقيل بن أبي طالب ثم في أيدي ولده، ثم اشتراها منهم محمد بن يوسف الثقفي، فأدخل البيت في دارٍ بناها، وسَمّاها البيضاء، فكان الحال هكذا إلى أن حَبَّت الخيزران، فأخرجت البيت وجعلته مسجداً يَصلي الناس فيه»<sup>(3)</sup>.

قال السيد الأمين: «وبقي المسجد في حالته تلك حتى استولى الوهابيون على مكة، فهدموه ومنعوا من زيارته، على عادتهم في المنع عن التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين، بل جعلوه مريضاً للدواب»<sup>(4)</sup>.

قال إسحاق بن جعفر: سمعت أبي [الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام] يقول: «الأوصياء إذا حملت بهم أمهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثم ترى في منامها رجلاً يبشّرها بسلامٍ حليم، فتفرح لذلك، ثم تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير، وتصيرين إلى خير، وجئت بخير، أبشري بسلامٍ حليمٍ عليمٍ...، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنما الأوصياء أعلق من الأنبياء»<sup>(5)</sup>.

ولما أراد الله سبحانه إبراز الحقيقة المحمدية وإظهاره ﷺ جسماً وروحاً بصورته ومعناه نقله إلى مقره من صدفة آمنة الزهرية، وخصها القريب المجيب بأن تكون أمّاً

(1) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص439، طبعة:4، دار الكتب الإسلامية، طهران.

(2) بتصرف يسير نقلًا عن محمد لبيب البتوني، الرحلة الحجازية، ص52، الطبعة:2، مكتبة الجمالية، مصر.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص439، والأزرق في أخبار مكة، ج2، ص191، والقرطبي في الأعلام، وغيرهم.

(4) السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ج3، ص7.

(5) ثقة الإسلام الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص387 - 388، باب مواليد الأمة عليه السلام.

لمصطفاه، حملت بالجنين الأكرم، وتوالت عليها البشائر بفضل الله، وأضحت عليها السلام على معرفة تامة ويقين كامل أنها أم النبي الخاتم عليه السلام، وذلك من الأيام الأولى لزواجها، وقد روت عليها السلام أنها رأت في المنام أن آتياً أتاهها، فقال لها: «قد حملت بخير الأنام...»<sup>(1)</sup>، و«قد حملت بسيد هذه الأمة..»<sup>(2)</sup>.

بقي والد رسول عبد الله بن عبد المطلب مع عروسه السيدة آمنة عليها السلام أياماً قلائل قيل إنها لم تتجاوز عشرة أيام، وقيل أكثر من ذلك، وكان يجب عليه أن يلحق بقافلة قريش التجارية المتجهة إلى غزة هاشم حيث كان منوطاً بأفراد تلك القافلة أن يمتاروا<sup>(3)</sup> القمح من الشام، وعلى عبد الله أن يمتار التمر لبني هاشم من المدينة<sup>(4)</sup> كما أوصاه والده عبد المطلب الذي أنفذه لأداء هذه المهمة<sup>(5)</sup>، فخرج عبد الله عليها السلام مسافراً بعد أن ودّع امرأته آمنة عليها السلام، وقد خلف في أحشائها أعظم جنين.

### وفاة والد النبي عليه السلام

روي عن محمد بن كعب، وأيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالوا: فرغ القوم من تجارتهم ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة، وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال: أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار- ريثما يستردّ صحّته وعافيته- فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن عبد الله، فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث، وقيل الزبير بن عبد المطلب، فوجده قد توفّي، ودفن في دار النابغة الجعدي، وهو رجلٌ من بني عدي بن النجار، وأخبره أخواله بمرض عبد الله عليها السلام، وبقيامهم عليه، وما

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص196، طبعة:2، الدار الإسلامية، طهران.  
(2) أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، ج2، ص134، فصل في شرف أصله وطهارة مولده عليه السلام، طبعة:1، دار الكتب العلمية، وسيرة ابن هشام، والروض الأنف، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للحافظ السخاوي، وغيرهم.  
(3) يمتارون أي يحملون الطعام، يقال: فلان يمتار اهله إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلد، وقد وصف إمامنا الباقر جده أمير المؤمنين عليه السلام بأنه: «ميرة العلم يمتار منه، ولا يمتار من أحد غيره»، علل الشرائع للشيخ الصدوق، ج1، ص160.  
(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص92، وابن سعد في الطبقات الكبرى، وغيرهم.  
(5) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دلائل النبوة، ج1، ص88، وأنساب الأشراف للبلاذري، والطبقات الكبرى، وغيرهم.

ولوا من أمره وأنهم دفنوه- هناك في ثرى يثرب-، فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل<sup>(1)</sup>.  
 وحال عبد الله بن عبد المطلب ﷺ كحال جدّه عمرو العلاء هاشم، ينطبق عليه قول الشاعر:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره

وكذا تكون كواكب الأسحار

وقد نزل الخبر المفزع على آمنة ؓ نزول الصاعقة، فسكبت عينها الدموع، وبكت بكاءً مرّاً على غصن بني هاشم، ومنار فتيان قريش، والذي خلفها وراءه في مكة عروساً تحمل له في أحشائها أعظم جنين، وتضمّ له في قلبها حباً وحنيناً، فتسرّبت بأبراد العزاء بعد أن انطفأت شعلة السعاة المتوهجة في صباها الرّيان، فأقامت على لوعةٍ مريعةٍ وألم ليس فوقه ألم، عاكفة على آلامها الممضة، منطوية تحت سماء الحزن القاتم، وفي إطار من الألم المرير رثت زوجها عبد الله ﷺ مبيّنة بعضاً من فضائله، فقالت:

عفا جانب البطحاء من قرم هاشم

وحل بلحد ثاويماً غير رائم

عشيّة راحوا يحملون سريره

يفلونه عن عبّرة وتزاحم

دعته المنايا دعوةً فأجابها

وما غادرت في الناس مثل ابن هاشم

فإن يكُ غالته المنايا وريبها

فقد كان مفضالاً كثير التراحم<sup>(2)</sup>

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص92، وتاريخ الطبري، والكمال في التاريخ، وجل أصحاب السيّر.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص92.

وقالت ﷺ أيضاً:

أضحى ابن هاشم في مهماء مظلمة  
 في حفرة بين أحجار لدى الحصر  
 سقى جوانب قبرٍ أنت ساكنه  
 غيثٌ أحَمَّ الذرى ملآن ذو درر<sup>(1)</sup>  
 والذي عليه معظم أهل السير، أن والد النبي ﷺ عبد الله بن عبد المطلب ﷺ مات وهو في الخامسة والعشرين من العمر على أشهر الأقوال، وكانت أم النبي حاملاً به ﷺ<sup>(2)</sup>. ومما يؤيد ذلك أننا لا نعثر على أي خبر أو أثر عن عبد الله ﷺ حين ميلاد رسول الله ﷺ، وإنما وجدنا جده عبد المطلب حاضراً، وعمّه أبا طالب ﷺ، وبقية أعمامه وعمّاته من آل عبد المطلب ﷺ أخذ الإله أبا الرسول ولم يزل برسوله الفرد اليتيم رحيمًا نفسي الفداء لمفرد في يتمه والدرُّ أحسن ما يكون يتيماً ترك عبد الله بن عبد المطلب وراءه من الميراث مولاته أم أيمن، وخمسة أجمال، وقطعة غنم، فورث رسول الله ﷺ ذلك. وكانت أم أيمن تحضنه، واسمها بركة، وقد أعتقها رسول الله ﷺ فيما بعد، وزوجها مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، ولها من الأولاد أيمن الذي ثبت مع الهاشميين الذين ثبتوا حول النبي ﷺ يوم حُنين، واستشهد فيها، وولدت لزيد أسامة بن زيد، وتوفيت أم أيمن بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(1) محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، عن القاسم الوزيري المغربي.

(2) يروي قيس بن مخزومة المطلبية، وهو صحابي كبير السن، وقد ذكر ولادة النبي ﷺ فقال: «توفي أبوه، وأمه حبلت به» يراجع

المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوي، ج2، ص661، ح 4191، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

## المفاهيم الاساسية

- شهدت السيدة آمنة عليها السلام حادثة فداء عبد الله عليه السلام الذي عزم أبوه على تقديمه قرباناً ليفي بنذره الذي نذره لله تعالى إذا رزقه عشرةً من الفتيان.
- بعد مدة من فداء عبد الله عليه السلام بالإبل توجه سيد مكة عبد المطلب بولده ميماً وجهه تلقاء وهب خاطباً كريمته آمنة عليها السلام فتمت الخطبة. وقد كان عبد الله أحسن رجل رُئي قط، وقد كان الوجهاء والأشراف يتمنون مصاهرة عبد المطلب به، فلما تزوج عبد الله السيدة آمنة عليها السلام خابت آمالهم وملأت الحسرة قلوبهم، «وقيل إنه لم تبق امرأة من قريش إلا مرضت».
- تم الزواج المبارك واستغرقت الأفراح ثلاثة أيام لبليالها، وكان عبد الله أثناءها يقيم مع عروسه في دار أبيها على عادة القوم يومئذ، ثم انتقل العروسان إلى بيتهما.
- بقي عبد الله مع عروسه أياماً قلائل، وكان يجب عليه أن يلحق بقافلة قريش التجارية المتجهة إلى غزة هاشم ليحمل التمر لبني هاشم فخرج مسافراً وقد خلف في أحشاء زوجته أعظم جنين.
- بعد أن فرغت قافلة قريش من تجارتها انصرفوا نحو مكة ومروا بالمدينة وقد مرض عبد الله عليه السلام في هذه الأثناء، فلم يكمل الطريق معهم وبقي عند أخواله في المدينة.
- بعث عبد المطلب ولده الأكبر الحارث إلى حيث أقام عبد الله ليستعلم حاله، فوجده قد توفي ودفنه أخواله وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف على أشهر الأقوال، ثم رجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ حمل.
- نزل الخبر المفزع على آمنة عليها السلام نزول الصاعقة، فسكبت عينها الدموع، وبكت بكاءً مرّاً على منار فتيان قريش، وتسربت بأبراد العزاء وعكفت على آلامها الممضة، وقد رثت زوجها الشابّ بأبيات من الشعر الحزين.

## الدرس التاسع:

# السيدة آمنه عليها السلام تصبح أمًا

## أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى الظروف التي سادت الجزيرة العربية  
إبان حمل السيدة آمنه وقبل الولادة.
- يذكر بعض كرامات حمل آمنه عليها السلام.
- يبيّن بعض الأحداث التي رافقت ولادة السيدة  
آمنه عليها السلام للنبي ﷺ وما تلاها.



## حمل السيدة آمنة عليها السلام المبارك

لما توفي عبد الله عليه السلام كان النبي الأكرم ﷺ لا يزال حاملاً في أحشاء والدته الكريمة. وقد وتوالت عليها البشائر بفضل الله الذي أكرمها به. وقد أضحت عليها السلام على معرفة تامة بأنها أم النبي الخاتم من الأيام الأولى لزواجها، وفي رواية عن الامام الصادق عليه السلام في حديثه عن حمل الأنبياء والأوصياء، يقول: «الأوصياء إذا حملت بهم أمهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثم ترى في منامها رجلاً يبشرها بغلام عليم حليم، فتفرح لذلك، ثم تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير، وتصيرين إلى خير، وجئت بخير، أبشري بغلام حليم عليم... وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنما الأوصياء أعلق من الأنبياء»<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت البشارة للسيدة آمنة عليها السلام، فقد حدثت سلام الله عليها أنها أنبتت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: «إِنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَقُولِي أَعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ فَإِنَّ آيَةَ ذَلِكَ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ نُورٌ يَمَلَأُ قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَإِذَا وُلِدَ فَاسْمِيهِ مُحَمَّدًا<sup>(2)</sup> فَإِنَّ اسْمَهُ فِي التَّوْرَةِ أَحْمَدُ يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاسْمُهُ

(1) ثقة الإسلام الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص387 - 388، باب مواليد الأمة عليها السلام.

(2) مُحَمَّد: اسم علم منقول من صفة من قولهم رجل مُحمد أي كثير الخصال المحمودة، والمُحمد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد. مرة بعد مرة. فيه معنى المبالغة والتكرار، وهو في معنى محمود، فاسمه مطابق لمعناه، والله تعالى سماه به قبل أن يسمى، فهذا علم من أعلام نبوته إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو ﷺ محمود في الدنيا والآخرة، في الدنيا بما نفع به من العلم والحكمة... وفي الآخرة بشفاعته ﷺ... فقد تكرر معنى الحمد، ثم إنه لم يكن مُحمداً حتى كان أحمد حمد ربه فبأه وشرفه، لذلك تقدم اسم أحمد على محمد فذكره المسيح عليه السلام في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾، فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد ويعث كان مُحمداً بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه، وهو ﷺ أجل من حمد، وأفضل من حمد، أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومع لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ثم يشفع فيحمد على شفاعته، فانظر كيف ترتب هذا الاسم الآخر في الذكر والوجود في الدنيا والآخرة.



فِي الْفُرْقَانِ مُحَمَّدٌ قَالَتْ فَاسْمَيْتُهُ بِذَلِكَ»<sup>(1)</sup>. وهذا يقتضى أنها رأت حين حملت به ﷺ كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، ثم لما وضعت رأت عياناً تأويل ذلك كما رآته قبل ذلك ها هنا. والله أعلم<sup>(2)</sup>.

هذا ولم يكن حمل السيدة المباركة آمنة عليها السلام يشبه حمل النساء، فلم تكن ترى من جرائه أي تعب أو نصب، بل كان مصدر سعادة وراحة لها، حيث روي عنها أنها قالت: «لما حملت به لم أشعر بالحمل، ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، فرأيت في منامي كأنّ أتياً أتاني، فقال لي: قد حملت بخير الأنام...»<sup>(3)</sup>. وفي رواية أخرى قالت: «لقد علقت به، تعني رسول الله ﷺ، فما وجدت له مشقة حتى وضعت...»<sup>(4)</sup>.

### إرهاصات الولادة الميمونة

كانت الجزيرة العربية تعيش إرهاصات كثيرة قبل ولادة النبي الأكرم ﷺ، وكلّ البشارات والكرامات التي سبقت ورافقت وتبعت مولده الشريف إنما كانت تبعاً لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(5)</sup>، وبشارة السيد المسيح عليه السلام إذ يقول الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(6)</sup>، وتبعتهما بشارات أجداد النبي الأكرم ﷺ، وآبائه الكرام، وغيرهم من الحكماء والعرفاء، وهذا مما لا يخفى على كل من قرأ تاريخ جزيرة العرب بتأملٍ وتمعنٍ، فالجميع كان ينتظر ولادة الرسول الخاتم الذي كثرت روايات اليهود والنصارى حوله.

وإنّ أكثر البشارات والكرامات والأنوار التي صاحبت حمل وولادة النبي الأكرم ﷺ

(1) كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة)، ج1، ص 20.

(2) أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، ج1، ص207، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(3) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص196، طبعة2، الدار الإسلامية، طهران.

(4) ابن كثير، السيرة النبوية، ج1، ص207، طبعة دار المعرفة، بيروت، ورواه الحافظ ابن عساکر في تاريخ دمشق.

(5) سورة البقرة، الآية 129.

(6) سورة الصف، الآية 6.

هي التي كانت تشاهدها الأم المباركة للوليد المبارك، فالسيِّدة آمنَة ﷺ صاحبة القسط الأكبر، والنصيب الأوفر من البشائر التي تدلُّ على جلال قدر جنينها، وما كانت هذه الرؤيا ومثيلاتها ليخفى تأويلها على السيِّدة آمنَة وهي من هي ذكاء وفطنة، فقد فهمت أنّ من حملت به سيملاً الأرض نوراً وضياء، وهدى ورحمة، وسيكون له شأن وذكر. فصاحب النور هو من تغذى في أحشائها تسعة أشهر كماً، وهي لا تشكو وجعاً ولا مغصاً، ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء، وقد وجدت سلام الله عليها في هذا الجنين العظيم أعظم المواساة لها بعد فقدها زوجها الغالي، فها هي تستمع إلى دقات قلب جنينها الغالي، وقلبها تغمره السعادة والمسرة.

### ولادة سيد البشرية ﷺ

روي عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عن آباءه الكرام عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ قال: «... ومحمد ﷺ سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء، ويحرك شفثيه بالتوحيد، وبدأ من فيه الطاهر نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة وُلد النبي ﷺ حتى فرغت الجن والإنس والشياطين..»<sup>(1)</sup>.

وجاء عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «وأصبحت الأصنام كلها صبيحة وُلد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخدمت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤبدان<sup>(2)</sup> في تلك الليلة

(1) أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، ج1، ص223، طبعة مركز الأبحاث العقائدية، ورواه بالإسناد الشيخ المحدث محمد بن الحسن الخُر العاملي، إثبات الهداة، ج1، ص261-262، طبعة:1، مؤسسة الأعلمي.

(2) والمؤبدان بضم الميم وفتح الباء: فقيه الفرس وحاكم المجوس، ذكره الفيروز آبادي، وقال الجزري: المؤبدان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين، يراجع بحار الأنوار، ج15، ص259.

في المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً<sup>(1)</sup> قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسموا آل الله تعالى - قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام - إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام، وقالت آمنة: إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً عليه السلام..»<sup>(2)</sup>.

وبعد أن أطل عليه السلام على الوجود بنوره أتى به جدّه عبد المطلب لينظر إليه، وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه ووضع في حجره، ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني

هذا الغلام الطيب الأردان<sup>(3)</sup>

قد ساد في المهد على الغلمان

أعيذه بالله ذي الأركان

حتى يكون بلغة الفتيان

حتى أراه بالغ البنان

أعيذه من كل ذي شأن

من حاسد مضطرب العنان

(1) خيل عرب: كرائم سالمة من الهجنة. يراجع المصدر السابق، ص258.

(2) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص286، المجلس الثامن والأربعون، يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وستين وثلاثمائة، طبعة:6، كتابجي طهران، بسنده إلى محمد بن أبي نصر البنظي، عن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام، وروي نصفه الأول عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه- وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة- يراجع دلائل النبوة للبيهقي، ج1، ص126، وتاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري، والإصابة لابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص286، المجلس الثامن والأربعون.

ذي همة ليس له عينان  
حتى أراه رافع اللسان  
أنت الذي سميت في الفرقان  
في كتب ثابتة المثاني  
أحمد مكتوباً على اللسان<sup>(1)</sup>

هذا وقد اختلف الرواة والمؤرخون، وأصحاب السير في تحديد يوم مولده ﷺ، وأنفقوا جميعهم على أن مولده كان عام الفيل سنة (53) قبل الهجرة في شهر ربيع الأول. قال السيد ابن طاووس: إن الذين أدركناهم من العلماء كان علمهم على أن ولادته المقدسة صلى الله عليه وعلى الحافظين لأمره أشرفت أنوارها يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول في عام الفيل عند طلوع فجره<sup>(2)</sup>.

### ما تلا مولد النبي الأكرم ﷺ

قد خُصَّت ليلة ظهوره، ويوم سطوع ضوء نوره بخصائص لا تتناهى ومزايا لا تضاهى إذ هو سيد ولد آدم ومعولهم وخاتم النبيين وأولهم، فصلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين الذين روت كريمتهم السيِّدة فاطمة بنت الحسين، عن عمَّتِها عقيلة الهاشمين السيِّدة زينب بنت عليٍّ، عن أبيها الإمام أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ قَالَ: «سمعتُ أبا طالب، يُحدِّثُ أنَّ أمانة بنت وهب، لما ولدت النبيَّ ﷺ، جاءه عبد المطلب، فأخذه وقبله، ثم دفعه إلى أبي طالب، فقال: هو وديعتي عندك ليكوننَّ لابني هذا شأنٌ. ثم أمر فنحرت الجزائر، ودُبِّحت الشاء، وأطعم أهل مكة ثلاثاً، ثم نُحِرَ في كلِّ شعب من شعاب مكة جزور، لا يُمْنَعُ منه إنسان، ولا سبعٌ، ولا طائرٌ»<sup>(3)</sup>.

(1) محمد بن اسحاق، السيرة النبوية، ج1، ص22، وابن سعد في الطبقات الكبرى، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن كثير في السيرة النبوية، والبداية والنهاية، والسهيلي في الروض الآنف، وغيرهم.

(2) - السيد علي بن موسى «ابن طاووس»، إقبال الأعمال، ج2، ص603، طبعة:2، دار الكتب الإسلامية، طهران.

(3) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص138، حديث 81، طبعة:2، دار النفائس، بيروت.

وروي أن أبا طالب عَقَّ عن رسول الله ﷺ يوم السابع ودعا آل أبي طالب، فقالوا: ما هذه؟ فقال: «هذه عقيقة أحمد»، قالوا: لأي شيء سمّيته أحمد؟ قال: «سمّيته أحمد لمحمدة أهل السماء والأرض له»<sup>(1)</sup>.

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: لما ولد رسول الله ﷺ فُتِحَ لآمنة بياض فارس، وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب ضاحكةً مستبشرةً، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: «وتتعبين من هذا؟ إنك تحبلين، وتلدين بوضيّه ووزيره»<sup>(2)</sup>.

وفي ذلك اليوم المبارك روى الامام الصادق عليه السلام حادثةً حصلت في مكة فقال: «لما ولد النبي ﷺ جاء رجل من أهل الكتاب إلى ملاء من قريش فيهم هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، والعاص بن هشام، وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أمية، وعتبة بن ربيعة، فقال: أوُلِدَ فيكم مولود الليلة؟

فقالوا: لا. قال: فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد به شامة كلون الخبز الأدكن، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه قد أخطأكم والله يا معشر قريش. فتفرقوا وسألوا فأخبروا أنه وُلِدَ لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فطلبوا الرجل فلقوه، فقالوا: إنه قد وُلِدَ فينا والله غلام، قال: قبل أن أقول لكم أو بعد ما قلت لكم؟ قالوا: قبل أن تقول لنا، قال: فانطلقوا بنا إليه حتّى ننظر إليه، فانطلقوا حتّى أتوا أمه، فقال: أخرجي ابنك حتّى ننظر إليه، فقالت: «إن ابني والله لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان. لقد اتقى الأرض بيديه ورفع رأسه إلى السماء، فنظر إليها، ثم خرج منه نور حتّى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً في الجو يقول: لقد ولدت له سيّد الأمة، فإذا وضعته فقولني: أعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسدٍ، وسمّيه محمّداً».

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج6، ص34، وروى البيهقي ذلك في دلائل النبوة، ج1، ص113، عن عبد المطلب عليه السلام، والخبر عند ابن عساکر في تاريخ دمشق، ج3، ص81، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية، ج2، ص264.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص454.

قال الرجل: فأخرجه فأخرجته، فنظر إليه ثم قلبه ونظر إلى الشامة بين كتفيه، فخرّ مغشياً عليه، فأخذه عليها السلام فأدخلوه إلى أمه، وقالوا: بارك الله لك فيه، فلما خرجوا أفاق، فقالوا له: مالك ويملك؟ قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة هذا والله من يبيرهم، ففرحت قريش بذلك، فلما رأهم قد فرحوا قال: [قد] فرحتم أما والله ليسطون بكم سطوةً يتحدّث بها أهل المشرق والمغرب»<sup>(1)</sup>.

قال الله العظيم في محكم كتابه وجميل خطابه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>.

وقال مولانا رسول الله عليه السلام: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته»<sup>(3)</sup>، وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم»<sup>(4)</sup>.

ورؤيا السيِّدة آمنة عليها السلام رواها الأئمة الطاهرون عن جدِّهم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وروتها والدته العظيمة السيِّدة فاطمة بنت أسد بن هاشم عليه السلام، وروت ذلك أيضاً مرضعة رسول الله حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية عن السيِّدة آمنة بنت وهب عليها السلام، وحكاها من حضره، ورأى من بركته وعجائبه، كالسيِّدة فاطمة بنت أسد،

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج8، ص300-301، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج، ص129، طبعة:1، دار الكتب العلمية، والحاكم في المستدرک، ج2، ص657، حديث 4177، طبعة: دار الكتب العلمية، والبيهقي وأبو نعیم في دلائل النبوة عن عائشة زوج النبي الأكرم عليه السلام باختلاف ألفاظ.

(2) سورة المائدة، الآيتان 15 - 16.

(3) أي ملقى على الجدالة، وهي الأرض، وكان بعد جسداً بلا روح.

(4) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج28، ص395، حديث 17163، طبعة:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ورواه محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ج14، ص312، حديث 6404، باب: ذكر كتبة الله جل وعلا عنده محمداً (ص) خاتم النبيين، الطبعة:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، والبخاري في التاريخ الكبير، والتاريخ الصغير، وأبو عبد الله الحاكم في مستدرکه، وأبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير، والأجري في الشريعة، والبيهقي في شعب الإيمان والدلائل، وغيرهم من الحفاظ والمحدثون.

كذلك نقل هذا الحديث عن النبي الأكرم ﷺ عدّة من الصحابة عنه <sup>(1)</sup>.  
 وحدثت السيّدة آمنة عليها السلام وحيدها وأثيرها محمداً ﷺ برؤياها قريرةً متفائلةً  
 بمستقبل ولدها، وهو ﷺ بدوره أخبرنا بذلك كما تقدّم. ومن تتبّع هذه الحوادث وما  
 يشبهها من إرهاصات النبوة، فسيجد فيها سنّة من سنن الله تعالى في أعداد أنبيائه ورسله.  
 وهذا النور العظيم الذي خرج من آمنة عليها السلام، وأضاءت لها منه قصور الشام هو  
 من نور النبي المصطفى ﷺ الذي فاض على البرية برسالاته، وهو أنفع للعباد من الغيث  
 الكثير المنهمر، نور استنارت منه المشارق والمغرب والأقطار.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج8، ص-300 303، عن الإمامين الباقر، والصادق عليه السلام، والطبرسي في الاحتجاج عن الإمام الكاظم عن  
 أبائه الكرام عن أمير المؤمنين عليه السلام، وسيرة ابن إسحاق، وما لا يسع حصره في هذا المختصر.

## المفاهيم الأساسية

- توالى البشائر على السيِّدة آمنَة ﷺ بفضل الله الذي أكرمها به، وقد أوضحت ﷺ على معرفة تامَّة بأنَّها أمُّ النبيِّ الخاتم حيث بشرت في منامها وقيل لها: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.
- لم يكن حمل السيِّدة المباركة آمنَة ﷺ يشبه حمل النساء، فلم تكن ترى من جرائه أيَّ تعبٍ أو نصبٍ، بل كان مصدر سعادة وراحة لها، ولم يصبها ثقل الحمل، وما وجدت له مشقةً حتَّى وضعته ﷺ.
- عاشت الجزيرة العربية إرهاصاتٍ تبشِّر بقرب ولادة النبيِّ الذي ستتجلَّى فيه دعوة إبراهيم وعيسى ﷺ وتبعتها بشارات أجداد النبيِّ الأكرم ﷺ، وآبائه الكرام، وغيرهم من الحكماء والعرفاء. وقد حظيت السيِّدة آمنَة ﷺ بالقسط الأكبر من البشارات والكرامات لهذا الحمل المبارك.
- جاء في الخبر أنَّ النبيَّ ﷺ لما وُلد سقط من بطن أمِّه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء، ويحرك شفثيه بالتوحيد، وبدا من فيه الطاهر نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطرخ وما يليها. ولقد أضاءت الدنيا ليلة وُلد النبيُّ ﷺ حتَّى فزعت الجنَّ والإنس والشياطين.
- اختلف الرواة والمؤرخون في تحديد يوم مولده ﷺ، واتَّفَقوا جميعهم على أنَّ مولده كان عام الفيل سنة (53) قبل الهجرة في شهر ربيع الأول، وعن ابن طاووس أنَّه كان يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول في عام الفيل عند طلوع فجره.
- بعد الولادة المباركة نُحرت الجزائر وذُبحت الشياه وأُطعم أهل مكة ثلاثاً، ثم عَقَّ أبو طالب ﷺ عنه في اليوم السابع لولادته صلوات الله عليه.





## الدرس العاشر:

# السيدة آمنة عليها السلام من ولادة النبي صلوات الله عليه وآله إلى وفاتها

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يذكر مقتطفات من دور السيدة آمنة عليها السلام في سني النبي محمد صلوات الله عليه وآله الأولى.
- يبين حادثة إرضاع الرسول صلوات الله عليه وآله في البادية.
- يشرح حادثة وفاة السيدة آمنة عليها السلام ومجرياتها.



## أُمُّ الْهَدْيِ

بعد مولد النبي الأكرم ﷺ لم تعد السيدة آمنه ؑ تشعر بالوحدة التي كانت تشعر بها من قبل، فلقد نعمت الأم التي ترملت في شبابها بالوليد الجميل المشرق الجبين، الذي ملأ البيت من حولها نوراً وسروراً، ورأت فيه السلوى عن والده الذي غيَّبه الموت، ولم يرَ هذا الوليد الذي يملأ العيون بهاءً، والقلوب محبة.

والسيدة آمنه ؑ تستشعر الآن أن عليها اتجاه زوجها عبد الله واجباً يجب أن تؤدِّيه، ولا يمكن لها بأيِّ حالٍ من الأحوال أن تنسى، وهي التي أحست أن رسالتها بالنسبة لابن عمها لم تنته بعد، فعليها أن تعيش من أجل مولودها الذي هوَّ نَ عليها مرارة الفراق، ورأت في حمله ووضع ما يؤنس كلَّ وحشة، وكان حالها كحال والدتي النبيين إسماعيل وموسى عليهما أزي الصلاة والسلام، وقد شاء الله سبحانه لهنَّ أن يتحمَّ لن عبء رعاية هؤلاء العظام بمفردهنَّ دون مشاركة الآباء، رغم اختلاف الأسباب.

وأقبلت السيدة آمنه ؑ ترضع ولدها سيِّد الأنام، وتغذوه من لبنها الأطهر، وقد اكتملت فرحتها وبشرها، فهي التي لم تنجب امرأة قطَّ مضارع من أنجبت، ولا فرعت في نساء الدنيا مشابه من فرعت

لَوْ كَانَ مِثْلِكَ كُلُّ أُمٍّ بَرَّةٍ

غَنِيَّ الْبَنُونَ بِهَا عَنِ الْآبَاءِ<sup>(1)</sup>

(1) أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي المشهور بالشريف الرضي.

ولكن للأسف الشديد قد بالغ الكثير من أصحاب الأقلام القاسية - التي تشبه جلافة طباعهم- فقَصَّروا في حقِّ هذه السيِّدة العظيمة أيما تقصير، ثمَّ حرَموها من أقدس علاقة بين الأمِّ ووليدها، فقالوا إنَّها أرضعت ولدها المصطفى يومين أو ثلاثة ثم دفعت وليدها إلى ثوية مولاة أبي لهب، فأرضعته بلبن ولدها مسروح. وقد ردَّ هذا الأمر جملةً وتفصيلاً العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي<sup>(1)</sup>، فكفانا مؤنة الاستقصاء الذي يضيق عنه الوسع في هذا الإملاء، فجزاه الله عنَّا أحسن الجزاء.

كذلك ذكر القوم وجوهاً لتبرير مزاعمهم، فقالوا لجفاف اللبن عند أمِّه آمنة. هذا مع أنَّ حليمة السعدية، وهي مرضعة رسول الله ﷺ بلا خلاف، تروي فيما بعد أنَّ صدرها كان جافاً من اللبن، فلم تستطع إرضاع ولدها حتَّى ألقمت رسول الله ﷺ الثدي فدُرَّ لبنها، وذلك من بركة رسول الله ﷺ، فعلام تصيب هذه البركة حليمة السعدية، ولا تشمل والدة خير البرية، وهي التي خرج منها نورُ أضاءت لها منه قصور الشام، وأنت ترى أنَّ موسى بن عمران عليه السلام ولد في أصعب الظروف حيث كان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى أمه أن تجعله في تابوت وتلقيه في اليمِّ، ومع ذلك لم يحرم أمُّه من هذه الرابطة المقدَّسة<sup>(2)</sup> قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>، ونبينا المصطفى ﷺ ليس بدعاً من الرسل، بل هو سيدهم.

### وفاة وهب والد آمنة عليه السلام

كانت السيِّدة آمنة ترى في وليدها العظيم حصناً ورصيلاً لها في مستقبل أيامها، وكانت تستمدُّ من وجوده العزيمة والمضاء، فلما أتى على رسول الله ﷺ شهران مات جدُّه وهب بن عبد مناف والد أمِّه آمنة، وجاء عبد المطلب، وجماعةٌ من قريش وبني هاشم،

(1) الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج2، ص 70-75، طبعة: 4، دار الهادي، بيروت.

(2) آية الله الشيخ محمد بن موسى يعقوبي خلال لقاءه طلبة جامعة الصدر الدينية، يوم المولد النبوي الشريف، عام 1430هـ.

(3) سورة القصص، الآيتان 12 - 13.

وَعَسَلُوا وَهَباً وَحَنَطُوهُ وَكَفَّنُوهُ، وَدَفَنُوهُ عَلَى ذَيْلِ الصَّفَا<sup>(1)</sup>. فبَكَتْهُ ابْنَتُهُ آمَنَةُ عليها السلام وَوَرِثَتْهُ بِمَرَاثٍ تَشِيدُ فِيهَا بِالصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ الَّتِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهَا الْجَدُّ الثَّانِي لِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله، فَقَالَتْ عليها السلام<sup>(2)</sup>:

أني لباكية وهباً فمعولةٌ  
 وهب بن عبد مناف سيد الناسِ  
 فقد رزئت كريمةً غير مؤتشبٍ  
 ضخم الدسيعة حناساً لحناسِ  
 ماضي العزيمة لا يخشى غوائله  
 من جوهر من قريشٍ غير أنكاسِ.

### رضاعه صلى الله عليه وآله في البادية

بعد مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كانت تمضي الأيام والسيِّدة آمنَة عليها السلام عاكفة على ولدها الغالي تعطره بأريج الحنان، وتحوطه بأجواء المحبة، والرحمة الباهرة، وذلك بعد أن حُرِمَ من رحمة الأبوة، فنزعت السيِّدة آمنَة عليها السلام الراحة من نهارها، والنوم من ليلها تحوطه بأنفاسها إلى أن جاء وقت إرساله للبادية على العادة التي اعتادها أشرف مكة، وكانوا يعلِّلون ذلك بوجوب تعلم أولادهم آداب العربيَّة وخصال العرب، ويرون أيضاً أنَّ أطفالهم ينشؤون أصحَّ أبداناً، وأفصح لساناً، وأقوى جناحاً، وأصفى فكراً وقريحة، وهذا الأمر بالطبع لا ينطبق على الأمين الصادق الذي روي عنه أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ أَدْبَنِي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»<sup>(3)</sup>، وسلَّم له العرب أنه أفصح من نطق بضادهم، فمن ذا الذي يتعلَّم عنده رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، وهو الذي اختاره الله تعالى وانتخبه من البقية الباقية التي تدين بدين

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج15، ص293، الطبعة:2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1403هـ - 1983م .

(2) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، ص116، طبعة: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.

(3) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة، ج1، ص73، طبعة دار الكتاب العربي، وقال: رواه العسكري في الأمثال عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، ورواه أبو سعد بن السمعاني في أدب الأملاء عن عبد الله بن مسعود، وكلٌّ من ضَعَفَ سنده سلَّم بصحة معناه، كذلك رواه القطب الراوندي في لب الباب، وروى الحسن بن الفضل الطبرسي في مكارم الأخلاق عن عبد الله بن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا أديب الله وعليّ أديبي».

خليله إبراهيم عليه السلام، واجتباه من بني هاشم خير بطون العرب، وهم أفصحهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأرجحهم ميزاناً وأصحهم إيماناً، وأعزهم نفراً، وأكرمهم معشراً، وقد قالت أمه آمنة عليها السلام لحليمة السعدية<sup>(1)</sup>: «يا ظئر سلي عن ابنك، فإنه سيكون له شأن، وأخبرتها ما رأت، وما قيل لها فيه حين ولدته، وقالت: قيل لي ثلاث ليالٍ: استرضعي ابنك في بني سعد بن بكر، ثم في آل أبي ذؤيب»<sup>(2)</sup>.

وكلام السيدة آمنة عليها السلام يدلُّ على أنها كانت مأمورة في أن لا تدفعه إلا لحليمة بنت أبي ذؤيب السعدية. والروايات في أن حليمة قد ارضعت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغت حدَّ التواتر، ولا يمكن ردُّها لمجرد الظنون، فلا بدَّ من القول إن حليمة السعدية كانت امرأةً عظيمة الشأن جليلة القدر، والرواية السابقة تعتبر من الشواهد على عظم شأنها:

دفعت آمنة عليها السلام بخير مولود إلى حضن حليمة السعدية، وذلك بعد أن تنعمت بمحيّاه، وأنشأت تقول:

يا ربي بارك في الغلام الأصغرِ  
في ابن الذبيحين الكريم العنصرِ  
الهاشمي القرشي الأزهرِ  
مبارك اليمن كثير المفخرِ  
ربّ منى والبيت ثم المشعرِ  
احفظه ربي من جميع الضررِ<sup>(3)</sup>  
وقال أصحاب السير إن حليمة رفضته في أول الأمر ليئتمه، ولما لم تتمكن من أن تحصل

(1) هي حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، من بني سعد بن بكر من هوازن.

(2) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 111.

(3) الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم، ص 394، عن العزفي أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي الفقيه المحدث الرئيس أبي العباس بن الخطيب أبي عبد الله السبتي المعروف بالعزفي كان ذا فضل وصلاح صنف كتاباً في مولد النبي وجوده صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذا فنون وألّف في الحديث أجزاء مفيدة، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وست مائة، يراجع الوافي بالوفيات للصفدي، ج 7، ص 228، طبعة دار أحياء التراث.

على غيره - في الوقت الذي حصلت فيه باقي المرضعات على أطفالٍ أغنياءٍ وليسوا بإيتام - قبلت أن ترضعه صلى الله عليه وآله!!

والحقيقة إنَّ هذا القول يصحُّ بالنسبة ليتيمٍ لا أهلَ له، ولا كافلاً، ولا معيلاً، وأما بالنسبة للمولود الذي رأت قريش من بركات مولده ما رأت، فإنَّ كافله هو عبد المطلب سيد مُضَرِّ وساقى حبيج بيت الله الحرام ومطعمهم، ووارث أبيه عمرو العلى الذي هشم الثريد لقومه، ورجال مكة مسنتون عجافٌ.

من يباريهم وفي الشمس معنى

مُجهد مُتعب لمن باراها

وأُمُّ مُحَمَّدِ آمنة بنت سيِّد بني زهرة وهب بن عبد مناف الذي كان مضرب المثل بجزيل عطيته، وعظيم قصعته التي كان يقدمها للضيفان، وهما (آمنة وعبد المطلب) أشرف العرب في الحسب، وأعرقهما في النسب، وأنضرهما عوداً، وأطولهما عموداً، فمثلهما من يطمع في عطائه، فأَيُّ حظوة بعد ترجوها حليلة؟

هذا إذا لم نأتِ برواية شاذان عن الواقدي الذي روى فيها أنَّ عبد المطلب هو الذي استدعى والد حليلة، فأخبرها أبوها قائلاً: اعلمي أنَّ عبد المطلب رئيس قريش وسيِّد بني هاشم سألني إنفاذك إليه لترضعي ولده، وتبشري بالعاء الجزيل، ففرحت حليلة بذلك، وقامت من وقتها وساعتها، واغتسلت وتطيبت وتبخرت وفرغت من زينتها، وقصدت هي وأبوها بيت سيِّد مكة...<sup>(1)</sup>.

### وداع آمنَة وعبد المطلب لقرّة العينين

إنَّ الذي التمس لرسول الله صلى الله عليه وآله المراضع هو جدُّه العظيم عبد المطلب، وفي ذلك يروي داوود بن هند أنَّ سيِّد مكة ذهب يطلب ظئراً، فوافق حليلة السعدية، فجاء بها، فدفعه إليها، وشيَّعها، وهو يقول:

(1) أبو الفضل شاذان ابن جبرائيل القمي، الفضائل، ص27، طبعة:2، الرضي، قم.



يَا رَبَّ هَذَا الرَّكِبِ الْمُسَافِرِ  
 مُحَمَّدٍ فَأَقْلِبْ بِخَيْرِ طَائِرٍ  
 وَأَزْجُرْهُ عَنِ طَرِيقَةِ الْفَوَاجِرِ  
 وَأَخْلِلْ عَنْهُ كُلَّ خَلْقٍ فَاجِرٍ  
 أَخْنَسَ لَيْسَ قَلْبُهُ بِطَاهِرٍ  
 وَجِنَّةٌ تَصِيدُ بِالْهَوَاجِرِ

### إِنِّي أَرَاهُ مُكْرَمِي وَنَاصِرِي (1)

وروى محمد بن سعد والحسن بن الطراح في كتاب الشواعر عن زيد بن أسلم أن حليمة لما أخذت النبي ﷺ قالت لها السيدة آمنة عليها السلام: «اعلمي أنك قد أخذت مولوداً له شأن، والله لحملته فما كنت أجد ما تجد النساء من الحمل، ولقد أتيت فقيل لي إنك ستلدين غلاماً، فسّميه أحمد وهو سيّد العالمين، ولقد وقع معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء، فخرجت حليمة إلى زوجها، فأخبرته فسّر بذلك...» (2).

ودّعت السيدة آمنة عليها السلام ولدها العظيم، وقد أودعت روحها معه، فجسم آمنة قد بقي في مكة، ولكن روحها حيث محمدٌ غادية عليه رائحة  
 يَا رَاحِلًا وَجَمِيلُ الصَّبْرِ يَتَّبَعُهُ  
 هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى لُقْيَاكَ يَتَّفِقُ  
 مَا أَنْصَفَتْكَ جُفُونِي وَهِيَ دَامِيَّةٌ

ولا وفي لك قلبي وهو يحترق  
 و«شرف الله تعالى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه وخصّها بتربته، وكانت ذات عقل وفضل فروت من آياته ما يبهر عقول السامعين، وأغناها الله ببركته في الدنيا والدين» (3).

(1) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص162-163.

(2) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الخصائص الكبرى، ج 1، ص103، طبعة: دار الكتب العلمية، 1405 هـ.

(3) الشيخ الجليل محمد بن علي أبو الفتح الكراجكي، كنز الفوائد، ج1، ص167، الطبعة 1: دار الذخائر، قم.

## اليتيم العظيم في كنف حليلة

منذ أن ضُمَّت هذا اليتيم العظيم بدأت تشعر بأنَّها تحمل معها كنزاً ثميناً دونه كلُّ الكنوز، فخرجت على أتانها منطلقاً، وزوجها على شارفهم<sup>(1)</sup>، وقد درَّت باللبن، فكانوا يحلبون منها مساءً وصباحاً، فمرَّ بحليمة نَفراً من اليهود (وهي راجعةٌ إلى بادية بني سعد)، فقالت: ألا تحدِّثوني عن ابني هذا، فإنِّي حملته كذا، ووضعتة كذا، ورأيت كذا كما وصفت أمه، فقال بعضهم لبعض:

اقتلوه، فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا، هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيماً لقتلناه!  
فذهبت به حليلة، وقالت: كدت أخرب أمانتي<sup>(2)</sup>.

وكانت حليلة تتعرَّف من الله تعالى الزيادة والفضل والنعمة في كلِّ شيء طيلة مدة رضاع النبي ٱلصَّالِح ٱلْمُرْسَل في بني سعد، فعُمَّت البركة جميع الحيِّ وتزايد الخير بالزاد والمال، وقد أفضت بما تراه لزوجها ونبتهته إلى بوادر الخير التي أخذت تلوح لهم، فقال لها: عسى أن يكون لهذا الغلام شأنٌ عظيم، وأوصاها بالعناية به والحرص عليه؛ ولكنَّ حليلة لم تكن تحتاج إلى أيِّ توصية، فقد ازدحمت في قلبها جميع عواطف الأمومة تجاه هذا اليتيم العظيم، وتفجَّر في فؤادها ينبوعٌ من الحنان لا يمكن له أن ينفذ أبداً، وقد كانت تقدِّمه على أولادها، وتحلِّه في أعلى منزلةٍ من قلبها ورعايتها وبرِّها وكرمها.

لقد بلغت بالهاشميِّ حليلةً

مقاماً علا في ذروة العزِّ والمجدِ

وزادت مواشيها وأخصب ربعها

وقد عمَّ هذا السعد كلَّ بني سعدِ

(1) الشارف: هي الناقة المسنة التي لا تسيل منها قطرة لبن.

(2) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص113.

وقد روي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَضَ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَهُوَ ابْنُ سَنَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُهَا فِيمَا بَعْدَ أَنْ لَا تَأْكُلُ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَطِيمًا وَقَتْنَدٍ إِلَّا أَنَّهُ ﷺ كَانَ مُسَدِّدًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا كَانَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ السَّعْدِيَّةِ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ كَانَ هُوَ الْمَعْلَمَ لَهُمْ، وَالْمَانِعَ لِنَفْسِهِ مِنْ تَنَاوُلِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ.

وقد روي أَنَّ حَلِيمَةَ قَدِ رَأَتْ الْأَصْنَامَ تَتَسَاقَطُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ مُحَمَّدٍ، وَهَذَا إِنْ ثَبَتَ فَلَا بَدَّ أَنَّهُ يَجْعَلُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ لَا تَعْتَقِدُ بِالْأَصْنَامِ، وَلَا تَعْبُدُهَا بَعْدَمَا رَأَتْهَا تَتَسَاقَطُ عَلَى وَجُوهِهَا. هَذَا بِالْإِضَافَةِ لِمَا رَأَتْهُ مِنْ مَعَاجِزَ كَثِيرَةٍ حَالِ تَرْبِيَّتِهَا لَهُ مِنْ تَظْلِيلِ الْغِمَامَةِ لَهُ، وَإِخْضَارِ الْأَشْجَارِ بِبِرْكَتِهِ وَوَجُودِهِ، وَشَفَائِهِ لِبَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ وَنَزُولِ الْبِرْكَتِ فِيهَا، وَغَيْرِهَا مِنْ الْمَعَاجِزِ، وَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ أُمِّهِ وَجَدَهُ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ وَمِنْهُ ﷺ مِنْ كِرَامَاتٍ تَوْضِحُ عَظَمَ شَأْنِهِ يَجْعَلُهَا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ بِهَذَا النَّبِيِّ كُلَّ الْمَحِيطِ الَّذِي تَتَعَامَلُ مَعَهُ حَلِيمَةَ مُوَحِّدًا لِلَّهِ، فَلَا بَدَّ بَعْدَ رُؤْيَيْهَا لِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ تَكُونَ مُوَحِّدَةً. وَفِيمَا بَعْدَ «لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ نَبَأَ وَفَاتِهَا فَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَذَرَفَ عَلَيْهَا الدَّمُوعُ»<sup>(1)</sup>. وَقَدْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ آبَائِهِ الْكِرَامِ عَنِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ أَنَّهُ شَافِعٌ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(2)</sup>.

وَكَانَتْ حَلِيمَةَ تَأْتِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ مَدَّةٍ لِتَجْدِيدِ الْعَهْدِ بِأُمِّهِ آمِنَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ (حَلِيمَةَ) أَحْرَصَ الْخَلْقِ عَلَى مَكْتَبِهِ ﷺ فِيهِمْ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ بَرَكَتِهِ، فَتَخَبَّرَ أُمُّهُ بِذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَّ تَخْتَلِقُ كَثِيرًا مِنَ الْمَعَازِيرِ وَالْحَجَجِ لِتَتِمَّكَنَ مِنْ اسْتَبْقَائِهِ عِنْدَهَا أَكْبَرَ مَدَّةٍ مُمْكِنَةٍ، فَمَا كَانَتْ تَتِمَّكَنَ أَنْ تَنْفَصَلَ عَنْهُ أَوْ أَنْ يَفَارِقَ أَحْضَانَهَا وَيَبْعَدَ عَنْ سَاعِدِيَّتِهَا، فَقَدْ كَانَ بِالنِّسْبَةِ لَهَا يَنْبُوعًا لِلْخَيْرِ وَالْبِرْكَتِ وَالسَّعَادَةِ وَالْهِنَاءِ، فَلَا تَزَالُ تَلْحَقُ عَلَى السَّيِّدَةِ آمِنَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَسْرَحَهُ ﷺ مَعَهُمْ، وَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ:

(1) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري، جمل من أنساب الأشراف، ج1، ص95، من الطبعة:1، دار الفكر.  
(2) الحافظ السيد الرضي شمس الدين فخار بن معد بن فخار بن أحمد الموسوي الحائري، الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب، ص46-48، طبعة:1، دار سيد الشهداء، طهران.

أضحت حليلة تزدهي بمفاخر  
 ما نالها في عصرها إنسان  
 فلها الكفالة والرضاع وصحبة  
 وكذا جزاء المحسن الإحسان

### رجوع حليلة بالنبي ٱلصَّالِح ٱلسَّامِع

ولما رجعت به آخر مرّة مرّت بذي المجاز<sup>(1)</sup>، وكان بهذا السوق عرّاف، أي منجمّ، يؤتّى إليه بالصبيان ينظر إليهم، فلما نظر إلى رسول الله ٱلصَّالِح ٱلسَّامِع صاح:  
 يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبيّ، فليقتلنّ أهل دينكم، وليكسرنّ أصنامكم، وليظهرنّ أمره عليكم، وجعل يغري بالنبيّ ٱلصَّالِح ٱلسَّامِع، فانسَلّت به حليلة، فجعل الناس يقولون أيّ صبيّ هو؟<sup>(2)</sup>.

يقول ابن إسحاق: «وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله ٱلصَّالِح ٱلسَّامِع قبل مبعثه لَمَّا تقارب زمانه. أمّا الأحبار من يهود والرهبان من النصارى، فَلَمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه لما كان في عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأمّا الكهان من العرب، فتأثيهم به الشياطين من الجنّ فيما تسترق به من السمع، إذ كانت لا تُحجب عن ذلك بالقذف والنجوم، كما حُجبت عند الولادة والمبعث، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، ولا تلقي العرب لذلك بالأحتمى حتّى بعثه الله عزّ وجلّ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرونها فعرفوها، فلما تقارب أمر رسول الله ٱلصَّالِح ٱلسَّامِع، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم، فعرفت الجنّ أنّ ذلك لأمر حدث من الله عزّ وجلّ في العباد. يقول الله تعالى لنبيه ٱلصَّالِح ٱلسَّامِع حين بعثه، وهو يقصّ عليه خبر الجنّ إذ حجّبا عن

(1) ذي المجاز: سوق كان يقام في الجاهلية على فرسخ من عرفة، وكانت العرب تنتقل إليه، فتقيم به إلى أيام الحج.

(2) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص159.

السمع، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُمٌّ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (1)،...» (2).

ولما كثرت مشاهدات العرافين والكهّان واليهود للنبي ﷺ في البادية، ونداءاتهم بوجود قتل رسول الله ﷺ قرّرت حليلة رده على أمه وجدّه، فرآه معها نفرّاً من نصارى الحبشة حين رجعت به إلى أمه بعد فطامه، فنظروا إليه وقلّبوه، أي رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه، وقالوا لها هل يشتكي عينيه؟ قالت، لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه، ثم قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا وبلدنا، فإنّ هذا الغلام كائنٌ له شأن، نحن نعرف أمره، فلم تكذ تنفلت به منهم.

وهذا مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه آمنة بنت وهب ؓ (3)، وتركته عندها، وهو دون الثالثة كما قد نقل عنها (4).

## الأم الرؤوم (5)

يرجع محمد بن عبد الله ﷺ إلى كنف أمه آمنة ؓ لكي يحظى برعاية الأم الحنون في أهمّ حُقبةٍ من صباه، ولكي ينشأ في ظلّ جدّه العظيم. ولقد كانت لحظات مفعمة بالمشاعر الفياضة لما عاد النبي ﷺ إلى حضن أمه الدافئ، فوجد فيه كلّ الطمأنينة والسكينة، والرأفة والرحمة التي كانت تحملها نظرات أمه النورانية إليه، ولقد كان غياب رسول الله ﷺ عن عينيها للحظات، يشكّل لها أعظم المصائب وآلمها، فقد غاب عن ناظرها ذات يوم، فكان يوم مصيبتها، وخرج بنو هاشم، ونفر من قريشٍ يبحثون عنه ﷺ في كل

(1) سورة الجن، الآيات 1-10.

(2) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج1، ص111-112، طبعة:1، دار الفكر، بيروت.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص304، والسهيلي في الروض الأنف.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص167، طبعة:2، مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، وتاريخ الطبري، والروض الأنف للسهيلي، وعيون الأثر، والبداية والنهاية، والسيرة النبوية لابن كثير، وغيرهم من أصحاب السير.

(5) الرؤوم: العطف الحنون، ويقال للأثني إذا أحب ولدها وعطف عليه ولزمته، فهي رائمة ورائم ورؤوم، يراجع المعجم الوسيط، ج1، ص320، طبعة: دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية.

حدبٍ وصوب. يقول ابن مسعود: أتينا الوادي، فرأيناه يأكل الرطب من شجرة أمّ غيلان، وحوله شابان، فلما قربنا منه ذهب الشابان، وكانا جبرئيل وميكائيل ٱلنَّبِيَّيْنِ، فسألناه من أنت؟ وماذا تصنع؟ قال: أنا ابن عبد الله بن عبد المطلب، فحملة عبد المطلب على عنقه، وطاف به حول الكعبة، وكانت النساء اجتمعن عند آمنَة على مصيبتة، فلما رآها تمسك بها، وما التفت إلى أحدٍ (1).

يا نعم بطنٍ قد حواك ويا له

نسبٌ له أهل السما خُدام

إن عاطفة الحنو والشفقة التي أودعها الله في قلب آمنَة لولدها قد بلغت الغاية القصوى، وبها احتملت ما احتملت من فراق زوجها عبد الله بن عبد المطلب، وأبيها وهب بن عبد مناف، وكان ٱلنَّبِيُّ يرى كيف أن أمّه آمنَة ٱلنَّبِيَّة تمضي الليل حانيةً عليه، وساهرةً على حفظ صحته، وسلامته، وتمضي النهار لا شغل لها إلا رعايته، فقد كانت ٱلنَّبِيَّة مثلاً رائعاً للأمم الحية النابضة التي استطاعت رغم انعقادها الوامض من رحلة الزمن، أن تهب النبي ٱلنَّبِي في مدة زمنية خاطفة، كل ما يمكن أن تهبه الأم الرحيمة لولدها من عطف، ومن حب وحنان.

### ذهاب آمنَة ٱلنَّبِيَّة إلى يثرب

لا زالت السيِّدة آمنَة ٱلنَّبِيَّة تتقلب في كرامات الله وأفضاله ورحمته وبركاته المصبوبة على ولدها المصطفى ٱلنَّبِي وعليها إلى أن وافتها المنية. وفي ذلك يروي جُلُّ المؤرخين وأصحاب السير رواية موجزة مفادها أن السيِّدة آمنَة ٱلنَّبِيَّة كانت قدمت بالنبي ٱلنَّبِي المدينة على أحواله من بني النجار (2) تزيه إياهم، فماتت وهي راجعة.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج15، ص334، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب.

(2) إضافة الأحوال إليه مجازاً لأنهم جده عبد المطلب ٱلنَّبِي.

وقيل: إنها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله بن عبد المطلب، ومعها ولدها المصطفى ﷺ، وأم أيمن حاضنته، وبعد إقامتها في يثرب لشهرٍ من الزمان عادت الى مكة، فماتت بالأبواء ودفنت هناك<sup>(1)</sup>، وللنبي ﷺ من العمر ست سنين<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الموضوع يحقُّ لأيِّ متدبرٍ أن يسأل هل يرضى سيّد مكة أن تخرج السيّدّة آمنة، ومعها ولدها المبارك الميمون على هذا الحال؟! ويحقُّ لسائل أن يسأل أين أبو طالب وإخوانه الكرام من آل عبد المطلب عن كريمة قريش، وولدها العظيم الذي هو بقيّة حبيبهم عبد الله بن عبد المطلب؟!!

أين هم، وقد شهدوا وسمعوا مرّةً بعد مرّةٍ كم قد تعرض ابنهم للاغتيال؟! أين هم حتّى يتركوا كريمة قريش تخرج به من مكة إلى يثرب قاطعةً رحلةً تبلغ مسافتها أكثر من أربعمائة كيلو متر في وسط تلك الصحراء الموحشة!! وليس معها غير أم أيمن؟! الحقُّ أنّ هذا أمرٌ لم نعهده من صغار صعاليك الأعراب، فكيف يُقبل في حقِّ سراة العرب، وسادة البطاح، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب! ويؤسفنا القول أنّ نفرًا من العلماء لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة هم الذين ذكروا أنها كانت بمعية عمها سيد مكة عبد المطلب بن هاشم، فتأمل قولهم:

«ولما أتى لرسول الله ﷺ ست سنين، زارت أمه قبر زوجها بالمدينة، كما كانت تزوره، ومعها عبد المطلب، وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفةً إلى مكة، ماتت بها ودفنت، ويقال إن عبد المطلب زار أخواله من بني

(1) الأبواء: قرية تاريخية عظيمة، فيها ضريح السيّدّة آمنة بنت وهب أم النبي الأكرم ﷺ. وفيها ولد إمامنا الكاظم موسى بن جعفر ﷺ، وهي اليوم مركز يتبع محافظة رابغ، وتقع شرق شمال المحافظة، وتبعد عن مكة المكرمة 200 كلم، وعن المدينة المنورة 170 كلم، وعن جدّة من ناحية الشمال 190 كلم، وهي على يمين القادم من مكة المكرمة باتجاه المدينة المنورة، ويستفاد من المروري في كتب التاريخ والسيرة أنّ قَدَمَي مولانا رسول الله ﷺ قد وطئتاها ثماني مرّات، الأولى مع والدته العظيمة ﷺ، والثانية مع عمّه أبي طالب ﷺ وكان عمره ﷺ اثني عشر عاماً، والثالثة عندما خرج ﷺ في تجارة أم المؤمنين السيّدّة خديجة الكبرى ﷺ، والرابعة في غزوة الأبواء، والخامسة في غزوة الحديبية، والسادسة في عمرة القضاء، والسابعة عام الفتح، والثامنة في حجة الوداع، وقد سمّيت هذه القرية بالأبواء لأن السيول تبوء بها أيّ: تجلّ بها.

(2) طبقات ابن سعد، ج1، ص31، و ص58، و ص60، و ص73، وسيرة ابن هشام، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتهذيب الاسماء واللغات، والدر المنثور، وسفينة البحار، وعيون الأثر، وغيرها.

النجار، وحمل معه آمنَة ورسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رجع منصرفاً إلى مكة، ماتت آمنَة بالأبواء»<sup>(1)</sup>.

### إقامة آمنَة في يثرب

إذا رأت السيِّدة آمنَة عليها السلام أن تزور قبر زوجها الراحل بيثرب، كما كانت تزوره، وتصحب معها ولدها المصطفى صلى الله عليه وآله، فخرجت معيَّة عبد المطلب بن هاشم جدّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومعهم بركة أمّ أيمن<sup>(2)</sup>، تحضنه، فلما وصلوا إلى المدينة نزلت السيِّدة آمنَة عليها السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله في الدار التي دفن فيها عبد الله ابن عبد المطلب عليه السلام، فأقامت شهراً.

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكون مع أمّه، فلما بلغ ستّ سنين خرجت به أمّه إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور أخواله، ومعه أمّ أيمن، فنزلت به في دار النابغة- رجلٌ من بني عدي بن النجار- فأقامت به شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر أموراً كانت في مقامه. ذلك لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفها»<sup>(3)</sup>، وقال: «كنت لأعب أنيسة جاريةً من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمانٍ من أخوالي نظير طائراً كان يقع عليه، ونظر إلى الدار، فقال: ههنا نزلت بي أمّي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار..»<sup>(4)</sup>.

كما يروى عن أمّ أيمن أنها قالت: فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة، فقالا لي أخرجني إلينا أحمد ننظر إليه، فنظرا إليه وقلباها، فقال أحدهما لصاحبه: هذا نبيُّ هذه

(1) أحمد بن يحيى البَلَدُورِي، جمل من أنساب الأشراف، ج1، ص94، حديث164، وياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج1، ص79، طبعة دار الفكر، ونور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج4، ص7، طبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) وكان من شأن أمّ أيمن، أمّ أسامة بن زيد، أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت السيِّدة آمنَة رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد ما توفّي أبوه، فكانت أمّ أيمن تحضنه.

(3) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص163.

(4) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص116، عن الله بن عباس.



الأمّة وهذه دار هجرته، وسيكون بها من القتل والسبي أمرٌ عظيمٌ، فلما سمعت أمّه خافت، وانصرفت به<sup>(1)</sup>.

وفي رواية عن النبي ﷺ قال: «نظرت إلى رجلٍ من اليهود يختلف إليّ، ينظر إليّ ثمّ ينصرف، فلقيني يوماً خالياً، فقال: يا غلام ما اسمك؟ قلت: أحمد، ونظر إلى ظهري، فأسمعه يقول: هذا نبيُّ هذه الأمّة، ثم راح إلى أخوالي، فأخبرهم، فأخبروا أمي، فخافت عليّ، فخرجنا من المدينة»<sup>(2)</sup>.

وهذه الروايات التي أوردناها وغيرها من النصوص تبين أن الداعي لخروج السيّدة أمّنة عليها السلام بولدها المصطفى ﷺ من «يثرب» هو الخوف عليه من اليهود الذين كانت لهم اليد الطولى في المدينة آنذاك.

والمتملّ في السيرة النبوية المباركة يعلم أن ظاهرة بشارة أهل الكتاب والكهان برسول الله ﷺ، بلغت حدّ التواتر، ومعرفتهم بشخصه ﷺ أنه نبيّ هذه الأمّة، ومحاولات اليهود والكهان قتله، أمر أصبح من الشهرة والاستفاضة بحيث لا يغيب عن أيّ باحثٍ. وقد شهد بعضهم له ﷺ أنه رسول الله المبشّر به، والموعود به على السنة الأنبياء المتقدّمين. وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، وأقرّ بعضهم بذلك في وجه النبي ﷺ، ولكنّ فريقاً منهم يكتمون هذا العلم اليقينيّ مع علمهم بأنّه حقّ، وفي هذا ما فيه من البشاعة والجحود، فقال الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

نعم كانوا يعرفون رسول الله ﷺ معرفةً جليّةً يميّزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لا يشتهه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم، وبعد شهادة الله تعالى ليس هناك شهادة، فهو سبحانه أصدق القائلين وخير الشاهدين.

(1) ابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، ج1، ص235.

(2) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص163.

(3) سورة البقرة، الآية 146.

## وفاة السيِّدة آمنَةُ عليها السلام

رجعت السيِّدة آمنَةُ عليها السلام مسرعةً قاصدةً مكةَ المَكْرَمَةَ خوفاً على النبي صلى الله عليه وآله من اليهود، فلما وصلت الأبواء توعَّكت، ثم مرضت عليها السلام، وحينما أحسَّت بالفراق المحتوم، الذي له وقعٌ عظيمٌ في القلوب، لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، انهمرت دموعها، وهي تنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وآله، فكلمته بكلمات نقلها لنا الحافظ المحدث أبو نعيم الأصبهاني من حديث عبد الله بن العلاء، عن الزهري عن أمِّ سماعة بنت أبي رهم، عن أمِّها، قالت:

«شهدتُ آمنَةَ أمِّ النبي صلى الله عليه وآله في علَّتْها التي ماتت بها، ومحمدٌ غلامٌ يفع له خمس سنين عند رأسها، فنظرت أمه إلى وجهه، ثم قالت:

بَارِكْ فِيكَ اللَّهُ مِنْ غُلَامٍ  
يَا ابْنَ الْذِي مِنْ حَوْمَةِ الْحَمَامِ  
نَجَابِعُونَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ  
فَوَدِي غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسُّهَامِ  
بِمَاءَةٍ مِنْ إِبِلٍ سَوَامِ  
إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي الْمَنَامِ  
فَأَنْتَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَنَامِ  
مَنْ عِنْدَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ  
تُبْعَثُ فِي الْجِلِّ وَفِي الْحَرَامِ  
تُبْعَثُ بِالتَّحْقِيقِ وَالْإِسْلَامِ  
دِينِ أَبِيكَ الْبُرِّ إِبْرَاهِمِ  
فَاللَّهُ أَنَهَاكَ عَنِ الْأُضْنَامِ  
أَنْ لَا تُوَالِيَهَا مَعَ الْأَقْوَامِ

ثم قالت عليها السلام: «كُلُّ حَيِّ مَيِّتٍ، وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ، وَكُلُّ كَبِيرٍ يَفْنَى، وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذَكَرِي بَاقٍ، وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا وَوَلَدْتُ طَهْرًا، ثُمَّ مَاتَتْ، فَكُنَّا نَسْمَعُ نُوْحَ الْجِنِّ عَلَيْهَا»، فحفظنا من ذَلِكَ:

نبكي الفتاة البرّة الأمانة

ذات الجمال العفّة الرزينة

زوجة عبد الله، والقرينة

أمّ نبيّ الله ذي السّكينة

وصاحب المنبر بالمدينة

صارت لدى حفرتها رهينة<sup>(1)</sup>

وهكذا رحلت أمّ الهدى عليها السلام بعد رحلة حياةٍ قصيرةٍ انطوت كلمح البصر، ولكن هل

تقاس الحياة بطولها وقصرها، أم بالأثر الذي يتركه الأحياء قبل رحيلهم؟ فانظر إلى الأثر

الذي خلّفته سيّدة الأمّهات بولادتها لرحمة الله المهداة عليها السلام

وَمَنْ غَدَا اسْمُ أُمِّهِ نَعْتًا لَأَمْنِهِ

فَتَلِكِ آمِنَةٌ مِنْ سَائِرِ النَّقَمِ

(1) هذا الأثر الوارد في وفاة أمّ النبي صلى الله عليه وآله لم أعر عليه في النسخة التي اعتمدها من دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ورجعت إلى ثلاث نسخ أخرى، فلم أجدتها تحتوي على هذا الأثر البالغ الأهمية. مع أنّ الحافظ جلال الدين السيوطي في (الحاوي للفتاوي) وفي الخصائص الكبرى، قد عزاه لأبي نعيم في دلائل النبوة، والفاضل محمّد بن يوسف الصالح الشامي في (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، وشهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة، وأبي عبد الله الزرقاني المالكي في شرحه على (المواهب اللدنيّة)، وعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي في (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي)، وحسين بن محمّد بن الحسن الديار بكرّي في (تاريخ الخميس)، والسيوطي في الخصائص الكبرى. كلّهم قد عزوا هذا الأثر لأبي نعيم، فبحثنا في كلّ مؤلّفات أبي نعيم الأصبهاني، فلم نعرث على هذا النص، ثمّ وفقنا الله تعالى، فوجدنا أنّ هذا الأثر قد ذكره ونسبه إلى أبي نعيم من هو أقدم من كل الذين نقلوا هذا النص جميعاً، وبقرون عدة الحافظ (مغلطاي) علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجريّ البصريّ الحنفيّ، المتوفى عام 762، في كتابه (الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم) ص412، من الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، باب في ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله ونشأته، بلفظ: وعند أبي نعيم من حديث عبد الله بن العلاء، عن الزهري، عن أم سماعة بنت أبي رهم، عن أمها قالت: شهدت آمنة في علتها التي ماتت فيها... الخ الحديث، فثبتت لدينا صحّة النسبة التي نسبها هؤلاء الأعلام لأبي نعيم الأصبهاني، على الرغم من عدم معرفتنا بالأيادي التي مرت على مؤلّفات أبي نعيم الأصبهاني، وكم صنيع كهذا الصنيع صنعته تلك الأيادي.

## المفاهيم الأساسية

- لما أتى على رسول الله ﷺ شهران مات جدّه وهب فتولّت جماعة من قريش وبنو هاشم تغسيله وتحنيطه وتكفينه ودفنوه على ذيل الصفا، فبكته ابنته آمنَةُ ؑ ورثته بمرثٍ تشيد فيها بصفاته النبيلة.
- عكفت السيِّدة آمنَةُ ؑ على ولدها الغالي تعطره بأريج الحنان، وتحوطه بأجواء المحبّة وترضعه لبنها الطاهر، ثمّ جاء وقت إرساله للبادية على العادة التي اعتادها أشراف مكّة، فتكفّلتها حليلة السعدية.
- كانت حليلة تأتي بالنبي ﷺ كلّ مدّة لتجديد العهد بأمه، وقد كانت شديدة الحرص على بقائه معها أطول مدّة ممكنة. ومّا كثرت مشاهدات العرّافين والكهّان واليهود للنبي ﷺ في البادية، ونداءاتهم بوجود قتل رسول الله ﷺ قررت حليلة رده على أمّه وجدّه، فعاد إليهم وهو دون الثالثة.
- كانت العلاقة بين النبي ﷺ وأمّه شديدة التوقّد حتّى أنّ غيابه عن عينيها للحظات كان يسبّب لها القلق والغمّ.
- خرجت السيِّدة آمنَةُ ؑ بمعية عبد المطلب تريد أن تزور قبر زوجها واصطحبت معها ولدها المصطفى ﷺ، ومعهم أمّ أيمن تحضنه، وأقاموا في المدينة شهراً. ثمّ جرت بعض الأحداث مع اليهود جعلت السيِّدة آمنَةُ ؑ تخاف على حياة ابنها، وكان ذلك سبب خروجها من المدينة.
- لما وصلت السيِّدة آمنَةُ ؑ منطقة الأبواء توعّكت، ثمّ مرضت ؑ، وحينما أحسّت بالفراق المحتوم قالت ؑ: كلُّ حيٍّ ميّت، وكلُّ جدّيدٍ بال، وكلُّ كبيرٍ يفنى، وأنا ميّتةٌ وذكرى باقي، وقد تركت خيراً وولدتُ طُهرًا، ثمّ ماتت، ودُفنت بالأبواء.



## الدرس الحادي عشر:

### وقفه مع السيدة آمنه ؑ

#### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يشرح عظمة مكانة الأم وبرها بالنسبة للرسول ﷺ.
- يتعرف إلى مكانة السيدة آمنه ؑ عند النبي محمد ﷺ.
- يستدل على أن آمنه ؑ كانت موحدة على دين إبراهيم ؑ.



## مكانة الأم وبرّها

لأنّ الأمومة عطفها لا ينقضي، ومقامها في التّضحيات كبير، فقد انعكس حبُّ النبيّ الأكرم ﷺ لأمه آمنة عليها السلام على كلّ أمٍّ في هذا الوجود، فدأب على توعية أمّته حول ما للأمومة من حرمةٍ، وما لمكانتها من جلال، فلما سُئل ﷺ من أبرُّ؟ - من أحقُّ الناس بحسن صحابتي<sup>(1)</sup> يا رسول الله؟ قال: «أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «أباك»<sup>(2)</sup>.

وجاءه رجلٌ كان في الطواف حاملاً أمّه (على عاتقه) يطوف بها (حول البيت الحرام)، فسأله: هل أديت حقّها؟ فقال له النبيّ ﷺ: «لا، ولا بزفرةٍ واحدة»<sup>(3)</sup>.  
وحين يستأذنه رجلٌ في الجهاد يسأله النبيّ ﷺ: «أحياة أمُّك؟» فيقول الرجل: نعم، فيقول له: «اذهب فجاهد في برّها»، فيعاود الرجل الإلحاح، فيقول له النبيّ ﷺ: «ويحك الزم رجلها فثمّ الجنّة»<sup>(4)</sup>.

وتروي أسماء بنت أبي بكر فتقول: قَدِمْتُ عليّ أمّي، وهي مشرّكة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيته قلت: قدمت عليّ أمّي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمُّك»<sup>(5)</sup>.

(1) أي من أولى الناس معروفي وبري، ومصاحبي المقرونة بلين الجانب، وطيب الخلق وحسن المعاشرة.

(2) ثقة الإسلام الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص159-160، باب البرّ بالوالدين، ورواه البخاري في صحيحه، ج5، ص222، طبعة:3، دار ابن كثير- اليمامة.

(3) ولا بزفرة واحدة: بفتح الزاي وسكون الفاء: المرة من الزفير، وهو تردد النفس حتى تختلف الأضلاع، وهذا يعرض للمرأة عند الوضع، والحديث رواه أحمد بن عمرو البصري البزار صاحب المسند الكبير «البحر الزخار»، ج10، ص276، حديث، 4380، من طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(4) أبو عبد الله محمد بن ماجة القزويني، ج4، ص325، حديث 2781، طبعة:1، دار الجيل.

(5) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ج2، ص924، حديث 2477.



ويحذّر النبي ﷺ من تعريض الأمومة للونٍ من ألوان الهوان، أو السباب، فيقول ﷺ: «إِنَّ أَكْبَرَ الذَّنْبِ أَنْ يَسِبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسِبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسِبُّ الرَّجُلَ، فَيَسِبُّ أَبَاهُ، وَيَسِبُّ أُمَّهُ، فَيَسِبُّ أُمَّهُ»<sup>(1)</sup>.

ويأمر المصطفى ﷺ الأبناء بالتواضع للأمّهات لأنّ التواضع لهنّ سببٌ كافٍ لدخول الجنّة، فيقول لأحد أصحابه مرةً، وثانيةً، وثالثةً، وفي مجالس شتى: «هل لك من أمّ؟» قال نعم، فقال: «الزّمها فإنّ الجنّة عند رجليها»<sup>(2)</sup>.

وهكذا نجد أنّ الأمومة قد استوعبت في حديث النبي الأكرم ﷺ كلّ هذه الأبعاد، مما يؤكّد لنا أنّ لها في أعماقه وتعاليمه جميعاً مكاناً يشبه الواحة الغنّاء التي تأتلق في كل أرجائها روح الربيع الأخضر الجذلان، مُزَيَّنَةٌ بأسمى العواطف وأنبل المشاعر. وكما كان المصطفى ﷺ يقدّس الأمومة في أمّه آمنة عليها، فكذلك كان في موقفه من كلّ الأمّهات، لذلك يسلمنا النبي الأكرم ﷺ ومن خلال سيرته العطرة مفاتيح البرّ بهذه الأمومة الرحيمة حتّى لا نستحيل في حياتنا الصاخبة إلى قطيعٍ ذاهلٍ منكودٍ لا تربطه بأعماق حياته أيّ رابطةٍ مع العاطفة والحنان، ولا سببٍ من أسباب البنوّة اللائقة بالخيرين من الأبناء.

### بِرّ النبي ﷺ لأمه آمنة عليها

كان الجميع يعلم ويشهد برّ الرسول ﷺ لأمه ومحبتّه لها، حتّى أنّ أعداءه من المشركين حملهم حقدهم وغيظهم وبغضهم ودناءة نفوسهم بعد انتصار المسلمين في بدر إلى أن يفكروا في نبش قبر السيّدة آمنة عليها، بالأبواء ليؤذوا النبي ويأخذوا جثمانها الطاهر رهينةً إذا أسر لهم أسرى وذلك في طريقهم للهجوم على المسلمين في معركة أُحد. وقد كانت تلك فكرة هند بنت عتبة ثمّ لم يوافق بعضهم على ذلك خوفاً من أن تُنبش قبور

(1) أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بالطحاوي، ج13، ص339، حديث 5312، طبعة:1، مؤسسة الرسالة.

(2) أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، ج2، ص401، حديث 18288، طبعة:1، حيدر آباد، وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، وغيرهما.

موتاهم<sup>(1)</sup>، فكفّهم الله تعالى عن ذلك إكراماً لنبية المصطفى عليها السلام، فأمسكوا، وساروا إلى أن أتوا المدينة، فخرج لهم النبي عليه السلام برجالٍ أهل بيته وأصحابه، ووقعت معركة أحد. أضف إلى ذلك أن النبي عليه السلام روي عنه أنه قال: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فقد أذن الله تعالى لنبية في زيارة قبر أمّه»<sup>(2)</sup>، فزارها رسول الله عليه السلام وقام على قبرها وجدّد بها العهد، وكلّ ذلك يدلّ على عظم شأن السيدة آمنة عليها السلام ومكانتها عند نبيّ الله محمد عليه السلام وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وهو إبرازٌ لجلالة كرامتها عند البارئ تعالى.

### الذرية المسلمة من ولد إبراهيم

بعد أن وهب الله تعالى لخليله إبراهيم على الكبر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام حمد الله تعالى، وتوجّه إليه مبتهلاً بابتهالاتٍ عديدةٍ كان منها: «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي»<sup>(3)</sup>، وقوله عليه السلام: «وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ»<sup>(4)</sup>، ومنها ابتهاله: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ»<sup>(5)</sup>، فكان من استجابة البارئ لأبي الأنبياء أن قال: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»<sup>(6)</sup>، أي في عقب إبراهيم عليه السلام. وهذا يدلّ على أنه لا بدّ أن تبقى كلمة الله في ذرية إبراهيم عليه السلام، فلا يزال ناس منهم على الفطرة يعبدون الله تعالى، ويوصي بعضهم بعضاً في ذلك، ويتوارثون البراءة من عبادة غير الله حتّى تقوم الساعة، وذلك استجابةً منه تعالى لابتهالات خليله الحليم إبراهيم عليه السلام، فغير جائز أن تنقطع هذه الأمة المسلمة - أمة إبراهيم وإسماعيل - إلى يوم القيامة، فمن زعم بعد تلاوة هذه الآيات من كتاب الله تعالى أن النبي عليه السلام

(1) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق، أخبار مكة، ج2، ص270، وأحمد بن يحيى البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج1، ص95، حديث165، و صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص183، طبعة:1، دار العصماء، دمشق.

(2) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج1، ص530، حديث1385، طبعة1: دار الكتب العلمية، بيروت،

(3) سورة إبراهيم، الآية، 40.

(4) سورة إبراهيم، الآية 35.

(5) سورة البقرة، آية 128.

(6) سورة الزخرف، الآية 28.

ولد من كفّارٍ، فقد زعم أنّ الأمة المسلمة من ذريّة إسماعيلٍ قد انقطعت في وقت من الأوقات، ومن زعم أنّها انقطعت في وقت من الأوقات فقد زعم أنّ دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم تُستجب، ومن قال بذلك فما عرف حقّ أنبياء الله ولا منازل حججه، وكفى بهذا ضلالاً لمن اعتقده.

ومن الواضح أنّ الله تعالى لو استجاب لإبراهيم عليه السلام في جميع ذريّته لما كان أبو لهب وأمّثاله من أعظم المشركين وأشدّهم على رسول الله ﷺ، وهذا ما يفسر الإتيان بمن التبعيضية في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(1)</sup>، وبذلك يتبين أنّ عقب الخليل إبراهيم عليه السلام الذي جعل الله فيه الكلمة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾<sup>(2)</sup> يُقصدُ به الموحدون أصحاب الأصلاب الكريمة والأرحام المطهّرة المصطفون من إسماعيل ثمّ من كنانة ثمّ من قريش ثمّ من بني هاشم إلى أن تمت كلمة الله صدقاً وعدلاً لا مُبدل لكلماته، فأطلّ على الوجود بنوره خاتم النبيين وقائد المرسلين مُحمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

قد براك الله من نورٍ جليل  
باهي الأنوارِ ذا خلقٍ نبيل  
أنت يا سرُّ ابتهالات الخليل  
لك من ربِّك خير ما يشاء

### إيمان والدي الرسول ﷺ

إنّ ما عليه إجماع أهل البيت عليهم السلام وكلّ علماء الإمامية والزيدية، وجملة من محققي أهل السنّة أنّ والدي النبي المصطفى ﷺ كانا موحدّين لله تعالى قطعاً، وذهب الكثير من علماء أهل السنّة للقول بنجاة والدي رسول الله ﷺ كونهما من أهل الفترة لأنّ الله تعالى ينفي- في وضوح تامّ لا لبس فيه ولا غموض- عذاب الأمم التي لم يأتها رسول فيقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(3)</sup>، ولأنّ الله سبحانه يؤكّد في وضوح تامّ

(1) سورة إبراهيم، الآية 40.

(2) سورة الزخرف، الآية 28.

(3) سورة الإسراء، الآية 15.

أيضاً أن العرب لم يأتهم رسولٌ قبل المصطفى محمد ﷺ فيقول عزت آلاؤه: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وذلك لبيان الله تعالى أنه لو أهلك العرب قبل رسالة النبي ﷺ لكانت لهم بين يديّ الله حجةٌ، فيقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ وَخَزْيًا﴾<sup>(2)</sup>، وبعد ذلك كله يأتي من يقول لك: إن النبي مع كثرة ما أنعم الله عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إحسان والديه، وعليه إن أبوي الرسول الكريمين في النار! والحق أن أصحاب هذه الكلمة، وأمثالها، يعتقدون بكفر آباء وأمهات النبي ﷺ صراحةً مستنديين في ذلك إلى روايات غريبة واهية، وتأويلات تأبها العقول السليمة، ولا تقوم بها حجةٌ.

ثم كيف يركن القائلون بكفر والدي نبيّ الله الأكرم إلى الركام الذي أراد أعداء الإسلام أن يغطوا به طريق النبوة والولاية، ومسلك النور والهداية، وأريد به وأد الإحساس الحقيقي بقيمة هذا الدين الذي نطق فرقانه المبين بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(3)</sup>، وصرح بمبدأ الاصطفاء الإلهي في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>، وقد قال النبي المصطفى ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(5)</sup>، فهل لهذا الاصطفاء الإلهي من معنى إذا لم يكن آباء النبي الأكرم ﷺ من المؤمنين، والله يقول مخاطباً مصطفاه: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾<sup>(6)</sup>؟ وروي عن الإمام الصادق ؑ قوله: «نزل جبرئيل ؑ

(1) سورة القصص، الآية 46.

(2) سورة طه، الآية 134.

(3) سورة الأنعام، آية 124.

(4) سورة آل عمران، الآيتان 33-34.

(5) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج7، ص58، حديث 6077، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، طبعة: دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت.

(6) سورة الشعراء، آية 219.

على النبي ﷺ، فقال: يا محمد إنَّ ربَّك يقرئك السلام ويقول: إنِّي قد حرمت النار على صلبٍ أنزلك، وبطنٍ حملك، وحجرٍ كفلك، فالصلبُ صلبُ أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمَّا حجرٌ كفلك فحجرُ أبي طالب»<sup>(1)</sup>.

هكذا اختار الله لنبِيِّه آباءه وأمّهاته من طاهرٍ إلى طيبٍ، ومن طيبٍ إلى طاهرٍ، إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم أمّه آمنة ؓ، فأخرجه منهما إلى الدُّنيا وجعله سيّد المرسلين وخاتم النبيين ورحمةً للعالمين. بل إنَّ ما عليه عقيدة أهل البيت ؑ وشيعتهم أنَّ المستودع الذي أودع الله سبحانه وتعالى فيه هذا النبيّ الكريم والرسول العظيم ﷺ، والمعصومين من أهل بيته ؑ هو المستودع الأطهر، فإنَّهم لم ينتقلوا إلَّا من صلبٍ طاهرٍ إلى رحمٍ مطهرٍ، وذلك من لدن أبينا آدم ؑ وأمنا حواء ؑ حتّى قدموا إلى هذه الحياة الدنيا، فلا يمكن أن يُودع المعصوم، والعياذ بالله، في صلبٍ غير طاهر أو ليس بموحّد، أو أنّه يبقى في رحم غير مطهرٍ، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ نجس﴾<sup>(2)</sup>، وفي هذه الآية الكريمة حكم الله تعالى على الكفّار بالنجاسة، وقد قضى رسول الله ﷺ بطهارة آباءه كلّهم واصطفاهم على بقية الخلق أجمعين أمة أهل بيت خاتم النبيين.

### السيدة آمنة ؑ المؤمنة الموحّدة

إنَّ الله تعالى اختار من هذا النوع الإنسانيّ مَنْ جعله معدن نبوّته، ومحلّ رسالته، فأولهم: آدم ؑ، ثمَّ إنَّ الله تعالى اختار من نطفته نطفةً كريمةً، فلم يزل ينقلها من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، فكان منها الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله على العالمين كولد إبراهيم ؑ وإسماعيل وإسحاق والنبيين. وكان الناس بعد نبيّ الله إسماعيلَ ؑ على الإسلام، إلى أن انساقت العربُ في البدع حتّى انسلخت من دين خليل الرحمن إبراهيم ؑ، اللهم إلَّا النزُرُ اليسيرُ الذي كان يتألّم على اختفاء معالم الحنيفية الغراء.

(1) ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص446.

(2) سورة التوبة، الآية 28.

فيقول مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ ؑ: «فلم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، فلولا ذلك، هلكت الأرض ومن عليها»<sup>(1)</sup>. وكان من هؤلاء آباء النبي الأكرم ؑ، وجماعة من قريش تحنّفوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك، وتمسّكوا بدين نبيّ الله إبراهيم ؑ، وبعضهم محكومٌ بإيمانه في أحاديث نُقلت عن النبيّ ؑ، ومشهود لهم في الأحاديث بأنهم من أهل الجنّة كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، ولكن ما إن يصل الأمر إلى أن يُشهد لأُمّ النبيّ الأكرم ؑ، وجدّه وعمّه وأبيه أنّهم من أهل الإيمان حتّى تضيق صدور البعض، وتتوقّف عقولهم عن التفكير، وتنطلق ألسنتهم بأذية النبيّ الأكرم ؑ، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

ومن يتأمل ما ورد في تاريخ الجزيرة العربية قبل المولد النبويّ الشريف فسيعلم أنّ أكثر من تحنّف (أي كان على دين الحنيفية) إنّما كان سبب تحنّفه ما سمعه من أهل الكتاب أنّه قرب بعث نبيّ من الحرم صفته كذا وكذا. والحق أنّ أمّ النبيّ الأكرم ؑ لم تسمع ما سمعه غيرها فقط، بل شاهدت في حمله وولادته من الآيات الباهرة ما لم يشاهدوا، ورأت النور الذي خرج منها أضاء له قصور الشام، حتّى رأتها كما ترى أمّهات النبيّين. ولا يغيّبنا كيف أضاف الصادق الأمين ؑ رؤيا أمّه آمنة في اليوم الذي ولدته فيه لدعوة إبراهيم الخليل، وبشارة عيسى المسيح، وما أعظمها من منقبةٍ لأُمّ النبيّ القائل: «إني عند الله مكتوبٌ بخاتم النبيّين، وإنّ آدم لمنجدلٌ في طينته»<sup>(2)</sup>، وسأخبركم بأوّل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمّي التي رأت حين وضعتني أنّه خرج منها نورٌ أضاءت لها منه قصور الشام»<sup>(3)</sup>.

كما أنّ من استقرأ ما جاء في أمّهات الأنبياء ؑ، فسوف يجد أنّهنّ كنّ موحدّاتٍ مؤمناتٍ؛ فأُمّ إسحاق، وموسى، وهارون، وعيسى، وحواء أمّ شيث المذكورات في القرآن

(1) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ج5، ص96، حديث 9099، طبعة:3، المكتب الإسلامي، بيروت.

(2) أي ملقى على الجدالة، وهي الأرض، وكان بعد جسداً بلا روح.

(3) محمّد بن حنّان، صحيح ابن حنّان، ج14، ص312، حديث 6404، باب: ذكر كتبة الله جلّ وعلا عنده محمداً ؑ خاتم النبيّين، الطبعة:2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، والبخاري في التاريخ الكبير والصغير، وأحمد بن حنبل في مسنده، وأبو عبد الله الحاكم في مستدركه، وأبو الفاسم الطبراني في معجمه الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان والدلائل، وغيرهم.

الكريم، ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل، وأم يعقوب، وأمّهات أولاده، وأم داوود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وكذلك أم نوح لقوله ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي..﴾<sup>(1)</sup>، وأم إبراهيم الخليل لقوله بعد أن وهب الله له على الكبر إسماعيل وإسحاق ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾<sup>(2)</sup>.

وفي الرواية عند وفاة السيدة آمنة ﷺ قول لها صريح في أنّها كانت موحّدة، إذ ذكرت دين إبراهيم ﷺ وبشّرت ابنها بالإسلام من عند ذي الجلال والإكرام، ونهته عن عبادة الأصنام ومولاتها مع الأقوام. وهل التوحيد شيء غير هذا؟ فهو الاعتراف بالله، وإنه لا شريك له، والبراءة من عبادة الأصنام... وهذا القدر كافٍ في التبرّي من الكفر، وصفة ثبوت التوحيد في الجاهلية قبل البعثة، وإمّا يُشترط قدرٌ زائدٌ على هذا بعد البعثة<sup>(3)</sup>؟ وهل يفهم من كلامها يوم وفاتها سوى إيمانها وإسلامها، واتباعها ملّة جدّها إبراهيم؟! أضف إلى ذلك أنّ هناك الكثير من الروايات التي يُبنى عليها وتوضح إيمان السيدة آمنة ﷺ - وقد استعرضنا بعضها في طيّات حديثنا عنها - مع وجود نصوص أخرى نستنتج منها أنّ السيدة آمنة بنت وهب كانت مؤمنةً وموحّدةً، ولديها معرفة تامة بأنها أمّ النبيّ الخاتم ﷺ، وبالتالي بطلان الرأي الذي يقول إنّها ماتت كافرة، ذلك الرأي الغريب الذي ذهب إليه جماعة من المسلمين، والذي يرفضه العقل رفضاً قاطعاً لأنّ فيه خدشاً ومنقصةً للنبيّ الأكرم ﷺ، وأنبياء الله منزّهون عن كلّ نقصٍ يمكن أن يُعيروا به، ولا بُدّ من جعل ذلك معياراً وميزاناً لأيّ نصٍّ يُروى بشأنهم، أو بشأن آبائهم الكرام وأمّهاتهم الطاهرات.

ولأجل كلّ ما تقدم شهد لهم أعظم أولياء الله تعالى بأنّهم كانوا «نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجّسهم الجاهليّة بأنجاسها، ولم تلبسهم من مدلهّمات

(1) سورة نوح، الآية 28.

(2) سورة إبراهيم، الآية 41.

(3) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة، ج1، ص312، طبعة:1، دار الكتب العلمية.

ثيابها»، وأنَّ السَّيِّدة آمنَةَ بنت وهبٍ ؓ من خير هذه الأرحام المطهرة التي وُحِّدَت اللهُ، وعكفت على طاعته وعبادته، ولم تتلوَّث بأدران الجاهلية وموبقاتها، فتمعَّن في سيرتها المباركة الميمونة، أيَّام حملها وولادتها، فإنَّك لن تجد إلا الكرامات الظاهرة، والمعاجز الباهرة، والمعرفة بشأن ولدها خاتم النبيِّين ﷺ الذي خاطبه اللهُ في مُحكم كتابه وجليل خطابه أمراً له: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(1)</sup>. فسلام اللهُ على أمِّ مُحَمَّدٍ ﷺ سيِّدة الأمهات وجَدَّة الهداة الذين أذهب اللهُ عنهم الرجس وطهَّرتهم تطهيراً، والسلام عليها يوم ولدت، ويوم ماتت، ويوم تبعث آمنَةَ، فإن لم تأمن آمنَةَ، فلا أمِنَ يوم الحشر أحد.

(1) سورة الإسراء، آية 24.



## المفاهيم الأساسية

- انعكس حبُّ النبيِّ الأكرم ﷺ لأُمَّه على كلِّ أمٍّ في هذا الوجود، فدأب على توعية أُمَّته حول ما للأُمومة من حرمةٍ، وما لمكانتها من جلال، وكان يوصي ببرها على الدوام، فالجنة تحت قدميها. هذا وقد كان الجميع يعلم ويشهد برَّ الرسول ﷺ لأُمَّه ومحَبته لها، حتَّى أعداؤه من المشركين. كما أنه ﷺ كان يزور قبر أُمَّه ﷺ بعد أن رُفِعَ النهي عن زيارة القبور.
- لا يزال ناس منذ دعوة النبيِّ إبراهيم ﷺ على الفطرة يعبدون الله تعالى، ويوصي بعضهم بعضاً في ذلك، ويتوارثون البراءة من عبادة غير الله حتَّى تقوم الساعة، وذلك استجابةً منه تعالى لابتهالات خليله الحليم إبراهيم ﷺ، وكان من عقبه ﷺ الموحِّدون أصحاب الأصلاب الكريمة والأرحام المطهَّرة المصطَفُونَ من إسماعيل وصولاً إلى بني هاشم فأطلَّ خاتم النبيين ﷺ على الوجود بنوره.
- إن ما عليه إجماع أهل البيت ﷺ وكلِّ علماء الإمامية والزيدية، وجملةٍ من محققي أهل السنَّة أنَّ والدي النبي المصطفى ﷺ كانا موحدَّين لله تعالى قطعاً، وأنهما من أهل الجنة، هذا مع وجود من يدَّعي أنَّ والدي الرسول ﷺ مشركان ومألها إلى النار.
- إنَّ الله تعالى اختار من هذا النوع الإنسانيِّ من جعله معدن نبوَّته، ومحلَّ رسالته، فأولهم آدم ﷺ، ثمَّ إنَّ الله تعالى اختار من نطفته نطفةً كريمةً، فلم يزل ينقلها من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، وصولاً إلى النبي ﷺ وليس فيه أيُّ دنس أو رجس من شرك أو سفاح أو غيره.
- من استقرأ ما جاء في أمَّهات الأنبياء ﷺ، فسوف يجد أنهم كُنَّ موحدَّاتٍ مؤمناتٍ. وقد ورد الكثير من الروايات التي يُبنى عليها وتوضح إيمان السيِّدة آمنة ﷺ ونصوص أخرى نستنتج منها أنَّ السيِّدة آمنة بنت وهب كانت مؤمنةً وموحدةً، ولديها معرفة تامة بأنها أمُّ النبيِّ الخاتم ﷺ.

## الدرس الثاني عشر:

# السيدة فاطمة بنت أسد عليه السلام من نشأتها إلى زواجها

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرف إلى نسب السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.
- يشرح حادثة زواج السيدة فاطمة عليها السلام.
- يذكر أولاد السيدة فاطمة عليها السلام وبعض مناقبهم.



## نسبها الوضّاح

هي امرأة من أعظم نساء الرسالة. هي السيّدة التقيّة النقيّة، والكريمة الرضيّة المرضية فاطمة بنت أسد بن هاشم عليه السلام صاحبة التضحيات الكبيرة والمنزلة الرفيعة عند ربّ العالمين.

## اكتنف المجد فاطمة بنت أسد من كلّ جانب

فأبوها، هو أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

فنسب السيّدة فاطمة بنت أسد هو نفسه نسب النبي صلى الله عليه وآله، وهو أشرف الأنساب قاطبةً، وهو خيار من خيار، وتعدّ هي والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من ذؤابة هاشم<sup>(1)</sup>، أي أشرف فروع هاشم.

أمّا أمّها فهي فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب<sup>(2)</sup>، وتعرف بحبّي بنت هرم بن رواحة<sup>(3)</sup>. فالسيّدة فاطمة بنت أسد، وأمّ المؤمنين خديجة عليها السلام تلتقيان من قبّل الأمهات في جدهما رواحة بن حجر وهو أحد أجداد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

(1) أسمى أنساب الناس وأرفعها، وهما من هاشم كالظفائر من الشعر القريبة من أعلى الرأس.  
(2) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج1، ص92، نسبة علي بن أبي طالب، طبعة:2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ونور الدين علي الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص121، طبعة دار الفكر، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص51، ومحمد بن حبيب البغدادي، المحبر، ج1، ص16.  
(3) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج4، ص314، طبعة:1، دار الفكر، بيروت. وعلي بن الحسين بن محمد المرواني أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، ج1، ص26، طبعة دار المعرفة، بيروت.

## فضائل أسد وهاشم

هو والد السيِّدة فاطمة عليها السلام. وقد ورد أنه هو السبب في سنِّ والده هاشم لرحلتي الشتاء والصيف، وإبطال عادة الاعتفاد السيئة، وقد كانت تلك الرحلات مصدر خيرات قريش وغيرها في الجزيرة العربية آنذاك. وقد روي عن ابن عباس في عادة الاعتفاد أنه قال: «وذلك أن قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة (أي مجاعة)، جرى هو وعياله إلى موضع معروف، فضربوا على أنفسهم خباء فماتوا، حتَّى كان عمرو بن عبد مناف (هاشم)، وكان سيِّداً في زمانه، وله ابن يقال له أسد، وكان له تِرب<sup>(1)</sup> من بني مخزوم، يحبُّه ويلعب معه، فقال له: نحن غداً نعتفد<sup>(2)</sup>، قال: فدخل أسد على أمِّه يبكي، وذكر ما قاله تربه، فأرسلت أمَّ أسد إلى أولئك بشحم ودقيق، فعاشوا به أياماً. ثم إنَّ تربه (بعد أيام) أتاه أيضاً، فقال: نحن غداً نعتفد، فدخل أسد على أبيه يبكي، وخبره خبر تربه، فاشتدَّ ذلك على عمرو بن عبد مناف، فقام خطيباً في قريش وكانوا يطيعون أمره، فقال: إنكم أحدثتم حدثاً تقلُّون فيه وتكثر العرب، وتذلُّون وتعزُّ العرب، وأنتم أهل حرم الله عزَّ وجلَّ، وأشرف ولد آدم، والناس لكم تبع، ويكاد هذا الاعتفاد يأتي عليكم (أي يقضي عليكم). فقالوا: نحن لك تبع. فقال: ابتدئوا بهذا الرجل - يعني أبا ترب أسد - فأغنوه عن الاعتفاد، ففعلوا.

ثم إنه نحر البدن، وذبح الكباش والمعز، ثم هشم الثريد، وأطعم الناس، فسُمِّي هاشماً، وفيه قال الشاعر:

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ

وَرَجَالُ مَكَّةَ مَسْنِتُونَ عَجَافُ<sup>(3)</sup>

(1) الترب بالكسر: مساويك في السن، ومن ولد معك.

(2) نعتفد: قال ابن فارس: هذه لفظة في هذا الخبر لا أدري: بالدال هي أم بالراء، فإن كانت بالراء فلعلها من العفر، وهو التراب، وإن كان بالدال، فما أدري معناها، وتأويله على ما أظنه: ذهابهم إلى ذلك الخباء، وموتهم واحداً بعد واحد، وفي لسان العرب مادة عفد: «الاعتفاد»: أن يغلق الرجل بابه على نفسه، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً.

(3) مسنتون: أي أصابتهم السنة، والسنة: الجذب والقحط.

ثم جمع كل بني أب على رحلتين: في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغنيّ قسمه بينه وبين الفقير، حتّى صار فقيرهم كغنيهم...»<sup>(1)</sup>. وقد ذكر صاحب نسب قريش أنّه قد انقرض ولد أسد بن هاشم<sup>(2)</sup>، فلم يبق له ذرية إلّا من النسمة الطاهرة المباركة ابنته السيّدة فاطمة عليها السلام.

### نشأة السيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام

لم يذكّر لنا التاريخ اليوم الذي ولدت فيه السيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام، والسنة التي وُلدت فيها، بل تُركت تدوّن وتصنع تاريخها بيدها وجهادها، ولسان ولدها المصطفى صلى الله عليه وآله الذي تربّي في حجرها.

وإذا كانت ركائز الفرد الروحية والأخلاقية تستند إلى بوادر تربيته وبيئته، وبيته الذي نشأ فيه، فالسيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام سليلة بيت المكارم، ومعدن الفهم وينبوع العلم. وقد ولدت السيّدة فاطمة بنت أسد ونشأت في بيوتات بني هاشم، تحوّلها العزّة والكرامة، فحازت من مكارم الأخلاق أعلاها، ومن الآداب أفضلها وأسناها، وحوّت من الشمائل أزكاها وأنداها، فعرفت بين العرب والمسلمين بسمو الروح وعلو الهمة، ونباهة الفكر، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة، وجلال الشرف، إلى الكثير الكثير من خصائلها الحميدة وشمائلها المجيدة.

### زواجها سلام الله عليها

بعد أن أمضت السيّدة فاطمة عليها السلام سنوات طفولتها، وأول سنوات شبابها، في بيت أبيها أسد بن هاشم بمكة المكرمة في جوار البيت الحرام، تقدّم أبو طالب إلى عمه أسد بن هاشم خاطباً إليه كريمة فاطمة، وهي في زهرة شبابها، وريعان صباها. وكان مع أبي طالب ولد أبيه عبد المطلب، فعقدوا النكاح، وأجمعوا على شهر يجتمعون

(1) شمس الدين القرطبي محمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، ج20، ص205، طبعة:2، دار الكتب المصرية، القاهرة.

(2) أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، نسب قريش، ج1، ص16، طبعة:3، دار المعارف، القاهرة.

فيه (أي أنهم سيجتمعون بعد شهر من عقدهم للنكاح)، ثم عاد القوم إلى منازلهم، وأقبل أبو طالب إلى الكعبة، فطاف حولها، ثم عاد إلى منزله، وبعث إلى القوم فأخبرهم بكل ما عقدوا من المهر وغيره، وأعدّ في منزله الذبائح والطعام.

فلما بلغ الوقت أقبل رهطه (أي أهله وعشيرته) إلى الكعبة، وقريش مجتمعة وجمامع العرب (قبائل العرب) مختلفة، فسلم أبو طالب وجلس، فلما استقرّ به المجلس ابتدأ خطيباً، وقال:

الحمد لله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً، وسدنة، وعرفاء، وخلصاء وحجّته، بهاليل أطهار من الخنى والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب آل إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل، ثم قال: وقد تزوّجت فاطمة بنت أسد، وسقت المهر ونفذت الأمر، فأسألو واشهدوا، فقال عمه أسد بن هاشم: قد زوّجناك ورضيناك<sup>(1)</sup>.

ثم زُفت السيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام إلى ابن عمّها سيد البطحاء، وانتقلت إلى داره الواقعة في الشعب المسمّى بشعب أبي طالب عليه السلام، فتحملت أعباء المسؤولية في إدارة شؤون بيت أبي طالب، وإكرام ضيوفه الكثر سواء كانوا من أهل مكة، أو من سائر العرب الوافدين لحجّ البيت الحرام. وكانت تقوم بذلك بكلّ طيب نفس، ورحابة صدر، وكان أبو طالب عليه السلام يقدرها ويجلّها، ويكرمها ويحبّها حبّاً جمّاً، ولم يستبدل بها سواها مدّة حياته، وقد ولدت السيّدة فاطمة لأبي طالب عليه السلام علياً وجعفرّاً وعقيلّاً وطالباً، وهو أكبرهم، وأم هانئ وجمانة<sup>(2)</sup>. وبذلك كانت عليها السلام «أول هاشمية ولدت لهاشمي»<sup>(3)</sup>،

(1) محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب، ج2، ص171-172، طبعة:1، علامة، قم، ويوسف بن حاتم الشامي، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، ص226-227، ط:1، جماعة المدرسين، قم، ومن تأمل كلمات هذه الخطبة، والخطبة التي خطبها أبو طالب عليه السلام في زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من أم المؤمنين خديجة عليها السلام عرف أنهما قد صدرا عن مشكاة واحدة.

(2) لنعمان بن محمد بن حيون القاضي المغربي، شرح الأخبار، ج3، ص214، نشر جماعة المدرسين بقم، والأربلي في كشف الغمة، ج1، ص64، طبعة:1، بني هاشمي، تبريز، وابن عبد البر في الاستيعاب، وابن عساكر في تاريخ دمشق،

وتفرد محمد بن سعد بذكر ابنة أخرى لأبي طالب عليه السلام وأطلق عليها «ربطة»، وقال هي التي كناها النسابة الكلبي بأب طالب.

(3) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج3، ص116، رقم: 4573، وجُل من ترجم لها من علماء الأمة.

وكان ولدها أول الهاشميين الذين ولدهم هاشم مرتين، مرة من جهة أبيهم ومرة من جهة أمهم، أفبعد هذا الشرف شرفٌ تطمح إليه النفوس.

### أولادها عليها السلام

أولهم طالب، وهو أكبر ولد أبي طالب، وكان محباً لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح. وكان المشركون أخرجوه، وسائر بني هاشم إلى بدر كرهاً ليقاتلوا رسول الله ﷺ، فقال رجال من قريش: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا أن هواكم مع محمد<sup>(1)</sup>، فخرج طالب، وهو يقول:

اللهم إما يغزون طالب

في مقنّب من هذه المقالب

فليكن المغلوب غير الغالب

وليكن المسلوب غير السالب<sup>(2)</sup>

فقالت قريش: إن هذا ليغلبنا (أي يريد غلبة الخصوم علينا)، فردّوه، وفي رواية عن الإمام أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: أنه أسلم<sup>(3)</sup>. هذا وقد اختلفوا في أمر طالب وموته بين قائل إنّه رجع إلى مكة ومات هناك، وقائل إنّه أتى إلى الشام ومات هناك<sup>(4)</sup>، ولا يستبعد أن يكون أجلاف قريش قد اغتالوه حينما عرفوا منه الإسلام ومصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم.

ثمّ عقيل، وقد كان رسول الله ﷺ يُكنّ له حبّاً عظيماً، وقد روي أنّ النبي ﷺ كان يقول لعقيل: «إني لأحبك يا عقيل حبين حباً لك، وحبّاً لحبّ أبي طالب إياك»<sup>(5)</sup>.

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص29، طبعة:1، دار الكتب العلمية، والكمال في التاريخ لابن الأثير الجزري، ج2، ص19، ذكر غزوة بدر الكبرى، طبعة: دار الكتب العلمية، والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي.

(2) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص121، وتاريخ الطبري، والكمال في التاريخ لابن الأثير الجزري، وغيرهم.

(3) ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج8، ص375.

(4) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص42.

(5) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج3، ص667، حديث رقم: 6465، طبعة دار الكتب العلمية، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، كما رواه الطبراني في المعجم الكبير، وابن سعد في الطبقات الكبرى، وابن عساکر في تاريخ دمشق، عن أبي إسحاق مرسلًا.



وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامها (أي أنه كان عالماً بأنساب قريش)، ولكنّه كان مبغوضاً إليهم لأنّه كان يعدّ مساويهم، وكانت له بساط يُطرح له في مسجد رسول الله ﷺ، يصلّي عليه، ويجتمع إليه فيسأل عن أنساب العرب وأيامهم، وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك، فكان ممن يتحاكم إليه في الأنساب<sup>(1)</sup>. وكان عقيل رضوان الله عليه ممّن ثبت مع النبي ﷺ يوم حنين، وكان تحت راية أخيه جعفر الطيار يوم مؤتة، وهو أكبر منه بعشر سنين.

ثمّ جعفر وهو أبو عبد الله الملقّب بجعفر الطيار (ذو الهجرتين وذو الجناحين) من السابقين إلى الله ورسوله ﷺ، ومن ألصق الناس برسول الله ﷺ، وكان ثالث من صلّى لله تعالى بعد أم المؤمنين خديجة، وأمير المؤمنين عليّ ﷺ، وهو أوّل سفير في الإسلام، وقد أسلم على يديه ملك الحبشة النجاشي، وعدد من أهلها، وكان له في الحبشة موقف متميّز دافع فيه عن الإسلام دفاعاً مؤثراً.

وكان لجعفر من الأولاد عبد الله، وبه يُكنّى، وهو زوج عقيلة الهاشميين السيّدة زينب بنت عليّ ﷺ، وأما أخواه محمّد وعون فلا عقب لهما، وقد وُلدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة في المهاجرة إليها، وأمهم جميعاً أسماء بنت عميس رضوان الله عليها. ولما قدم إلى المدينة المنورة بعد فتح خيبر، تلقاه النبيّ الأكرم ﷺ فعانقه، وقبّل ما بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيّهما أنا أسرّ بفتح خيبر أو بقدم جعفر؟»<sup>(2)</sup>. وقد كان جعفر ﷺ من أشبه الخلق برسول الله ﷺ، شهد بذلك خاتم النبيين ﷺ حيث قال له: «أشبهت خلقي وخلقِي»<sup>(3)</sup>.

وكان ﷺ قائداً لجيش المسلمين لما استشهد بمؤتة من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة في أول جهاد ضدّ الروم، وذلك في حياة النبيّ ﷺ، فوجدوا فيما «أقبل

(1) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج3، ص1079، ط1، دار الجيل.  
(2) الشيخ محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي، تهذيب الأحكام، ج3، ص186، طبعة:4، دار الكتب الإسلامية، طهران، ورواه أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج2، ص108، حديث رقم:1470، والبزار في مسنده، وغيرهم الكثير.  
(3) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ج2، ص960، حديث:2552 و4005، طبعة:3، دار ابن كثير، اليمامة، والنعمان القاضي المغربي، شرح الأخبار، ج3، ص548، والطبراني في المعجم الكبير، وغيرهم الكثير.

من جسمه بضعاً وتسعين جرحاً ما بين ضربة سيف أو طعنة رُمح أو رمية سهم»<sup>(1)</sup>. وهو يكبر أمير المؤمنين علياً عليه السلام بعشر سنين، وكان عمره عند شهادته أربعين سنة أو أكثر<sup>(2)</sup>، فسلام الله عليه وعلى والديه.

أمّا الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام فلا يمكن للمرء الحديث عن أيّ من مناقبه في بضع جملٍ وهو الذي:

قالوا فضائله تحصى فقلت لهم

من ذا سوى الله رمل الأرض يحصيه

وسوف نتعرض لبعض الفضائل للأمير سلام الله عليه عند حديثنا عن ولادة أمه عليها السلام إياه في الكعبة.

أيضاً فقد ولدت السيدة فاطمة عليها السلام من البنات أم هانئ واسمها فاختة، وقيل هند، وتعرف بكنيتها التي اشتهرت بها «أم هانئ». خطبها وتزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فولدت له أولاداً أكبرهم جعدة، وقد بات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة عندهم في بيتهم، فكان ما كان من حادثة الإسراء والمعراج، وبعد ذلك كانت أم هانئ تحدث بحديث الإسراء والمعراج، حتى قيل: ما ذكر الإسراء والمعراج إلا وذكر معه اسم أم هانئ.

وقد بقي زوجها مشرّكاً بعد فتح مكة ففرّ إلى اليمن، فأقام في نجران شريداً طريداً، إلى أن مات، وبقيت أم هانئ صابرة محتسبة، وهي حانية<sup>(3)</sup> على أولادها ترعاهم وتحافظ عليهم، وتدبر شؤونهم إلى أن توفيت رضوان الله عليها. وأما ولدها جعدة بن هبيرة، فقد شهد مع خاله الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام صفين، وأبلى بها بلاءً حسناً، وقد جمع الفقه إلى الشجاعة، فكان فقيهاً فاضلاً ولله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على خرسان.

كذا ولدت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام بنتاً ثانية هي جمانة، وقد تزوجها ابن عمها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت له جعفر وأبا الهياج، لكن لم يبق

(1) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج 2، ص 107، رقم: 1464، باب الجيم، جعفر بن أبي طالب الطيار.  
(2) أحمد بن علي «ابن حجر العسقلاني»، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 1، ص 487، طبعة: 1، دار الجيل، بيروت.  
(3) الحانية: هي التي تقيم على ولدها ولا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية.

لها عقب<sup>(1)</sup>، وقال جمع من العلماء إنها أسلمت وكانت من جملة المهاجرين إلى الله ورسوله، ومن النساء المؤمنات اللواتي فارقت أزواجهن حفاظاً على دينهن لأن زوجها أبا سفيان بن الحارث لم يُسلم إلا يوم فتح مكة، ثم شهد بعد ذلك مع النبي ﷺ حيناً، هو وولده جعفر<sup>(2)</sup>.

(1) علي بن هبة الله بن علي بن جعفر «ابن ماكولا»، إكمال الكمال، ج2، ص523، طبعة:1، دار الكتب العلمية.

(2) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، ج3، ص50، طبعة:1، دار الفكر.

## المفاهيم الأساسية

- السيِّدة فاطمة بنت أسد، أبوها هو أسد بن هاشم بن عبد مناف، ونسبها لجهة أبيها هو نفسه نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أما أمها فهي فاطمة بنت هرم بن رواحة وتعرف بحُبِّي بنت هرم بن رواحة. وتلتقي السيِّدة فاطمة مع السيِّدة خديجة عليها السلام من قبل الأمهات في جدِّهما رواحة بن حجر وهو أحد أجداد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.
- جدُّ السيِّدة فاطمة عليها السلام هو العظيم هاشم.
- بعد أن أمضت السيِّدة فاطمة عليها السلام سنوات طفولتها، وأول سنوات شبابها في بيت أبيها تقدَّم أبو طالب إلى عمه أسد بن هاشم خاطباً إليه كريمته فاطمة، وهي في زهرة شبابها، وريعان صباها.
- وكان مع أبي طالب ولد أبيه عبد المطلب، فعقدوا النكاح، وأجمعوا على شهر يجتمعون فيه، وأقبل أبو طالب إلى الكعبة، فطاف حولها. ثم عاد إلى منزله، وبعث إلى القوم فأخبرهم بكلِّ ما عقدوا من المهر وغيره، وأعدَّ في منزله الذبائح والطعام.
- رُفَّت السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام إلى ابن عمِّها وانتقلت إلى داره الواقعة في شعب أبي طالب.
- ولدت السيِّدة فاطمة خمسة أولاد، أولهم طالب وكان محبباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخرجه المشركون عنوة ثم ردوه لأنَّه يريد نصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ومات بطريقة غامضة، وعقيل الذي كان أنسب قريش وأعلمهم، ولكنَّه كان مبغوضاً إليهم لأنَّه كان يعدُّ مساويهم، ومحبوباً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
- ثم جعفر الطيار وهو ثالث من صلَّى، وقد أسلم على يديه ملك الحبشة النجاشي، وعدد من أهلها.
- ثم أمير المؤمنين علي عليه السلام وأم هانئ التي بقيت صابرةً محتسبةً، حانيةً على أولادها. كذا ولدت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام بنتاً ثانية هي جمانة، التي أسلمت وكانت من جملة المهاجرين إلى الله ورسوله.



## الدرس الثالث عشر:

# السيدة فاطمة بنت أسد ؓ بين رعاية النبي ﷺ وولادة الأمير ؓ

## أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرف إلى حادثة انتقال النبي ﷺ إلى منزل فاطمة بنت أسد ؓ.
- يبين العلاقة التي سادت بين النبي ﷺ والسيدة فاطمة ؓ.
- يشرح مجريات ولادة السيدة فاطمة لابنها ؓ في الكعبة.



## علاقة السيِّدة فاطمة عليها السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

حفل التاريخ الإسلامي بالخيرات الصالحات اللواتي نهجن طريق الجد عن علم و يقين، ورسوخ إيمان لا يتزعزع. ومن هؤلاء النساء الصالحات المصلحات اللواتي أشعلن مصابيح الهدى في كل الطرقات التي غطاها الظلام كانت أم الكرام السيِّدة الطاهرة فاطمة بنت أسد عليها السلام. فقد كانت من خير نساء عصرها كمالاً وجمالاً ومكانة، وكرامة، حظيت بشرف وحسب، وطهارة نفس، وكانت امرأة لبيبة، صلبة العقيدة، فتية القلب، برة مبجلة من فضليات النساء، وقد زادها الله تعالى فضلاً إذ أوكلت إليها مهمة رعاية النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة أمه وجدّه.

وروت عقيلة الهاشميين السيِّدة زينب بنت علي عليها السلام، عن أبيها الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «سمعتُ أبا طالب، يُحدِّثُ أنَّ أمانة بنت وهب، لما ولدت النبي صلى الله عليه وآله، جاءه عبد المطلب، فأخذه وقبله، ثم دفعه إلى أبي طالب، فقال: هو وديعتي عندك ليكوننَّ لابني هذا شأنٌ...»<sup>(1)</sup>.

كانت هذه الوصية الأولى التي أوصى بها سيِّد مكة ولده أبا طالب عليه السلام، وبالمحصلة كانت السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام الشخص الثاني المعني بحضانه ورعاية وديعة عمها عبد المطلب عليه السلام، فكانت بعد أبي طالب أحسن خلق الله صنيعاً للنبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله<sup>(2)</sup>، فهي الكافلة بتربيته، المشفقة على نفسه، والواقفة على خدمته، والمختارة رضى الله تعالى ورضاه صلى الله عليه وآله.

ومما يؤسف له أن العديد من أصحاب السير قد ذكروا قائمة لأسماء مرضع عدوهنَّ

(1) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص138، حديث 81، طبعة:2، دار النفائس، بيروت.

(2) أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ج7، ص87، حديث:6935، طبعة: دار الحرمين، القاهرة، ورواه ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص1891، طبعة:1، دار الجيل، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، ج1، ص76.



ممن أرضعن النبي ﷺ، وكذلك أسماء لحواضن عدوهن ممن تولين رعاية النبي ﷺ وحياطته، ولكن لم يأتوا على ذكر للسيدة العظيمة فاطمة بنت أسد ضمن تلك القائمة، مع أن بعض الحفاظ والمحدثين رووا قول النبي ﷺ: «كانت أُمِّي بعد أُمِّي التي ولدتني»<sup>(1)</sup>. وكان ﷺ يوجب حقها كما يوجب حق الأم.

### آخر وصايا عبد المطلب ﷺ

عندما حضرت عبد المطلب الوفاة، استدعى ابنه النجيب أبو طالب، وأخذ منه عهداً وأودعه المصطفى ﷺ، وطلب منه الاهتمام به كما كان يفعل هو. وافق أبو طالب واصطحب النبي ﷺ إلى منزله واحتفى به حفاوة لا نظير لها ولا مثل. وقد كان اختيار عبد المطلب لأبي طالب من بين أبنائه لكفالة النبي محمد ﷺ بعده لأنَّ أبا طالب كان أختاً لوالد النبي ﷺ من أمه، فإنَّ أمهما هي فاطمة بنت عائذ المخزومية، ومن الطبيعي أن يكون أبو طالب أكثر حناناً وعطفاً وحباً لابن أخيه من أبيه وأمّه من بقية إخوانه الذين كانوا من أمهات شتى، كذا ولأنَّ أبا طالب كان أنبل إخوته وأكرمهم، وأعظمهم مكانة في قريش، وأجلهم قدراً، وقد ورث زعامة أبيه عبد المطلب، وخضع لزعامته القريب والبعيد<sup>(2)</sup>. وكان النبي ﷺ ابن ثمان سنين، وكان أبو طالب لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وكان ينام معه حتى بلغ، لا يآتمن عليه أحداً<sup>(3)</sup>.

### النبي الأكرم ﷺ في بيت أبي طالب ﷺ

نهض أبو طالب بحق ابن أخيه محمد ﷺ على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظلَّ طيلة حياته يعزُّ جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله. وقد تولت السيدة فاطمة بنت أسد مع أبي طالب ﷺ كفالة النبي ﷺ وخدمته.

وكانت السيدة فاطمة بنت أسد ﷺ تحلّه في المحل الرفيع من قلبها ورعايتها وتمدّ له

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج3، ص116، حديث4574، طبعة1: دار الكتب العلمية، وعنه ابن حجر العسقلاني في اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة، ج11، ص351، حديث14180، طبعة1: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة.

(2) الشيخ الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وإتمام النعمة، ص171.

(3) الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص171-172، بسنده إلى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

يد العون بكل ما تستطيع، وكانت تشعر بأنَّ لمحمَّد صلى الله عليه وآله شأنًا يخوله أن يحتلَّ الصدارة في قلبها وعواطفها، فكانت بحقَّ أمه التي كفلته بعد أمه حيث كانت تنصرف إلى خدمته في ليلاها ونهارها، وكانت عليها السلام تتابعه بعينها وهو ينمو إلى الشباب الزاهر لأكثر من عقدين من الزمن، «يصبح فيها ولد عبد المطلب وأبو طالب غمصاً، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وآله دهنياً صقيلاً»<sup>(1)</sup>، أي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كانت له رعاية خاصة تميِّزه عن الجميع حتَّى أنَّ هيئته كانت دائماً الترتيب وكان شعره عليه دهن ومسرَّحاً على الدوام، وفي ذلك دلالة على مزيد العناية التي كان يحظى بها صلوات الله عليه من قبل السيِّدة فاطمة عليها السلام.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في وصف حاله عند السيِّدة فاطمة عليها السلام وحال أولادها: «فكانت تُشبعني وتجيِّعهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم»<sup>(2)</sup>. ولعلَّ منشأ هذه الرعاية من قبل السيِّدة فاطمة عليها السلام هو معاينتها للخلق العظيم الذي يتلأأ من حركاته وسكناته صلوات الله عليه، واستبصارها بنعمته وبركته، ومعرفتها بحقه، وإيمانها بصدقه، واعترافها بنبوِّته صلى الله عليه وآله. هذا وقد كان النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله أعظم الأبناء البررة في معاملته للسيِّدة فاطمة عليها السلام، وقد برز ذلك في مواضع شتى سنتعرض إلى بعضها في ما يأتي.

### السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام ووليد الكعبة عليه السلام

روي عن الامام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إن فاطمة بنت أسد رحمها الله جاءت إلى أبي طالب رحمه الله تبشِّره بمولد النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبتاً أتيك بمثله إلا النبوة، وقال: السبت: ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة»<sup>(3)</sup>، وتحققت تلك البشارة بعد ثلاثين سنة.

فبعد أن حملت السيِّدة العظيمة فاطمة بنت أسد ممولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومَّا قربت ولادته أتت إلى بيت الله الحرام تجدد عهدا بها. وقد روى الامام الصادق عليه السلام تلك الحادثة فقال: «كان العباس بن عبد المطلب، ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم

(1) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص167، باب وفاة عبد المطلب وضم أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وآله.

(2) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص314، المجلس الحادي والخمسون، حديث:14، ورواه أبو جعفر عماد الدين محمد بن القاسم الطبري الأملي، بشارة المصطفى، ص242، تلقين النبي صلى الله عليه وآله فاطمة بنت أسد...، طبعة:2، المكتبة الحيدرية، النجف.

(3) الشيخ الصدوق مُحمد بن علي بن بابويه القمي، معاني الأخبار، ص403، الطبعة:1، جماعة المدرسين، قم.

أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة بأمير المؤمنين تسعة أشهر، وكان يوم التمام، قال: فوقفت بإزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطلق، فرمت بطرفها نحو السماء، وقالت: أي ربّ إنني مؤمنة بك، وبما جاء به من عندك الرسل، وبكل نبيّ من أنبيائك، وبكل كتاب أنزلته، وإنني مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وإنه بنى بيتك العتيق، فأسالك بحق هذا البيت، ومن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنّسني بحديثه، وأنا موقنة أنّه إحدى آياتك ودلائلك، لما يسّرت عليّ ولادتي»<sup>(1)</sup>. قال العباس بن عبد المطلب، ويزيد بن قعنب: فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله، فرمنا أن نفتح الباب لتصل إليها بعض نسائنا فلم يفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، قال: وأهل مكة يتحدّثون بذلك في أفواه السكك، وتحدّث المخدّرات في خدورهنّ، قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة بنت أسد، وعليّ عليه السلام على يديها...»<sup>(2)</sup>.

وكانت أم عليّ عليه السلام سمّته أول ولادته أسداً<sup>(3)</sup>، باسم جده لأمه أسد بن هشام بن عبد مناف، وسمّاه أبوه علياً، فغلب عليه عليّ، وحيدرة اسم من أسامي الأسد، وهو أشجعها، «فذكر يوم خيبر ما سمّته به أمّه لمناسبة ما بين الحرب ووصول الأسد»<sup>(4)</sup>، فقال عليه السلام:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرَه      ضرغامُ آجامٍ وليت قسورَه  
كليت غابات كريبه المنظرَه      أكيلكم بالسيف كيل السندرَه

(1) قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فلم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، فلو لا ذلك، هلكت الأرض ومن عليها»، يراجع المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ج5، ص96، حديث 9099، طبعة:3، المكتب الإسلامي، بيروت، وقال عبد الله بن عباس: «ما خلّت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض» يراجع كرامات الأولياء، للحسن بن محمد بن الحسن بن عليّ البغدادي الخلال، ج1، ص24، حديث 8، طبعة:1، دار المشاريع، بيروت.

(2) الشيخ الطوسي، في الأمالي، ص707، مجلس يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وأربع مائة، بسنده إلى الإمام الصادق عن آبائه الكرام عليهم السلام، عن العباس بن عبد المطلب، ويزيد بن قعنب، ورواه باختلاف ألفاظ الشيخ الصدوق، الأمالي، ص132، المجلس السابع والعشرون، وكذلك في علل الشرائع، ج1، ص135-136، ومعاني الأخبار، ص68، عن مالك بن دينار عن سعيد بن جبير عن يزيد بن قعنب، قال:..... الحديث.

(3) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج14، ص50، طبعة دار إحياء التراث، والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج42، ص17، والسهيلي في الروض الآنف، ج7، ص107، وغيرهم.

(4) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج2، ص310، طبعة دار الوطن، الرياض.

والحق أنه لم يشغل الأم الطاهرة ولادتها لأمر المؤمنين عليه السلام، ولا لمن سبقه من إخوانه عن الاهتمام بالمصطفى محمد صلى الله عليه وآله، فقد كانت تزداد اهتماماً وعناية به، وهو يوليها كل الاحترام والتقدير، فكان لها كولدها في كل أدوار حياته صلى الله عليه وآله.

### الولادة في الكعبة: الفضيلة المنفردة

إنَّ ولادة السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة الغراء فضيلة جزيلة، ومنزلة عظيمة، وهي واحدة من كرامات الله الكثيرة التي تفضّل بها على هذه الصديقة المرضية سلام الله عليها. وقد ذكر العشرات من العلماء من الفريقين من الشيعة والسنة<sup>(1)</sup> تلك الفضيلة وانحصارها بولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام للامام علي عليه السلام، وهو أمر يدلّ على عظيم شأنها ورفع منزلتها عند الله تعالى، هذا مع وجود بعض الآراء المنحرفة التي سنشير إليها سريعاً. ومن أقوالهم:

«ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»<sup>(2)</sup>، وقال آخر: «فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة»<sup>(3)</sup>.

وقال ثالث: «ولد علي عليه السلام بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام، في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب الفرد، سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين، وقبل البعث باثنتي عشرة سنة، وقيل بعشر سنين. ولم يولد

(1) محمد بن إسحاق بن العباس المكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج3، ص198، الطبعة:2، دار خضر، بيروت. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، ص349، طبعة دار الهجرة، قم. أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، ص251، طبعة باكستان. شهاب الدين محمود بن عبد الله الألويسي الحسني، سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية، ص15.

(2) الحافظ فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد النوفلي الكنجي الشافعي، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، ص407، الباب السابع في مولده عليه السلام، الطبعة:3، فارابي، نشر دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، طهران.

(3) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الضبي الطهماني النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج3، ص550، وهو قول العلامة نور الدين علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في السيرة الحلبيّة، ج1، ص203، طبعة:2، دار الكتب العلميّة، وحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرّي تاريخ الخميس، ج1، ص279، طبعة دار صادر، بيروت، وغيرهم الكثير.

في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبته، وإظهاراً لتكريمته»<sup>(1)</sup>. هذا وقد ادعى البعض ممن عُرف بعدائه لأمر المؤمنين عليه السلام وبغضه لسلالته أن الأمير عليه السلام ليس الوحيد الذي ولد في الكعبة الشريفة<sup>(2)</sup>، وقد ورد عن مدعي هذا القول انحرافه عن علي عليه السلام<sup>(3)</sup>، فكيف لا يتقوّل الأقاويل عليه، وما قوله في ولادة غير الأمير عليه السلام في جوف الكعبة إلا واحد من تلك الأقاويل.

(1) نور الدين علي بن محمد الصفاقي المالكي المكي المشهور بابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأمة، ص29، الفصل الأول، الطبعة:2، دار الأضواء، بيروت.

(2) إن بعض آل الزبير ادعوا أن أم حكيم بن حزام قد ولدته في الكعبة، ولم يولد قبله، ولا بعده في الكعبة أحد، وتناقل هذه الكلمات عنهم العشرات من الحفاظ والمؤرخين وأصحاب السير دون أن يعنوا النظر في انحراف الذين أوجدوا هذه الفضيلة المدعاة عن وزير محمد عليه السلام وكفو سيدة نساء العالمين عليها السلام، الذي قال في حقه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» (أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج4، ص370، حديث رقم19321، طبعة:1، مكتبة المعارف للنشر القاهرة، ومحمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج4، ص330، حديث 1750، طبعة:1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض)، وأول الذين ادعوا ولادة حكيم في الكعبة هو مصعب بن عبد الله الزبيري الذي رماه الحافظ أبو عبد الله الحاكم بالوهم، وقال عز الدين بن الأثير الجزري في بيان حاله: «وهو عم الزبير بن بكار، وكان عالماً فقيهاً، إلا أنه كان منحرفاً عن علي عليه السلام» (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المشهور بعز الدين بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج6، ص122، طبعة:1، دار الكتاب العربي، بيروت). فبدل أن يكون مولى لعلي عليه السلام كان منحرفاً عنه، فكيف لا يتقول الأقاويل عليه، وما قوله في ولادة حكيم في جوف الكعبة إلا واحد من تلك الأقاويل.

وقد كشف لنا الحافظ ابن حجر العسقلاني شخصية أول من كحاها عن مصعب الزبيري، فقال: «وحكى الزبير بن بكار أن حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة، وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام» (أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج2، ص447، طبعة:1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، وذكر ذلك في كتابه الإصابية في تمييز الصحابة، ج2، ص98، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت).

وقد دلت النصوص التاريخية على أن الزبير بن بكار كان معروفاً في المدينة المنورة بعدائه وذمه لذرية أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد روى عز الدين بن الأثير الجزري عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: «قدم الزبير بن بكار العراق هارباً من العلويين لأنه كان يتال منهم، فتهددوه، فهرب منهم، وقدم على عمه مصعب بن عبد الله، وشكا إليه حاله وخوفه من العلويين، وسأله إنهاء حاله إلى المعتصم - الخليفة العباسي - فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه، قال أحمد: فشكا ذلك إلي وسألني مخاطبة عمه في أمره، فقلت له في ذلك وأنكرت عليه إعراضه عنه، فقال لي: إن الزبير فيه جهل وتسرع، فأشر عليه أن يستعطف العلويين، ويزيل ما في نفوسهم، أما رأيت المأمون ورفقه بهم، وعفوه عنهم، وميله إليهم؟ قلت: بلى؛ فهذا أمير المؤمنين، والله، على مثل ذلك أوافق، ولا أقدر أذكرهم عنده بقبيح، فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم» (ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج6، ص77). وقد عدّه الحافظ أحمد بن علي السليماني - صاحب كتاب العالم والمتعلم - (الزبير بن بكار) من الوضعين، وقال - مرة - منكر الحديث، وهو عين ما نقله الحافظ الذهبي في ميزانه، ولكنه قال: لا يلتفت إلى قول أحمد بن علي السليماني حيث ذكره في عداد من يضع الحديث، وقال - مرة - منكر الحديث» (محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص66، طبعة:1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت)، مع أن الذهبي قال في الجزء الأول من ميزانه: «بكار بن رباح، مكي. عن ابن جريج - جاء - بخر منكر في المزاج، رواه الزبير بن بكار» (محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال، ج1، ص340، طبعة:1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت). ومن كان هذه حاله، وكان معروف لدى الناس بذمه للعلويين كيف لا يدعي أن الولادة في جوف الكعبة كانت لحكيم بن حزام الأسدي، ويحاول التشكيك في ما ثبت لجد العترة النبوية الطاهرة أيضاً.

(3) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المشهور بعز الدين بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج6، ص122، طبعة:1، دار الكتاب العربي، بيروت.

## المفاهيم الأساسية

- كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام ملازمةً لآمنة عليها السلام بعد وفاة والد النبي صلى الله عليه وآله، كما كانت إحدى قابلاته عند ولادته صلى الله عليه وآله، فشهدت ولادته ورأت النور الذي أضاء على البرية عند وضعه صلى الله عليه وآله.
- جاءت السيِّدة فاطمة عليها السلام تبشّر أبا طالب بما عينته في ولادة الرسول صلى الله عليه وآله فبشّرها بأنّها تحبل وتلد بوضيه ووزيره بعد ثلاثين سنة.
- عندما حضرت عبدَ المطلب الوفاة، استدعى ابنه أبا طالب، وأخذ منه عهداً وأودعه المصطفى صلى الله عليه وآله، وطلب منه الاهتمام به كما كان يفعل هو، فكانت السيِّدة فاطمة عليها السلام الشخص الثاني الموكل برعاية النبي صلى الله عليه وآله والاهتمام بشؤونه.
- كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام تحلّ النبي صلى الله عليه وآله في المحلّ الرفيع من قلبها ورعايتها وتمدّد له يد العون بكل ما تستطيع، وتقدّمه على ولدها أجمعين.
- بعد أن حملت السيِّدة فاطمة عليها السلام بالامام عليّ عليه السلام، وقربت ولادته أتت إلى بيت الله الحرام تجدد عهداها به، وأخذت تدعو وتناجي ربها ليسهل عليها ولادتها فانشق جدار الكعبة ودخلت السيِّدة فاطمة عليها السلام ثم التزقت الفتحة وبقيت عليها السلام في الكعبة ثلاثة أيام، ثم انفتح الجدار ثانية وخرجت عليها السلام وعلى يديها وليدها المكرم عليّ عليه السلام.
- ذكر العشرات من العلماء من الفريقين من الشيعة والسنة فضيلة ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام في جوف الكعبة وانحصارها بها، هذا مع وجود بعض الآراء المنحرفة التي قالت بولادة غير الامام عليّ عليه السلام في الكعبة وهم معروفون بكرههم لعليّ عليه السلام وحنقهم على ذريته عليه السلام.



## الدرس الرابع عشر:

# فاطمة بنت أسد عليها السلام بين مكة والمدينة

## أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يستدلّ على إيمان وتوحيد السيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.
- يتعرّف إلى الأحداث التي جرت مع السيّدة فاطمة عليها السلام في مكة والمدينة.
- يذكر بعض فضائل السيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.





## إيمان السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام وإسلامها

ابتهلت فاطمة بنت أسد عليها السلام إلى الله تعالى يوم ولدت أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: «رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنَةٌ بِكَ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ مِنْ رِسْلِ وَكِتَابٍ، وَإِنِّي مُصَدِّقَةٌ بِكَلَامِ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام وَإِنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ الْعَتِيقَ، فَبِحَقِّ الَّذِي بَنَى هَذَا الْبَيْتَ، وَبِحَقِّ الْمَوْلُودِ الَّذِي فِي بَطْنِي لَمَّا يَسَّرْتَ عَلَيَّ وَوَلَدْتَنِي»<sup>(1)</sup>

ويستفاد من رواية دعائها هذا، وغيره من الروايات، إنَّ السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام كانت مؤمنة بالله عزَّ وجلَّ وموحَّدة له تعالى على دين جدِّها خليل الله إبراهيم عليه السلام ولم تكن تعبد الأصنام كسائر أهل الجاهلية الجهلاء، فهي عليها السلام من أناس لم تترك عليهم البيئة صبغتها حيث إنَّها من البيت الذي يمثِّل الامتداد الطبيعيَّ للحنيفية الغراء.

ولما ابتعث الله تعالى صفوة أنبيائه وخاتم رسله كانت السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام أوَّل من آمن به من النساء بعد مولاتنا أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: «وهي أوَّل امرأة بايعت رسول الله ﷺ بمكة بعد خديجة عليها السلام»<sup>(2)</sup>. وورد في حديث مروِّي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كانت فاطمة بنت أسد أمَّ علي بن أبي طالب حادية عشرة- يعني في السابقة إلى الإسلام- وكانت

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص132، المجلس السابع والعشرون، ورواه في علل الشرائع، ج1، ص135-136، ورواه الشيخ الطوسي، في الأمالي، ص707، مجلس يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وأربع مائة.

(2) يوسف بن قزعلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي، تذكرة خواص الأمة، ص٢٠، طبعة مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.

بدرية»<sup>(1)</sup>، أي أنها كانت المسلمة الحادية عشرة<sup>(2)</sup> فقد سبقها عشرة للإسلام فقط، وكانت قد شهدت معركة بدر.

ولم يكن غريباً أن تؤمن السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام بدعوة الصادق الأمين بهذه السرعة، فهي من أعلم الناس وأخبرهم برسول الله ﷺ، فقد واكبت حياته صلوات الله عليه منذ البداية، وعرفت منه الإيمان والصدق، ورأت الكثير من المعاجز والكرامات التي أكرمها الله بها، وكانت ترى زوجها أبا طالب عليه السلام كيف كان يحث أولاده على نصرته خاتم النبيين ﷺ.<sup>(3)</sup>

هذا وقد سُئل حفيدها الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عن أبي طالب أكان مؤمناً، فقال: «نعم»، ف قيل له: إن ههنا قوماً يزعمون أنه كافر، فقال: «واعجباً أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله ﷺ، وقد نهاه الله أن يقرّ مؤمنة مع كافرٍ في غير آية من القرآن؟ ولا يشكُّ أحدٌ أنّ فاطمة بنت أسد من المؤمنات السابقات، وأنها لم تنزل تحت أبي طالب حتّى مات أبو طالب رضي الله عنه»<sup>(4)</sup>.

### حصار المسلمين في شعب أبي طالب عليه السلام

لما رأت قريش أنّ دعوة النبي ﷺ تتعاظم يوماً بعد يوم، ويعلو شأنها، وأنّ المسلمين انتقلوا من مرحلة الكتمان والاستخفاء، إلى مرحلة الجهر بالتوحيد علانيةً، طاش من قريش صوابها، فأجمعت أمرها على قتل النبي ﷺ، فبلغ ذلك عمه أبا طالب عليه السلام، فجمع بني هاشم وبني المطلب، وأخبرهم بمكيدة قريش، فتعاهدوا على أن يلاقوا الحتوف دون المصطفى ﷺ.

وبعد أن رأت قريش هذه الحمية والمنعة، عرفت أن دون ذلك ذهاب نفوس بني

(1) علي بن الحسين بن محمد المرواني أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، ج1، ص28.  
(2) عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج1، ص14، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص508، المجلس السادس والسبعون، حديث:4، بسنده إلى مولانا الإمام الصادق عليه السلام.  
(4) الحافظ المُسنَد السيد فخار بن معد بن فخار بن أحمد الموسوي الحائري، الحجّة على الذاهب إلى كفر أبي طالب، ص123-124، ورواه عنه المجلسي في بحار الأنوار، ج35، ص115، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة.

هاشم وبني المطلب، وأهل الإسلام، فقررت قريش معاقبة هذه الفئة المسلمة، ومن تعاطف معها، فاجتمع رؤساؤهم، وأجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب اقتصادياً واجتماعياً، وكتبوا في ذلك كتاباً: «ألا يزوجوا إليهم، ولا يتزوجوا منهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم شيئاً، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم»<sup>(1)</sup>، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. وعُلفت هذه الصحيفة الظالمة في جوف الكعبة تأكيداً على التزام ما فيها. وقد واجه بنو هاشم، وبنو المطلب، هذه الحرب الاجتماعية والاقتصادية، بشجاعة وصبر وإباء، فلجأ رسول الله ﷺ وبنو هاشم إلى شعب أبي طالب، وانحاز معهم بنو المطلب، والمستضعفون من المسلمين.

وحلّ الجميع ضيوفاً على السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام<sup>(2)</sup>، فقامت بخدمتهم وإكرامهم جميعاً حتى نفذ كل ما يملكه آل أبي طالب. والحق أنها كانت شريكة أبي طالب في كل خدماته الجليلة التي قدّمها للإسلام وأهله، منذ بدء البعثة إلى أن توفاه الله تعالى، بل وزادت عليه بعد وفاته.

ولم تترك السيدة فاطمة عليها السلام خلال حصار قريش القيام على شؤون رسول الله ﷺ، ورعاية أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وكانت هي وزوجها أبو طالب يبذلا الغالي والنفيس كي لا يصاب رسول الله ﷺ بأيّ أذى، فقد كانا يخافا من أن يغتاله المشركون ليلاً<sup>(3)</sup>. وحتى بعد زواج النبي ﷺ بأمّ المؤمنين خديجة عليها السلام، لم تعتبر السيدة فاطمة بنت أسد أنّ رعايتها لشؤون رسول الله ﷺ قد انتهت، بل كانت هي هي، وكان هذا دأبها طيلة بقائها في مكة. ولما توفيت أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام خلفتها على رعاية النبيّ وتأنيده السيدة فاطمة بنت أسد، وكانت كذلك خلفاً من أبي طالب في الذود عن

(1) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج2، ص147، وكل أصحاب السير الذين ذكروا حصار قريش لبني هاشم....  
(2) لقد كان الكرم سجية ملازمة لها ولأهل بيتها، ومما يروى في أحوالهم عليهم السلام ما ورد عن السيد الشهيد زيد بن علي عن أبيه عليه السلام عن عمته العقيلة زينب بنت علي: عن أسماء بنت عميس قالت: حدثني أم هانئ بنت أبي طالب قالت: «كان علي من أجود الناس لقد كان أبوه يوجهه معه باللطف (الهدية) إلى بعض أهله، فيقول: يا أبة هذا قليل فزده. ثم يأتي أمه فاطمة بنت أسد، فيقول: يا أمه زيدي عليه من نصيبي، فتفعل» يراجع مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للحافظ المُسند محمد بن سليمان الكوفي القاضي، ج2، ص69-70، تحقيق محمد باقر المحمودي، طبعة مجمع احياء الثقافة الإسلامية.  
(3) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج2، ص141، وابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص208، طبعة:1، دار هجر.

النبي ﷺ حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى مهبط أمنه، ومستقر أنصاره، فتبعته في هجرته إلى المدينة المنورة.

### هجرة السيِّدة فاطمة إلى الله ورسوله

في تلك الليلة التي غيرت وجه العالم أوصى رسول الله ﷺ أخاه علياً ﷺ بالمبيت على فراشه، وردّ الأمانات التي كانت عنده إلى أصحابها، ثم هاجر الصادق الأمين ﷺ من مكة إلى المدينة، فأنفذ أمير المؤمنين عليّ ﷺ وصية رسول الله ﷺ، ومكث حتى كتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه. وكانت السيِّدة فاطمة بنت أسد ﷺ أول من تهيأ للهجرة إلى المدينة، فخلفت السيِّدة الهاشميَّة وراءها مكة بكل ما لها فيها من طيوب الذكريات، وضروب المفآخر والمآثر ويهمت وجهها شطر المدينة، مهاجرةً إلى الله ورسوله.

فقد روي أنه لما أتى كتاب رسول الله ﷺ إلى عليّ ﷺ تهيأ للخروج والهجرة، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسللوا، ويتخفّفوا إذا ملأ الليل بطن كلِّ وادٍ... إلى ذي طوى، وخرج عليّ ﷺ بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب،... وسار بهم أمير المؤمنين عليّ ﷺ... ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، فضلَّ ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾<sup>(1)</sup>. فالذكر عليّ، والأُنثى الفواطم المتقدِّم ذكرهن...<sup>(2)</sup>. وظلّوا على تلكم الحالة إلى أن وصلوا إلى حيث كان ينتظرهم رسول الله ﷺ.

(1) سورة آل عمران، الآيات 191-195.

(2) شيخ الطائفة الإمامية أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، ص 470-472، المجلس السادس عشر.

## السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام في المدينة

كانت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام أول الواصلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان ينتظرهم في قباء<sup>(1)</sup>. ويظهر أنها قد آثرت غيرها من النساء بركوب المحامل في الطريق إلى المدينة، فهاجرت وهي تقطع تلك الصحراء الموحشة على قدميها الشريفتين. وقد قال حفيدها الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ هَاجَرَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى قَدَمَيْهَا..»<sup>(2)</sup>.

وبعد أن وصلت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام إلى المدينة المنورة نزلت عند ابنها المصطفى صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب الأنصاري، فكانت ملازمة له صلى الله عليه وسلم، وقد كانت تقوم مع البضعة الزهراء عليها السلام على خدمته، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كانت فاطمة بنت محمد تكفيه صلى الله عليه وسلم الداخل (الدار)، وفاطمة بنت أسد تكفيه الخارج»<sup>(3)</sup>.

ولمكانتها المرموقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يخصها والفواطم بهداياه<sup>(4)</sup>. ومن الروايات في ذلك ما أورده ابن حجر وغيره من قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أهدي إلى رسول الله حلة إستبرق، فقال: اجعلها خُمراً بين الفواطم»<sup>(5)</sup>.

## السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام والسيدة الزهراء عليها السلام

انتصر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في غزوة بدر، وبعد ذلك بمدة من الزمن، فرحت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام بزواج ابنها علي من الطهر البتول فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث كان قلبها الشريف ينبض بحب بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلدة كبده، وهي التي لم تفارقها منذ وفاة أمها السيدة خديجة في السنة العاشرة من البعثة النبوية، حيث كان عمر

(1) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص470، المجلس السادس عشر.

(2) ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص453.

(3) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج24، ص353، باب الفاء فاطمة بنت أسد، طبعة:2، مكتبة العلوم والحكم.

(4) الفواطم: قال القتيبي إحداهن سيدة النساء فاطمة بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعليها زوج عليه السلام، والثانية فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت أسلمت وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي. قال ولا أعرف الثالثة، قال ابن الأثير هي فاطمة بنت حمزة عمه سيد الشهداء رضي الله عنهما، يراجع لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، ج12، ص454، طبعة:1، دار صادر، بيروت.

(5) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص62، طبعة:1، دار الجيل.

الصديقة الزهراء عليها السلام يومئذ لا يتجاوز خمس سنوات. وبعد أن زوج الله تعالى بضعة رسول الله ﷺ للامام علي عليه السلام عاشت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام معهما في الدارين، الدار التي بناها أمير المؤمنين عليه السلام وسط حجرات النبي ﷺ في المسجد النبوي، وكذلك في الدار التي بناها علي عليه السلام بجنب البقيع، فكانت ابنة أسد عليها السلام مثلاً للرفقة والرحمة في معاملة الزهراء عليها السلام، إذ كانت تقوم بمساعدتها برأبها، وبوالدها العظيم ﷺ، وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «قلت لأمي فاطمة بنت أسد بن هاشم اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل الطحن والعجن»<sup>(1)</sup>، فقامت بذلك حباً وكرامة.

### بعض فضائلها

1. شهودها ولادة أصحاب الكساء: روى أمير المؤمنين علي عليه السلام عن أمه فاطمة بنت أسد عليها السلام قالت: «لما وُلد الحسن أمر رسول الله ﷺ أن يُحلق رأسه، ويُتصدق بوزنه ورقاً»<sup>(2)</sup>. إذا شاء الله تعالى للسيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام أن تحضر مولد حفيدها سيد شباب أهل الجنة السبط الأكبر لرسول الله ﷺ، كما شاء أن تحضر أمه ولادة الطهر البتول فاطمة الزهراء عليها السلام من قبل، فهي التي لم تقاطع أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام كما فعلت سائر نساء قريش. وكذلك شاء الله لها أن تحضر وتشهد ولادة ثاني السبطين السعيدين الامام الحسين عليه السلام، وهذه فضيلة لم يشاركها فيها غيرها. وتبقى السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام المرأة الوحيدة من بين نساء بني هاشم التي تفرّدت بفضيلة شهودها لولادة الخمسة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً من شهودها لولادة رسول الله ﷺ إلى حضورها لمولد الامام الحسين عليه السلام.

2. من الأرحام المطهرة: وكما لا يخفى فإن السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام هي من

(1) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج24، ص353، باب الفاء فاطمة بنت أسد بن هاشم.

(2) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تليح فهوهم أهل الأثر، ج1، ص519، طبعة1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

جملة الأرحام المطهرة التي حكى عنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «.. نقلنا إلى صلب آدم، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات..»<sup>(1)</sup>. بل هي من خيرات تلك الأرحام. وهي أيضاً ممن عناهم الإمام الصادق عليه السلام عندما خاطب جدّه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المُطَهَّرَة لم تُنَجِّسك الجاهليّة بأنجاسها، ولم تُلبسك من مُدلهِمات ثيابها».<sup>(2)</sup> فهي عليها السلام من مُطهرات الأرحام نقيات الجيوب عديّات العيوب.

3. رحم ارتكض فيه 17 شهيداً: هذا وقد كان رحمها الطاهر مولداً لسبعة عشر شهيداً في كربلاء. قالت الرواة كنا إذا ذكرنا عند محمد بن علي الباقر عليه السلام قتل الحسين عليه السلام قال: «قتلوا سبعة عشر إنسانا كلهم ارتكض (أي تحرك الجنين) في بطن فاطمة بنت أسد أم علي عليه السلام». كما روي أنّه كان إذا ذكر قتل الحسين بن علي عليه السلام عند محمد بن الحنفية قال: «لقد قُتل معه سبعة عشر ممن ارتكض في رحم فاطمة»<sup>(3)</sup>، وهم أولاد عليّ وجعفر وعقيل عليهم السلام.

4. صاحبة مكانة سامية عند العرب: ولقد كان لفاطمة بنت أسد عليها السلام مكانة سامية في نفوس العرب، فعندما قتل الامام علي عليه السلام صاحب لواء المشركين يوم أحد، مدحه أحدهم وذكر فاطمة بنت أسد فقال:

لِلَّهِ أَيُّ مُذَبِّبٍ<sup>(4)</sup> عَن حُرْمَةٍ

أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعَمَّ الْمُخَوَّلَا<sup>(5)</sup>

جَادَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلٍ طَعْنَةٍ

تَرَكَتْ طَلِيحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلَا

(1) علي بن محمد بن علي الخزاز الرازي، كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر، ص2، مطبعة الخيام، قم، ورواه (2) شيخ الطائفة الإمامية أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، زيارة الأربعين، تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، طبعة:4، 1365هـ نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، مطبعة خورشيد. (3) الطبراني، المعجم الكبير، ج3، ص103 + 119، رقم:2805+2854، طبعة:2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل. (4) المذنب: المدافع عن الشيء يقال ذبب عن حرمة إذا دفع عنها. (5) المعجم: الكريم الأعمام، والمخول: الكريم الأخوال.



وَشَدَدَتْ شِدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفَتْهُمْ  
بِالْحَقِّ إِذْ يَهُوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلًا<sup>(1)</sup>  
وَعَلَلْتَ سَيْفَكَ بِالِدَّمَاءِ وَلَمْ تَكُنْ  
لِتَرْدِّهِ حَرَّانَ حَتَّى يَنْهَلَا<sup>(2)</sup>

5. تقواها وخشيتها من الله: وليست آخر فضائلها ما روي عنها من أخبار تدل على مدى تقواها وخشيتها من الله تعالى، حيث إنها لما سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «إنَّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا»، فقالت: واسوأته! فقال لها رسول الله ﷺ: «فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية». وسمعتة يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه! فقال لها رسول الله ﷺ: «فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك». وقالت لرسول الله ﷺ يوماً: «إني أريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: «إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار»<sup>(3)</sup>.

وبناءً على كل ما تقدّم فإننا نرى أن السيّدة فاطمة ة عليها السلام عاشت منقطعة إلى الله تعالى، تلتزم أوامره وتنتهي عن نواهيه، وجعلت من دنياها كلها معبداً يطيب بذكر الله وحده، فعاش قلبها أحاسيس الهداية، وسارت بخطاها راضية مرضية، ووقفت أمام المحن معتصمة بحبل الله، فطوبى لذلك الإيمان، وطوبى للصدق في العبودية للرحمن.

(1) أَخْوَلَ أَخْوَلًا: أي واحداً بعد واحد.

(2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج11، ص38، حديث المؤاخاة، طبعة:1، دار هجر.

(3) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص453.

## المفاهيم الأساسية

- يستفاد من رواية دعاء السيدة فاطمة عليها السلام عند ولادتها للامام علي عليه السلام في الكعبة وغيرها من الروايات أنها عليها السلام كانت مؤمنة بالله عز وجل وموحدة له تعالى على دين جدّها خليل الله إبراهيم ولولا ذلك لما كانت محلاً للاصطفاء.
- كانت السيدة فاطمة عليها السلام أول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من النساء بعد مولدنا أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام، فكانت المسلمة الحادية عشرة.
- بعد تعاضم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قرّرت قريش معاقبة المسلمين ففرضوا عليهم حصاراً وأجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب اقتصادياً واجتماعياً، فلجأوا إلى شعب أبي طالب، وحلّ الجميع ضيوفاً على السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.
- كانت السيدة فاطمة عليها السلام هي وزوجها أبو طالب يبذلان الغالي والنفيس كي لا يصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي أذى، فقد كانا يخافا من أن يغتاله المشركون ليلاً، وبقيت عليها السلام تقوم برعاية شؤونه صلى الله عليه وسلم حتى بعد زواجه بأم المؤمنين خديجة عليها السلام.
- هاجرت السيدة فاطمة عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وفاطمة بنت الزبير إلى المدينة، فكانت عليها السلام من أول الواصلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان ينتظرهم في قباء.
- بعد أن زوج الله تعالى بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام علي عليه السلام عاشت السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام معهما في الدارين، الدار التي بناها أمير المؤمنين عليه السلام وسط حجرات النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي، وكذلك في الدار التي بناها علي عليه السلام بجنب البقيع، وكانت تكفيها أمور المنزل الخارجية من سقاية وحاجات وفاطمة الزهراء عليها السلام تكفيها ما داخل المنزل.
- تفردت السيدة فاطمة عليها السلام بفضيلة شهودها لولادة الخمسة أصحاب الكساء من ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الامام الحسين عليه السلام. وكان من فضائلها عليها السلام ما روي عنها من أخبار تدلّ على مدى تقواها وخشيتها من الله تعالى.



## الدرس الخامس عشر:

### وفاة السيِّدة فاطمة بنت

أسد عليهنَّ السلام

### أهداف الدرس

على المتعلِّم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرَّف إلى حادثة وفاة السيِّدة فاطمة بنت أسد عليهنَّ السلام.
- يشرح سلوك الرسول ﷺ التكريمي لها عند موتها عليهنَّ السلام.
- يبيِّن رفعة مقامها وعلو منزلتها عند الله تعالى.



## وصية السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام

تركت السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام مسيرة حياتها المفعمة بالفداء والتضحية والثبات على المبدأ، وهرعت صوب خالقها الودود الذي أكرمها في حياتها وبعد مماتها عليها السلام. وقد كان النبي ﷺ حاضراً بين يديها في آخر أيامها من الدنيا، وأوصت إليه صلوات الله عليه خاصّة، حيث إنَّها لم توصِّ لابنها الإمام المرتضى عليه السلام، وفي ذلك يقول حفيدها الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «وأوصت إليه صلى الله عليه وآله حين حضرته الوفاة، فقبل وصيتها»<sup>(1)</sup>. وجاء في خبر عن الامام علي عليه السلام قال: لما استقرَّ بفاطمة، وعلم بذلك رسول الله ﷺ قال: «إذا توفيت فأعلموني...»<sup>(2)</sup>.

## وفاة السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام ودفنها

كما كانت السيِّدة فاطمة بنت أسد في نصره الله وتأييد رسوله، منقطعة القرين، كذلك كان لها رسول الله يوم لحقت بربِّها، فتولَّى أمرها بنفسه. ففي روايةٍ عن ابن عباس قال: أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم الى النبي ﷺ باكياً، وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، فقال له رسول الله ﷺ: «مه يا علي؟!» فقال علي عليه السلام: «يا رسول الله ماتت أمي فاطمة بنت أسد».

(1) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج2، ص469، والقاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج3، ص215، والشيخ محمد بن الحسن «الخُر العاملي»، وسائل الشيعة، ج3، ص49، طبعة:1، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، وقال أبو الفرج الأصبهاني: وأوصت إليه حين حضرته الوفاة فقبل وصيتها، وصلَّى عليها ونزل في لحدّها واضطجع معها فيه، وأحسن الثناء عليها، يراجع مقاتل الطالبين، ج1، ص27، وقال ابن أبي الحديد المدائني: وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويعظمها، ويدعوها أمي، وأوصت إليه حين حضرته الوفاة، فقبل وصيتها، يراجع شرح نهج البلاغة، ج1، ص14، وغيرها من الكتب.

(2) عمر بن شبة، واسمه زيد بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، تاريخ المدينة، ج1، ص123، طبعة جدة.

فبكى النبي ﷺ ثم قال: «رحم الله أمك يا عليّ أما إنَّها كانت لك أمًّا، فقد كانت لي أمًّا، خذ عمامتي هذه، وخذ ثوبي هذين فكفنها فيهما، ومُر النساء فليُحسَنَ غسلها، ولا تُخرجها حتَّى أجيء فإليّ أمرها»<sup>(1)</sup>.

قال: وأقبل النبي ﷺ بعد ساعة، وأخرجت فاطمة أم عليّ عليه السلام فصلَّى عليها النبي ﷺ صلاة لم يصلَّ على أحدٍ من قبلها مثل تلك الصلاة، ثمَّ كَبَّرَ عليها أربعين تكبيرةً، ثم دخل الى القبر، فتمدَّد فيه، فلم يُسمع له أنين ولا حركة، ثم قال: «يا عليّ ادخل، يا حسن ادخل»، فدخلوا القبر، فلما فرغ ممَّا احتاج إليه قال: «يا عليّ اخرج، يا حسن اخرج»، فخرجوا. ثمَّ زحف النبي ﷺ حتَّى صار عند رأسها، ثمَّ قال: «يا فاطمة أنا محمَّد سيّد ولد آدم ولا فخر، فإن أتاك منكر ونكير، فسألاك عن ربك، فقولِي: الله ربي، ومحمد نبيِّي؛ والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليِّي، ثمَّ قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت، ثمَّ خرج من قبرها وحثا عليها حثيات، ثمَّ ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما، ثمَّ قال: «والذي نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي».

فقام إليه عمار بن ياسر، فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله، لقد صليت عليها صلاة لم تصلَّ على أحدٍ قبلها مثل تلك الصلاة، فقال عليه السلام: «يا أبا اليقظان وأهل ذلك هي منِّي، لقد كان لها من أبي طالب ولد كثير، ولقد كان خيرهم كثيرًا، فكانت تُشبعني وتُجيعهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم».

وقال: فلم كَبَّرت عليها أربعين تكبيرةً يا رسول الله؟

قال عليه السلام: «نعم يا عمار التفتُّ عن يميني فنظرت إلى أربعين صفاً من الملائكة فكَبَّرت لكلِّ صفٍّ تكبيرةً».

قال: فتمددك في القبر، فلم يسمع لك أنين ولا حركة، قال: «إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة فلم أزل أطلب إلى ربِّي عزَّ وجلَّ أن يبعثها ستيرة، والذي نفس محمد بيده ما خرجت من قبرها حتَّى رأيت مصباحين من نور عند رأسها، ومصباحين من نور عند

(1) فإليّ أمرها: هكذا عند الطبري الآملي في بشارة المصطفى، وعند الشيخ الصدوق في الأمالي: (فإليّ أمرها).

يديها، ومصباحين من نور عند رجلها، وملكيها الموكّنين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة»<sup>(1)</sup>.

وهذا التكريم الإستثنائي والاهتمام الكبير وعِظَم التجليل ورفعة التبجيل الذي أولاه مولانا رسول الله الأكرم عليه السلام لأمه فاطمة بنت أسد عليها السلام عند وفاتها وتشيعها ودفنها يدلّ بوضوح على جلالة قدرها، وعظيم منزلتها، ورفعة مقامها المرموق عند الله تبارك وتعالى، هذا وإن ظلمها التاريخ وأصحاب السير الذين لا يروون عن حياتها سوى أقلّ القليل.

### تشيع جنازتها

روي أنه لما توفيت السيدة فاطمة بنت أسد وخرجوا بجنازتها جعل رسول الله عليه السلام مرةً يحمل، ومرةً يتقدم، ومرةً يتأخر حتى انتهوا إلى القبر، فتمعك (أي تمرغ) في اللحد ثم خرج، فقال: «أدخلوها باسم الله، وعلى اسم الله».

### كفنها

فلما أن دفنوها قام قائماً، فقال: «جزاك الله من أمّ وربيّة خيراً، فنعم الأم، ونعم الربيبة كنت لي»، فقليل له: يا رسول الله، لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط. قال: ما هو؟ قلنا: بنزعك قميصك، وتمعك في اللحد. قال: «أما قميصي، فأردت ألاّ تمسها النار أبداً إن شاء الله، وأما تمعكي في اللحد، فأردت أن يوسع الله عليها قبرها»<sup>(2)</sup>. وكذا روي عن الامام علي بن أبي طالب، أن النبي عليه السلام كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه، وقال: «لم نلق بعد أبي طالب أبرّ بي منها»<sup>(3)</sup>.

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص314، المجلس الحادي والخمسون، حديث:14، ورواه أبو جعفر عماد الدين محمد بن القاسم الطبري الأملي، بشارة المصطفى، ص242، تلقين النبي عليه السلام فاطمة بنت أسد...، طبعة:2، المكتبة الحيدرية، النجف.

(2) ابن شبة، تاريخ المدينة النبوية، ج1، ص124.

(3) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص269، نقلاً عن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني.



## صلاة الملائكة عليها

كما روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه نقل عن الامام علي عليه السلام أنه قال: «لَمَّا ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كَفَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَمِيصِهِ وَصَلَّى عَلَيْهَا... وَإِنَّ جَبْرِيلَ عليه السلام أَخْبَرَنِي عَنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ عليه السلام أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَصَلُّونَ عَلَيْهَا»<sup>(1)</sup>.

## قبرها روضة من رياض الجنة

كذلك فإنَّ قبرها سلام الله عليها هو روضة من رياض الجنة يشهد لذلك ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَمَّا خَرَجَ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْرِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ - قَالَ:.... وَأَمَّا دُخُولِي فِي قَبْرِهَا، فَإِنِّي قَلْتُ لَهَا يَوْمًا: إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا أُدْخِلَ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهِ مَلَكَانِ: مَنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَيَسْأَلَانَهُ، فَقَالَتْ: وَاعُوثَاهُ بِاللَّهِ، فَمَا زِلْتُ أَسْأَلُ رَبِّي فِي قَبْرِهَا حَتَّى فَتَحَ لَهَا رَوْضَةً مِنْ قَبْرِهَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَبْرُهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»<sup>(2)</sup>.

## السيدة فاطمة عليها السلام مأمونة من ضغطة القبر

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ السَّيِّدَةَ الطَّاهِرَةَ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ عليها السلام سَمِعَتْ مَوْلَانَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ: وَاضْعَاهُ! فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكْفِيكَ ذَلِكَ»<sup>(3)</sup>.

وقال ابن عباس: «لما ماتت فاطمة أم علي خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها... وقال: «إني ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج3، ص116، حدیث4574، باب: ومن مناقب أمير المؤمنین علي بن أبي طالب، وعنه الحافظ ابن حجر العسقلانی فی اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة، ج11، ص351، حدیث14180.

(2) شیخ القمیین أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار من أصحاب الإمام الحسن بن علي الزکی العسکری عليه السلام، بصائر الدرجات، ج1، ص287، طبعة3: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

(3) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج1، ص453.

معها في قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إليّ بعد أبي طالب»<sup>(1)</sup>.

وفي حديث عن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، فقيل يا رسول الله: ولا القاسم ابنك؟ قال: ولا إبراهيم»<sup>(2)</sup>، وكان إبراهيم أصغرهما.

وقد أكد العلماء هذه المسألة تبعاً للأحاديث الشريفة، فقال الشيخ المفيد: ولما قبضها الله تعالى إليه كفنها النبي صلى الله عليه وآله بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض، وتوسد في قبرها لتأمن بذلك من ضغطة القبر<sup>(3)</sup>. وجاء في بعض الكتب: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، والمراد غير من استثناه النبي صلى الله عليه وآله، وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك لأنها ضمت المصطفى صلى الله عليه وآله، ولما ماتت سكب عليها الماء الذي فيه الكافور، وأبسها قميصه واضطجع في قبرها، وقال: «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حُجَّتْها ووسّع عليها مدخلها»<sup>(4)</sup>.

## تاريخ وفاتها

جاء في بعض الروايات: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يدعو النساء إلى البيعة، حين أنزلت هذه

(1) أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ج7، ص87، حديث:6935، طبعة: دار الحرمين، القاهرة، ورواه يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص1891، طبعة:1، دار الجيل، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، ج1، ص76، وأورده نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج9، ص257، حديث:15400، طبعة مكتبة القدسي، القاهرة، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعدان بن الوليد السابري، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. - وسعدان بن الوليد هذا ذكره جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزني في شيوخ الحسن بن بشر الهمداني من تهذيب الكمال، ج6، ص58، طبعة: مؤسسة الرسالة، وأخرج الحاكم حديثه في المستدرک على الصحيحين، وقال: سعدان بن الوليد البجلي كوفي قليل الحديث، وقال علي بن حسام الدين المتقي الهندي: رواه أبو نعيم في المعرفة، والدليمي، وسنده حسن، يراجع كنز العمال، ج13، ص636، حديث:37608، طبعة:5، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(2) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج2، ص15، طبعة:2، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق. عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج1، ص123، طبعة: جدة، وفي ج1، ص79، من طبعة: دار الفكر.

(3) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العسكري، الإرشاد، ج1، ص5، طبعة:1، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.

(4) السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية، ج2، ص15.

الآية ﴿يَأْتِيهَا اللَّيْلُ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ...﴾<sup>(1)</sup>، وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله ﷺ<sup>(2)</sup>. وذكر عبد الله بن عباس طرفاً من أحوالها فقال: كان رسول الله ﷺ يزورها، ويقبل عندها في بيتها، وكانت صالحة<sup>(3)</sup>. قال: وفيها نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا اللَّيْلُ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ...﴾ الآية<sup>(4)</sup>.

هذا، وقد نزلت هذه الآية الكريمة موافقةً لعمل النبي الأكرم ﷺ حيث كان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه سابقاً على بيعة النساء قبل نزول آية مبايعتهن. وقد نقل اتفاق المفسرين على زمن نزول هذه الآية من سورة الممتحنة، «اتفقوا على نزولها بعد الحديبية»<sup>(5)</sup>، وصلاح الحديبية هو من حوادث شهر ذي القعدة من العام السادس الهجري، وبناءً عليه تكون السيدة فاطمة بنت أسد ؓ قد توفيت بعد ذلك لا كما ورد في بعض المصادر أنها توفيت في السنة الثالثة أو السنة الرابعة للهجرة.

ومما يؤيد ذلك الرواية التي ذكرناها سابقاً في وضع السيدة فاطمة ؓ في لحدها، حيث قال رسول الله ﷺ بعد أن دخل إلى قبرها ؓ وتمدد فيه: «يا علي ادخل، يا حسن ادخل...»<sup>(6)</sup>. فإذا تأملنا الرواية نجد فيها أن مولانا الإمام الحسن ؓ كان في سن يتمكن فيها من النزول إلى قبرها والخروج منه، ولا يغيبنك عنه أنه قد ولد في السنة الثالثة من الهجرة.

## موضع قبرها الشريف

قبرها الشريف في بقيع الغرقد في أول مقابر بني هاشم في قطعة كانت تابعة لدار

(1) سورة الممتحنة، الآية 12.

(2) علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، ج1، ص28-29، والقاضي النعمان بن محمد المغربي، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج3، ص214-215، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، قم، وكشف الغمة للإربلي.

(3) يظهر أن محمد بن سعد أخذ هذا القول عن عبد الله بن عباس، يراجع الطبقات الكبرى، ج8، ص222.

(4) يوسف بن قزلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي، تذكرة خواص الأمة، ص20.

(5) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص636، طبعة: دار المعرفة، بيروت.

(6) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص314، المجلس الحادي والخمسون، حديث:14، ورواه أبو جعفر عماد الدين محمد بن القاسم الطبري الأملي، بشارة المصطفى، ص242، تلقين النبي ﷺ فاطمة بنت أسد...، طبعة:2، المكتبة الحيدرية، النجف.

ولدها عقيل بن أبي طالب، في موضع كان يعرف «بالرَّوحاء مقابل حمام أبي قטיפه»<sup>(1)</sup>. وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت مهاجرةً مبايعةً بالروحاء، مقابلها حمام أبي قטיפه<sup>(2)</sup>.

وجاء في خبر عن الامام عليّ عليه السلام قال: لما استقرّ بفاطمة، وعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا توفّيت فأعلموني، فلما توفّيت خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة، ثم لحد لها لحداً، ولم يضرح لها ضريحاً، فلما فرغ منه نزل، فاضطجع في اللحد، وقرأ فيه القرآن...»<sup>(3)</sup>.

ولما توفّي العباس بن عبد المطلب عمّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله دفنه بنو هاشم عند قبر فاطمة بنت أسد<sup>(4)</sup>، ودفن عندها سبط رسول الله صلى الله عليه وآله مولانا الإمام المُجتبى الحسن بن عليّ عليه السلام، بعد أن منع بنو أمية دفنه عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(5)</sup>. وكذلك دفن عند السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام مولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وولده الإمام مُحمد بن علي الباقر عليه السلام، وولده الإمام جعفر بن مُحمد الصادق عليه السلام، «وقد روي في بعض الأخبار أنهم أنزلوا على جدتهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضوان الله عليها»<sup>(6)</sup>.

(1) نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسن السموودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وآله، ج3، ص85، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار، الدرّة الثمينة في أخبار المدينة، ج1، ص168، طبعة: دار الأرقم.

(3) عمر بن شبة، واسمه زيد بن عبيدة بن ربطة النميري البصري، تاريخ المدينة، ج1، ص123، طبعة جدة.

(4) المصدر السابق، ج1، ص127.

(5) الشيخ المفيد مُحمد بن مُحمد بن النعمان العكبري، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج2، ص15-19، وأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي، الصواعق المحرقة، ج2، ص414، طبعة:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، وغيرهم الكثير.

(6) شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي، تهذيب الأحكام، ج6، ص78، باب نسب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام.

## المفاهيم الأساسية

- كان النبي ﷺ حاضراً بين يدي السيدة فاطمة عليها السلام في آخر أيام حياتها. وقد خصته سلام الله عليها بالوصية دون غيره من أبنائها.
- جاء الإمام علي عليه السلام للنبي يخبره بوفاة أمه فاطمة عليها السلام، ثم أمر الرسول بأن يحسن غسلها وأن تكفن بقميصه، وأُخرجت جنازتها سلام الله عليها فصلّى عليها النبي ﷺ صلاة لم يصل على أحدٍ من قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كبر عليها أربعين تكبيرةً، ثم دخل الى القبر، فتمدّد فيه، فلم يُسمع له أنين ولا حركة.
- لقن النبي ﷺ السيدة فاطمة عليها السلام الشهادة ودعا لها، وأخبر الناس أنه رأى الملائكة في قبرها وملكين موكلين يستغفران لها حتى قيام الساعة، ورأى مصباحين من نور عند رأسها، ومصباحين من نور عند يديها، ومصباحين من نور عند رجلها يسترانها يوم المحشر.
- أخبر النبي ﷺ أن قبر السيدة فاطمة بنت أسد هو روضة من رياض الجنة.
- جاء في خبر عن النبي ﷺ أنه ليس أحد مأموناً من ضغطة القبر إلا السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.
- توفيت السيدة فاطمة عليها السلام في العام السادس للهجرة، ويدل على ذلك كونها من مصاديق آية مبايعة النساء والتي نزلت بعد صلح الحديبية باتفاق المسلمين.
- قبر السيدة فاطمة عليها السلام الشريف في بقيع الغرقد في أول مقابر بني هاشم في قطعة كانت تابعة لدار ولدها عقيل بن أبي طالب. وقد دُفن العباس بن عبد المطلب عم النبي الأكرم ﷺ والإمام المُجتبى الحسن والإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وولده الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، وولده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، في تلك البقعة.

## الدرس السادس عشر:

# أصول السيِّدة خديجة عليها السلام ونشأتها

### أهداف الدرس

على المتعلِّم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى نسب السيِّدة خديجة عليها السلام ومكانة عشيرتها.
- يذكر بعض فضائل والد السيِّدة خديجة عليها السلام.
- يشرح الظروف التي رافقت نشأة السيِّدة خديجة عليها السلام.



## تمهيد

بدايةً لا بدّ لنا من القول إنّه ليس في وسع أحد أن يأتي بكمال وصف ما أوتيت سيدتنا ومولاتنا أمّ المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام من الفضائل والرفعة، ولا أن يأمل أحد الوصول إلى شأو ما منحه الله تعالى إياها، فيبرز نواحي ذلك ويوفيه، فإذا لا مناص إلا بسط الذراع بوسيد بعلمها سيد النبيين، وصهرها عليّ أمير المؤمنين والأئمة من أولادها المعصومين عليهم السلام، والاقْتباس ممّا أشادوا به في شأنها، لأنّ كلّ ما ذكره العلماء والأدباء والكتّاب والشعراء عن خصالها الحميدة، وكلّ ما قيل في شمائلها المجيدة هو في الحقيقة دون شأنها ومقامها الرفيع، فهي شخصية في أوج العظمة وذروة الشرف وقمة الفضيلة. وماذا يمكننا أن نقول في حقّ سيّدة نساء الرسالة صلوات الله وسلامه عليها، والتي قال فيها النبيّ صلى الله عليه وآله: «سيدات نساء أهل الجنّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وخديجة بنت خويلد، وآسية»<sup>(1)</sup>.

## نسبها الوضّاح

هي أمّ القاسم صفوة النسوة الطيّبات، وفخر العفائف المطهّرات، أميرة عشيرتها، وسيّدة قومها، ووزيرة الصدق عند الصادق الأمين؛ أمّ المؤمنين خديجة الكبرى الأسديّة

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج3، ص205، حدیث 4853، طبعة:1، دار الکتب العلمیة، بیروت.



القرشية<sup>(1)</sup> الملكية، أوسط نساء قريش نسباً<sup>(2)</sup>، لا يجاريها في ذلك إلا بنات شيبه الحمد (عبد المطلب)، وعمرو العلاء (هاشم).

أبوها هو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة<sup>(3)</sup> بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأما هي فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة<sup>(4)</sup>.

وكانت والدة خديجة عليها السلام سيّدة جلييلة القدر مشهوداً لها بالفضل بين النساء، وتعدّ هي وأمّها، وجدّتها الأولى والثانية، والثالثة والرابعة كلهنّ من نسل لؤي بن غالب<sup>(5)</sup>، جدّ النبي الأكرم عليه السلام. ومن الأشياء المتفق عليها في نسب رسول الله عليه السلام طهارة آبائه وأمّهاته. وعليه يمكننا القول إن السيّدة أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام، قد شاركته

(1) كان العرب خاضعين لقريش ومنقادين لها، وكانوا يعتبرونها أشرفهم، وقد قال أبو طالب في خطبته المعروفة عند خطبة الرسول الأكرم عليه السلام لخديجة عليها السلام: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل أنزلنا حرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس»، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الأوائل، ج1، ص13، طبعة:1، دار البشير، طنطا، مصر، ومن دقق في الجملة الأخيرة. تبين له أنّ قريشاً كان لها الحكم والأمر على العرب. وقد خطب جدّ النبي الأكرم عليه السلام هاشم بن عبد مناف في اليوم الأوّل من ذي الحجّة خطبة في قريش جاء فيها: «يا معشر قريش! أستم سادة العرب وأحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها أنساباً». يراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المدائني، ج15، ص211، الطبعة:1، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

(2) - يقال فلان أوسط القبيلة: أعرفهم وأشرفهم نسباً، وأرفعهم محلاً، وأكرمهم موضعاً. ويقال: إنّ الوسيط هو الشريف في قومه، لأنّ النسب الكريم دار به من كل جهة وهو وسط، فالوسط في ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل.

(3) محمد بن إسحاق بن يسار المدني، سيرة ابن إسحاق «السيرة والمغازي»، ج1، ص82، طبعة:1، دار الفكر، بيروت.

(4) م. ن، وجّل من ترجم لأم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام من المؤرخين وأصحاب التراجم والسيرة.

(5) الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي الرازي، الذرية الطاهرة، ج1، ص24، طبعة:1، الدار السلفية، الكويت، والحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساکر، تاريخ دمشق، ج3، ص192، طبعة:1، دار الفكر.

بذلك أيضاً، فهي تلتقي معه في نسبه الطاهر عند جدِّهما المشترك قصي<sup>(1)</sup> بن كلاب، كما أنها أقرب منه عليها السلام إلى قصيِّ برجل واحد، وتعدُّ السيِّدة خديجة عليها السلام أقرب نسائه عليها السلام إليه نسباً، وأمّس أزواجه به رحماً كون جدِّها أسد وجدّه هاشم ولدَي عم.

### بعض فضائل والد السيِّدة خديجة

يلقب والد السيِّدة خديجة بأبي الخسف<sup>(2)</sup>، والخسف: الذل. وآب: اسم فاعل، أبي الخسف: إذا امتنع من قبوله، فإنه كان رجلاً ماضي العزيمة، حمي الأنف فارساً شجاعاً وشاعراً مرهفاً، وسيداً كريماً، رفيع المقام يتحلّى بأخلاق طيبة وكان شيخ بني أسد ووجههم. ومن المواقف التي تشهد له أنه كان بطلاً مغواراً لا تُرهبه كثرة الفرسان دفاعه عن الكعبة المشرفة في يوم لا ينسى، فقد روى ابن عباس أيضاً أن والد السيِّدة خديجة عليها السلام هو الذي نازع تَبَعاً الآخِر<sup>(3)</sup> - آخر تبابعة اليمن - حين حجّ وأراد أن يأخذ الحجر الأسود معه إلى اليمن، فقام في ذلك خويلد بن أسد، وقام معه جماعة، وواجهوه ومنعوه من ذلك. ثم

(1) روي عن ابن عباس أنه قال: كان قصي بن كلاب أول ولد كعب بن لؤي، أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكان شريف أهل مكة لا ينازع فيها، فابتنى دار الندوة وجعل بابها إلى البيت، ففيها كان يكون أمر قريش كله وما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم، حتى إن كانت الجارية تبلغ أن تدرع فما يشق درعها إلا فيها، ثم ينطلق بها إلى أهلها، ولا يعقدون لواء حرب لهم ولا من قوم غيرهم إلا في دار الندوة، يعقده لهم قصي، ولا يعذر لهم غلام إلا في دار الندوة، ولا تخرج عبر من قريش فيرحلون إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها تشريفاً له وتيمناً برأيه ومعرفةً بفضله، ويتبعون أمره كالدين المتبع لا يعمل بغيره في حياته وبعد موته، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة وحكم مكة كله، وكان يعشر من دخل مكة سوى أهلها، قال: وإنما سميت دار الندوة لأن قريشاً كانوا ينتدون فيها، أي يجتمعون للخير والشر، والندي: مجمع القوم إذا اجتمعوا، وقطع قصي مكة رباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم التي أصبحوا فيها اليوم، وضاق البلد وكان كثير الشجر العضاء والسلم، فهابت قريش قطع ذلك في الحرم، فأمرهم قصي بقطعه، وقال: إنما تقطعونها لمنازلكم ولخططكم، بهلة الله على من أراد فساداً! وقطع هو بيده وأعوانه فقطعت حينئذ قريش وسمته مجمعاً لما جمع من أمرها، وتيمنت به وبأمره، وشرفته قريش وملكته، يراجع الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، ج1، ص70-71، طبعة:1، دار صادر، بيروت.

(2) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، نزهة الألباب في الألقاب، ج1، ص51، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، وتقي الدين المقرئ أحمد بن علي، أبو العباس الحسيني، إمتاع الأسماع، ج6، ص175، وغيرهما.

(3) تُبَع: بضم الميم وتشديد الباء لقب لمن يملك جميع بلاد اليمن حِميراً وسباً وحضرموت، فلا يطلق على الملك لقب تُبَع إلا إذا ملك هذه المواطن الثلاثة، يراجع التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ج25، ص333-334، طبعة:1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

إن تَبَعاً رَوَّعَ ترويعاً شديداً حتَّى ترك ذلك وانصرف عنه<sup>(1)</sup>.

هذا بالاضافة إلى رواية جاءت عن عبد المطلب يشهد فيها بمشاركة خويلد إياه في فضل حفر بئر زمزم<sup>(2)</sup>، وقد أنشد فيه أبياتاً أبرزت أن خويلد كان على الحنيفية الغراء والتوحيد الإبراهيمي<sup>(3)</sup>.

### علاقة عشيرة خديجة عليها السلام ببني هاشم

كانت عشيرة السيِّدة خديجة عليها السلام - بنو أسد بن عبد العزى - وهم أصحاب المشورة<sup>(4)</sup> في قريش إلى جانب بني عبد مناف في حلف المطيين<sup>(5)</sup> مؤازرين مناصرين<sup>(6)</sup> لهم في وجه حلف لعقة الدم. وكان أسد بن عبد العزى جد السيِّدة خديجة عليها السلام من المبرزين في حلف الفضول، فأجاب هو وبنوه نداء الهاشميين، وتحالفوا معهم، ومع بني المطلب، وبني زهرة، وتيم بن

(1) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، ج2، ص155، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وأبو الفداء بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج2، ص362، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي.

(2) روي عن عبد الله بن عثمان بن سليمان قال سمعت أبي يقول: لما حُفرت زمزم، وأدرك منها عبد المطلب ما أدرك وجدت قريش في أنفسها مما أعطي عبد المطلب، فلقية خويلد بن أسد بن عبد العزى، فقال: يا ابن سلمى لقد سقيت ماء رعداً وثقلت عادية حسداً، فقال (عبد المطلب): يا ابن أسد أما إنك تُشرك في فضلها، والله لا يساعدي أحد عليها بر، ولا يقوم معي بارزاً إلا بذلت له خير الصهر.

(3) أقول وما قولي عليهم بسببة  
إليك ابن سلمى أنت خافر زمزم  
حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر  
وركضة جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب: «ما وجدت أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد»، (علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري البصري الحنفي، إكمال تهذيب الكمال، ج5، ص51، طبعة:1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، وسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص104، طبعة:1، دار الكتب العلمية، وتقي الدين المقرئ أحمد بن علي بن عبد القادر، إمتاع الأسماع، ج6، ص177، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت، وأبو بكر بن عبد الله بن أيوب الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج3، ص30، مطبعة عيسى البابي الحلبي، وغيرهم).

(4) المشورة: يريدون بها رئاسة الشورى، وليس ببعيد عن الصواب إذا شبهناها من بعض الوجوه برئاسة مجلس الأعيان، وكانت هذه الوظيفة من خصائص بني أسد قوم أم المؤمنين خديجة عليها السلام، ومن شأنهم في هذه الوظيفة أن رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة، فإن أعجبه وافقهم عليه، وإلا تخير وكانوا له أعواناً.

(5) نسبة للطيب الذي حوته الجفنة التي أخرجتها لهم عاتكة أو البيضاء بنت عبد المطلب عمه النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وتوأمته أبيه، ووضعتها في الحجر (حجر اسماعيل)، وقالت: من تطيب بهذا فهو منا، فتطيب منها مع بني عبد مناف، بنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو تيم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر، غمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فالمطيون من قريش خمس قبائل، والذين في مقابلهم هم: الأحلاف أو لعقة الدم.

(6) نور الدين علي بن برهان الدين إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ج1، ص22، ط2: دار الكتب العلمية.

مرة، في هذا الحلف الشهير<sup>(1)</sup>. وكانت هناك مصاهرات<sup>(2)</sup> عديدة قد جرت بين قوم السيِّدة خديجة وبنو هاشم قبل أن يتزوجها النبي الأكرم عليه السلام، وبقيت العلاقة الطيبة سائدة بين بني هاشم وبنو أسد إلى أن سعى بخرابها مراراً وتكراراً عبد الله بن الزبير، وكان الأمر كما روي عن أمير المؤمنين والإمامين الباقر والصادق عليهما السلام<sup>(3)</sup>.

### نشأة السيِّدة خديجة عليها السلام

ولدت السيِّدة خديجة بنت خويلد عليها السلام وسط أسرة عريقة النسب كانت تتمتع بالذكر الطيب والخلق الكريم، ونشأت في ذلك البيت الطيب يرعاها والدها خويلد وأمها الفاضلة فاطمة، فتربّت السيِّدة خديجة عليها السلام على أكمل السير المحمودة وأحسن الأخلاق، وجمّعت خصال الخير دون نساء قومها، وكانت تمتاز من صغر سنّها بالنضج الفكريّ والرشد العقليّ المبكر، وقد وهب الله لها أوفر نصيب من الحسن والجمال، وقد عرفت عليها السلام بكثرة السجايا والفضائل والصفات الانسانية الرفيعة التي تؤكّد جلالة قدرها. وممّا يؤكّد مكانتها المرموقة التي كانت تحظى بها في المجتمع العربيّ الذي كان يعيش عصر الجاهلية أن أهل مكّة أطلقوا عليها لقباً يناسب تلك المكانة السامية، فنعتوها «سيِّدة نساء قريش»<sup>(4)</sup>، وهذا ما جعل كلّ واحدٍ من رجال قومها حريصاً على الاقتران بها لو كان ذلك مقدوراً عليه<sup>(5)</sup>.

(1) حلف الفضول، هو الحلف الذي تعاقدت وتحالفت عليه قبائل من قريش اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزى، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتحالفوا على أن لا يجدوا همكة مظلوماً من أهلها، ومن غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه، حتى يردوا عليه مظلمته، فسُمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب.

(2) مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري، نسب قريش، ج1، ص312، طبعة:3، دار المعارف، القاهرة.

(3): «ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله»، يراجع الأصول الستة عشر، ص151، طبعة:1، دار الحديث الثقافية، قم، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج2، ص167، طبعة: مكتبة المرعشي النجفي، قم.

(4) نقل لنا هذا اللقب العباس بن عبد المطلب عم النبي الأكرم عليه السلام، فراجع عند سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج22، ص452، حديث رقم: 1103، طبعة:2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

(5) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج1، ص82، طبعة:1، دار الفكر، بيروت، وعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، ج1، ص189، طبعة:2، مصطفى الباوي الحلبي، مصر، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص131، طبعة: دار صادر، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص521، وأحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص66، طبعة:1، دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث، وغيرهم الكثير من المؤرخون.

وقد تزاحم وجهاء قريش وأعيانها على خطبة خديجة بنت خويلد عليها السلام والتقرب إليها، «وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال»<sup>(1)</sup>. لقد رغبوا فيها لخلقها وشرفها وحسبها ونسبها في قومها، فضلاً عن يسارها وراثتها من تجاراتها الرابحة، لكنها قد ردّتهم جميعاً لأنها كانت تقيس الأمور بمقاييس نفسها العالية...<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من أنّ السيّدة خديجة عليها السلام كانت عظيمة الشأن في مكة إلا أنّ التاريخ لم ينقل لنا إلا أقلّ القليل عن سيرتها وحياتها قبل الإسلام، ولكن هذا اليسير يدلّ على أنّها كانت أعقل وأكمل امرأة في قريش، وأنّها ذات بصيرة بين أبناء زمانها، فقد عرفت عليها السلام بحِدّة الذكاء والسّخاء، والحزم والعفاف، ولشُدّة عفافها وصيانتها، وشرفها وكمالها، ولطهارة سيرتها وسيرتها دعاها أهل مكة في الجاهلية «الطاهرة»<sup>(3)</sup>.

ومن تأمّل هذا اللقب ظهر له جلياً كيف كانت نشأتها سلام الله عليها، فإنّ المرأة التي تحمل هذا اللقب في مجتمع جاهلي... لهي امرأة بلغت من العفّة والنقاء مبلغاً رفيعاً يؤكد أنّها أهل لذلك الاصطفاء الربانيّ، والخيار الإلهيّ بأن تكون حليّة لسيد الأنبياء وخاتم المرسلين عليه السلام، وأنّ الله تعالى أكرمها بذلك، وأدّخرها لنبيّه عليه السلام، وقد شرفها الله بالولد منه، وجعل منها الذريّة الطاهرة المباركة. والأحاديث النبوية الواردة في حقّ السيّدة خديجة عليها السلام تُظهر لكلّ مسلم رفعة درجة أمّ المؤمنين الكبرى واصطفاءها على نساء العالمين، حيث قال النبيّ عليه السلام: «كَمَل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد»<sup>(4)</sup>.

(1) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص131، ذكر تزويج رسول الله عليه السلام خديجة بنت خويلد، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في صفة الصفوة، وابن سيد الناس اليعمري في عيون الأثر، وتقي الدين المقرئ في إمتاع الأسماع، وغيرهم.

(2) الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي القرشي المكي، المنتخب من كتاب أزواج النبي عليه السلام، ج1، ص32، طبعة:1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(3) أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج6، ص3200، طبعة:1، دار الوطن، الرياض، وابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج4، ص1817، ترجمة رقم:3311، طبعة:1، دار الجيل، بيروت، وابن عساکر في تاريخ دمشق، ج3، ص131، وابن كثير في السيرة النبوية، ج4، ص608، طبعة دار المعرفة، بيروت، ونقل ذلك غيرهم الكثير.

(4) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج3، ص159، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، وقال ابن كثير: رواه ابن مردويه في تفسيره وهذا اسناد صحيح إلى شعبة وبعده، قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسلًا، وأحسن الصّحة في كفالته وصدقته، فآسية ربت موسى وأحسن إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل، وخديجة رغبت في تزويج رسول الله عليه السلام بها وبذلت في ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز و جل.

## المفاهيم الأساسية

- السيِّدة خديجة ؑ أسدية قرشية، أبوها هو خويلد بن أسد وأمها هي فاطمة ابنة زائدة، ويجتمع نسبها لأبيها مع نسب رسول الله ﷺ في جدّها قصي، فنسبها أشرف الأنساب كمحمّد ﷺ.
- كانت والدة خديجة ؑ سيِّدة جليلة القدر مشهوداً لها بالفضل بين النساء، كما أنّها تنحدر من نسل لؤي بن غالب، أحد أجداد النبي ﷺ.
- عُرف والد السيِّدة خديجة ؑ بأنه يأبى الخسف، أي الذلّ، وقد كان شجاعاً كريماً، يعزى الفضل له في مواجهة آخر تُبّع، حيث أراد أن يأخذ معه الحجر الأسود إلى اليمن فواجهه هو وجماعة ومنعوه من ذلك. وكان موحداً على الحنيفية الإبراهيمية.
- كانت عشيرة السيِّدة خديجة ؑ أصحاب المشورة وكانوا ممن لبى نداء الهاشميين إلى حلف الفضول، وكان بينهم العديد من المصاهرات.
- نشأت السيِّدة خديجة ؑ في ذلك البيت الطيب يرعاها والدها خويلد وأمها الفاضلة فاطمة، فتربّت السيِّدة خديجة ؑ على أكمل السير المحمودة وأحسن الأخلاق، وجمعت خصال الخير دون نساء قومها.
- كانت السيِّدة خديجة ؑ تمتاز من صغر سنّها بالنضج الفكري والرشد العقليّ المبكر. وقد وهب الله لها أوفر نصيب من الحسن والجمال. وقد عرفت ؑ بسيدة نساء قريش والطاهرة، وفي ذلك دلالة واضحة على سموّ نفسها وترفعها عن كل أدران الجاهلية، وكانت مؤمنة موحدّة على الحنيفية الإبراهيمية.
- تزاحم وجهاء قريش وأعيانها على خطبة خديجة بنت خويلد ؑ والتقرب إليها، وبذلوا لها الأموال لكنّها رفضت الجميع وكانت بانتظار قدرها الذي رسمه الله تعالى لها ورضيته ؑ.



## الدرس السابع عشر:

# السيدة خديجة عليها السلام والنبي صلى الله عليه وسلم: بين التجارة والخطوبة

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يشرح حادثة مضاربة الرسول صلى الله عليه وسلم بمال خديجة عليها السلام.
- يذكر مقدمات الزواج المبارك وكيفية حصوله.
- يتعرف إلى قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم وخديجة عليها السلام.





## لمحة عن تجارتها عليها السلام

كانت السيِّدة خديجة عليها السلام امرأةً شريفةً ذات فراسةٍ قويةٍ، وهمةٍ عاليةٍ، لها نظر ثاقب، ومعرفةٌ دقيقةٌ بالعواقب، أغناها الله تعالى بسعة النعم، ومَن عليها ذو الجلال بكثرة الأموال، ولم تشارك قومها لهوهم وخيلائهم، وما عُرف عنها تبرُّج ولا اختلاط، فإنها كانت تُؤكل مَحَارِمَها من الرجال لشراء حاجاتها، وقد لزمت بيتها وآثرت إرسال أموالها في التجارة على الإِتجار بالنقود في مَكَّة كما كان يفعل المرابون.

ولَعَلَّ أباهَا نحلها رأس المال بادئ ذي بدءٍ، فإنه كان من ذوي الثراء في قريش، ولم يكن اشتغال السيِّدة خديجة عليها السلام بالتجارة شيئاً غريباً في قومها؛ فإنهم كادوا يكونون كلهم تجاراً، تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد وموقعه وإمكاناتهم.

تاجرت أمُّ المؤمنين خديجة عليها السلام بمالها من دون أن تحتكِّ بنفسها مع الرجال، وكان مَن حَبَرَهَا يعلم أنها توكل الرجال في التجارة بمالها مضاربةً<sup>(1)</sup>، فلذلك لم تصعب التجارة عليها، وهي التي كان لها الاستقلال في أموالها، ولم يكن لأحد سلطان على ذلك المال الذي كانت تبعث به إلى التجارة مع ذوي الأمانة، وكانت عليها السلام تشرف من بيتها على إدارة عجلة تجارتها بفكرها الوقَّاد ومعرفتها.

وقد ذكر جملة من المؤرخين أنها كانت كثيرة المال وافرة الثراء، لها تجارة واسعة ترسلها إلى أسواق العرب كسوق عكاظ بين مَكَّة والطائف، وسوق ذي المجاز عند عرفات، وغيرها في مكة واليمن والشام، «وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين يعني رحلة الشتاء

(1) المضاربة: وهي أن يدفع مالاً إلى غيره ليعمل فيه بحصة معينة من ربحه، يراجع الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي، اللمعة الدمشقية، كتاب المضاربة.

والصيف كانت طائفة من العير لخديجة عليها السلام»<sup>(1)</sup>. وفي بعض الأحيان كانت قافلتها منفردة تعدل قوافل قريش بأجمعها<sup>(2)</sup>.

### تجارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمال خديجة عليها السلام

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمساً وعشرين سنة، واشتهرت أمانته وصدق حديثه وظهرت بركته، عرضت عليه السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام مالا يخرج به مسافراً إلى الشام لغرض التجارة، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام<sup>(3)</sup>.

وروي أن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب هو الذي رغبه بالخروج في تجارة خديجة عليها السلام إلى الشام، وقال له: «يا محمد إني أريد أن أزوجه، ولا مال لي أساعدك به». وعندما أخبر أبو طالب خديجة بقبول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فرحت، وقالت لغلماها ميسرة: «أنت وهذا المال كله بحكم محمد»<sup>(4)</sup>.

هذا وقد جاء في خبر أن أبا طالب هو من حث النبي على المضاربة بمال خديجة بدايةً، فقال: «يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا وألحّت علينا سنون منكرة، وليست لنا مادة ولا تجارة»<sup>(5)</sup>، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرانها، فيتجرون لها في مالها، فيصيرون منافع فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها من طهارتك، وإني كنت أكره أن تأتي الشام، وأخاف عليك من اليهود، ولكن لا نجد من ذلك

(1) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص468، المجلس السادس عشر.

(2) أبو نعيم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص177-178، حديث 227، طبعة:1، دار طيبة، الرياض، من حديث نفيسة بنت أمية.

(3) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، سيرة بن إسحاق، كتاب السير والمغازي، ج1، ص81، طبعة:1، دار الفكر.

(4) أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن هبة الله بن الحسن المشهور بقطب الدين الرواندي، الخرائج والجرائح، ج1، ص139-140، طبعة:1، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

(5) روي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «أبي ساد فقيراً، وما ساد فقير قبله»، يراجع تاريخ يعقوبي لأحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح يعقوبي، ج2، ص14، طبعة: دار صادر، بيروت.

بدأ.....» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلعلها أن ترسل إليّ في ذلك....».

وبلغ خديجة ما كان من محاوره عمه له، وقبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه، فقالت: «ما دريت أنه يريد هذا»، ثم أرسلت إليه، فقالت: «أنه قد دعاني إلى البعثة إليك ما قد بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك»، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقي أبا طالب، فقال له ذلك، فقال «إن هذا لرزق ساقه الله إليك...»<sup>(1)</sup>.

ويمكننا الجمع بين الرويتين أن الحادثة الثانية، وهي حثّ أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم كان في البداية ثم وبعد أن وصل الخبر إلى خديجة عليها السلام بادرت وطلبت منه صلوات الله عليه أن يضارب بمالها لما قد علمته من فضائله وصدقه ورغبته في ذلك، فلعلها لم تعرض لتجاره بمالها قبلاً ظناً منها أنه صلى الله عليه وسلم لا رغبة له في ذلك ولا باع، فهو لم يعرف بالتجارة سابقاً، وكانت تلك المضاربة أول خطوة له في التجارة.

### خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للسفر إلى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة عليها السلام، وجعل عمومته يوصون به أهل العير، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة والغمامة تعلق رأسه الشريف تظله، وفي ذلك يروي الإمام الحسن الزكي العسكري عن أبيه الإمام الهادي عليه السلام قال: «يا بني أما الغمامة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد، وكان من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، فكانوا في حمارة القيط يصيبهم حرّ تلك البوادي، وربما عصفت عليهم فيها الرياح، وسفت عليهم الرمال والتراب، وكان الله تعالى في تلك الأحوال يبعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم غمامة تظله فوق رأسه، تقف

(1) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص177-178، حديث 227، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص129-130، وابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق، ج3، ص15، وأبو الفتح اليعمرى محمد بن سيد الناس، عيون الأثر، ج1، ص62، طبعة:1، دار القلم، بيروت، وقال: وقد رويناه أيضاً من طريق أبي علي بن السكن - الحافظ سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن صاحب الصحيح - وحديث أحدهما داخل في حديث الآخر مع تقارب اللفظ، وربما زاد أحدهما الشيء اليسير على الآخر، وكلاهما ينمى إلى نفيسة.

بوقوفه، وتزول بزواله، إن تقدّم تقدّمت، وإن تأخّر تأخّرت، وإن تيامن تيامنت، وإن تياسر تياسرت، فكانت تكفّ عنه حرّ الشمس من فوقه، وكانت تلك الرياح المثيرة لتلك الرمال والتراب تسفيها في وجوه قريش ورواحلها، حتّى إذا دنت من محمد ﷺ هدأت وسكنت، ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب، وهبت عليه ريح باردة لينة، حتّى كانت قوافل قريش يقول قائلها: جوار محمد أفضل من خيمة، فكانوا يلوذون به، ويتقرّبون إليه، فكان الروح يصيبهم بقربه، وإن كانت الغمامة مقصورة عليه..»<sup>(1)</sup>.

ويذكر لنا جملة من أصحاب السير رواية مفادها أنّ النبي ﷺ وميسرة قدما بصرى من الشام، فنزلا في ظلّ شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلّا نبيّ، ثمّ قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه، قال: هو نبيّ وهو آخر الأنبياء. ثمّ باع النبيّ محمد ﷺ سلعته فوقع بينه وبين رجل خلاف، فقال له الرجل: احلف باللات والعزّى، فقال رسول الله ﷺ: «ما حلفت بهما قطّ، وإنّي لأمرّ فأعرض عنهما»، فقال الرجل: القول قولك.

ثمّ قال لميسرة: هذا والله نبيّ تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم- ذلك أنّه عليه الصلاة والسلام كان منعوتاً وموصوفاً بأجمل وأكرم النعوت وأطيب الصفات-. وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس، فوعى ذلك كله ميسرة، وكان الله قد ألقى عليه ﷺ المحبة من ميسرة، فكان كأنه عبد له وذلك لما رآه ميسرة من صبح وجهه، ومرضيّ أخلاقه ﷺ.

ثمّ إنهم باعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، فلما أن فرغوا من تجارتهم، وانتهوا منها، أزمعوا العودة، فقفلوا راجعين إلى مكّة، فلما كانوا بمجرّ الظهران<sup>(2)</sup>، قال ميسرة: يا محمّد، انطلق إلى خديجة فأخبرها بما صنع الله على وجهك، فإنّها تعرف لك ذلك.

وتقدّم رسول الله ﷺ حتّى دخل مكّة في ساعة الظهرية، وكانت خديجة وقتئذٍ في علية لها، فرأته وهو على بعيره، ونظرت بعينيها ملكين يظلان عليه، فأرته نساءها، فجعبن

(1) الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تفسير الإمام العسكري، ص155، طبعة:1، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

(2) هو وادٍ بين مكة وعسفان.

لذلك، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صحن الدار وحدث خديجة عليها السلام بما كان من أمر الرحل، وأخبرها بما ربخوا من تلك الرحلة، فسرت بذلك سروراً عظيماً. ثم إن غلامها ميسرة دخل عليها وأخبرها بما رأى من حسن أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم، وحلمه واتزانه، وأخبرته هي الأخرى بما رأت، فقال ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام. ثم أخبرها ميسرة بما قال الراهب نسطور، كذلك أخبرها بما قاله الرجل الآخر الذي خالفه في البيع، وقد أبدت إعجابها بذلك، فأضعفت له ما وعدته به من الربح<sup>(1)</sup>.

### محمد صلى الله عليه وسلم وخديجة عليها السلام

نشأ النبى صلى الله عليه وسلم ورعاً فاضلاً رشيداً بعيداً كل البعد عما كان عليه عامة أهل مكة. وكانت تبدو عليه آثار التفكير والتأمل، وقد أحيط صلى الله عليه وسلم برعاية إلهية خاصة، رسمت حياته وفق قدر رباني متناسب مع ما ينتظره من عظم المسؤولية، وما يمكنه من حمل أعباء الرسالة. وقد تأخر في الزواج لأسباب عدة فبالإضافة إلى أنه لم يكن بذى اليد المبسوطة للزواج، فقد كان يبحث عن امرأة تختلف عن الأخريات، وتحمل صفات خاصة ترتقي إلى عظمة نفسه، وتلائم مستواه الروحي والفكري، فبالنسبة له ما هي الفائدة من امرأة تتقرب إلى الأصنام التي كان يبغضها من مولده، أو تؤمن بما تؤمن به غالبية المجتمع المكي؟ لقد كان صلى الله عليه وسلم يبحث عن امرأة تسانده في ما ألهمه الله من أفكار، لذلك إذا كان لا بد من الزواج، فيجب أن تكون تلك المرأة المختارة لهذا الارتباط المقدس، ولم يكن في دنيا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم من امرأة تصلح لهذه المهمة غير صاحبة الملكات الفاضلة خديجة بنت خويلد، ولكن هل إلى الزواج بخديجة من سبيل؟!

كانت أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام امرأة سادت نساء أهل زمانها، وفاقتهن رجاحة عقل، وجمال خلقة، وكرم أصل ونسب، ووفرة مال. وكانت مع كل ما آتاها الله من فضله سيّدة ثاقبة البصيرة، خبيرة بأغوار الرجال، تعرف طبائعهم فلا يخفى عليها

(1) محمد بن سعد، الطيقات الكبرى، ج1، ص131-132، وابن عساکر، تاريخ دمشق، ج3، ص15، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج1، ص63، وابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص314، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت، وغيرهم الكثير.

معدنٌ نفيس، ولم يكن الأمين محمد ﷺ مجهولاً لدى جمهور العرب، بل كانت خلائقه الزاكية موضع إجماع وحبٍّ، ولكن ما تتحلَّى به خديجة من حياءٍ وخجلٍ منعها بداية من التصريح أو حتَّى التلميح له برغبتها بالارتباط به ﷺ عندما أرادت أن يكون الصادق الأمين ﷺ زوجاً لها، ولكن ماذا تفعل؟ أتتقدّم هي بهذا الطلب، أم ترسل له من تتحسّس الأمر وتتعرّف برغبته؟

### مقدّمات الزواج المبارك

أوحى السيِّدة خديجة ﷺ إلى امرأةٍ مقربةٍ لها لتقوم بمهمّة الاطلاع على أوضاع النبيّ محمد ﷺ واستعلام حاله حيال الزواج، وحثّه على الارتباط بخديجة ﷺ. فالسيِّدة أم المؤمنين خديجة ﷺ كانت ذات أصلٍ راقٍ، ونسبٍ شريفٍ، ترسّخت في فكرها قاعدة هامة، وهي أنّ الحرّة تُطلَب ولا تُطلَب؛ ولذلك ساعدتها في تحقيق ما كانت تتمنّاه صديقتها نفيسة بنت منية<sup>(1)</sup>. وقد وصفت السيِّدة خديجة ﷺ، فقالت: «كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ امرأةً حازمةً، جلدة، شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذٍ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكلُّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً<sup>(2)</sup> إلى محمد بعد أن رجع في غيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تزوّج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوِّج به.

قلت: فإن كُفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: عليّ، قال: فأنا أفعل<sup>(3)</sup>.

فذهبت نفيسة تزفّ الخبر إلى خديجة ﷺ، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا،

(1) أخت يعلى بن منية التميمي حليف بني نوفل بن عبد مناف، وأسلمت نفيسة عام الفتح، فذكرت رسول الله ﷺ ما كان منها، فبرها وأكرمها، يراجع أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، ج1، ص98، طبعة:1، دار الفكر، بيروت.

(2) دسيساً: أي خفية.

(3) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص603، طبعة:1، دار الجيل، بيروت، وأبو الفرج بن الجوزي، في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج2، ص315، طبعة: دار صادر، بيروت.

وأرسلت عليها السلام إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها..<sup>(1)</sup> وأقبل القوم من بني هاشم، وفيهم كريم فتیانهم، محمد بن عبد الله، فزوج عمرو بن أسد خديجة النبي صلى الله عليه وسلم.<sup>(2)</sup>

نعم بعثت خديجة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: «يا بن عمّ إنّي قد رغبت فيك لقربتك، وسِطَتِكَ<sup>(3)</sup> في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها»<sup>(4)</sup>، فقد وجدت أنه رجل لا نظير له، فطلبت له لنفسها وأرسلت إليه من يشجعه على خطبتها من عمها.

### الخطبة الميمونة

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته<sup>(5)</sup>، إلى دار خديجة عليها السلام، وكان عمه أبو طالب قد أقبل في أهل بيته ومعه نفر من قريش - ورؤساء منطقة مضر-، فابتدأ أبو طالب صلى الله عليه وسلم بالكلام، فقال: «الحمد لربّ هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل

(1) محمد بن سعد، الطيقات الكبرى، ج1، ص131-132، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ج3، ص15، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج1، ص63، وذكر ابن إسحاق كل ما تقدم، وهو عين كلام نفيسة بنت منية دون أن ينسب إليها، ودون أن يذكر إرسال خديجة نفيسة بنت منية إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: «يا بن عمّ إنّي قد رغبت فيك لقربتك، وسطتك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، بينما روى الواقدي كلام نفيسة بثلاثة إسانيد كما مر معنا عند ذكر تجارة النبي صلى الله عليه وسلم بمال خديجة عليها السلام، والحق أن ما ذكره ابن إسحاق يتطابق تماماً مع كلام نفيسة بنت منية، ولكن إسناد أصحاب التراجم والسير إليه يبلغ برجال غير رجال أسانيد الرواية المتصلة بأمر سعد بنت سعد بن الربيع عن نفيسة بنت منية.

(2) وكذلك عن محمد بن جبير بن مطعم، وعروة عن أبيه عن عائشة، وعن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، يراجع محمد بن سعد، الطيقات الكبرى، ج1، ص132-133، وابن الأثير، أسد الغابة، ج7، ص80، والحافظ أبو عمر يوسف ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج4، ص1818، طبعة:1، دار الجيل، بيروت.

(3) أي شرفك وسامي منزلتك.

(4) محمد بن إسحاق المطلبي، سيرة ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، ج1، ص82، طبعة:1، دار الفكر، بيروت، وعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، ج1، ص188، طبعة:2، مصطفى الباوي الحلبي، مصر، وأبو بشر محمد بن أحمد الدولابي، الذرية الطاهرة، ج1، ص26، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص521، طبعة:1، دار الكتب العلمية، وأحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص66، طبعة:1، دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، ج2، ص153، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج7، ص80، طبعة:1، دار الكتب العلمية، وابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص358، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، وغيرهم الكثير من أصحاب السير.

(5) محمد بن سعد، الطيقات الكبرى، ج1، ص131-132، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج1، ص64، والسهيلي، الروض الأنف، ج2، ص154، وابن كثير، السيرة النبوية، ج1، ص267.



وأنزَلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحَكَّام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الَّذي نحن فيه. ثم إنَّ ابن أخي هذا - مُحَمَّد بن عبد الله - ممَّن لا يوزن برجل من قريش إلَّا رجع به، ولا يقاس به رجل إلَّا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلِّاً في المال، فإنَّ المال رُفد جار وظلَّ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جنناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الَّذي سألتموه عاجله وآجله، وله وربُّ هذا البيت حظُّ عظيم، ودين شائع، ورأي كامل»، ثمَّ سكت أبو طالب<sup>(1)</sup>.

وتكلم عمَّها وتلجلج<sup>(2)</sup>، وقصَّر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر<sup>(3)</sup>، وكان رجلاً من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة: «يا عمَّاه إنَّك وإن كنت أولى بنفسي ممِّي في الشهود، فلست أولى بي من نفسي، قد زوّجتك يا محمد نفسي، والمهر عليّ في مالي، فأمر عمَّك فلينحر ناقة فليولم بها، وادخل على أهلك».

قال أبو طالب: «أشهدوا عليها بقبولها محمداً، وضمانها المهر في مالها»، فقال بعض قريش: يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضباً شديداً، وقام على قدميه وكان ممَّن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: «إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الاثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلَّا بالمهر الغالي»<sup>(4)</sup>.

(1) ثقة الإسلام الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص374-375، باب خطب النكاح، طبعة: 4، الدار الإسلامية، طهران، رواها بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام والشيخ الصدوق محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص397-398، طبعة: 2، جماعة المدرسين، قم، ورواها باختلاف ألفاظ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج4، ص4، طبعة: 3، دار الفكر العربي، القاهرة، وأبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني، المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي، ج1، ص638، طبعة: 1، دار الكتب العلمية، وقد رواها بسنده إلى الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد عن عبد الله ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط عن أمّه فاطمة بنت الحسين عن عمّتها السيدة زينب عليها السلام عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ورواها أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الأوائل، ج1، ص13، طبعة: 1، دار البشير، طنطا، مصر، بسنده عن آل أبي رافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو الحسن الواسطي علي بن محمد بن محمد ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ج1، ص399، طبعة: 1، دار الآثار، صنعاء، ومحَب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، ص28، طبعة: دار الحديث، القاهرة، وغيرهم الكثير من العلماء.

(2) التلجلج: التردد في الكلام.

(3) البهر - بالضم -: النَّفْس من الاعياء.

(4) ثقة الإسلام الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص374-375، بإسناده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

نعم وجدتْ خديجة عليها السلام وهي مُحبَّة الفضائلِ أعظمَ مَنْ تتجلى الفضائلُ والمحامدُ فيه، من الصدق والأمانة والشجاعة والعفة والنباهة والحكمة ومحاسن الخلق وغيرها من المحامد والفضائل التي يكلِّ القلم واللسان عن ذكر بعضٍ منها! فأَيُّ شيءٍ يُطلب بعد هذا؟!

### وليمة العرس

خطب أبو طالب الخطبة السالفة المعروفة، وعقد النكاح، فلَمَّا قام رسول الله ﷺ ليذهب مع أبي طالب قالت خديجة عليها السلام: «إلى بيتك، فبيتي بيتك وأنا جاريتك»<sup>(1)</sup>، «اذهب فانحر جزوراً أو جزورين وأطعم الناس»، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، وهي أول وليمة أولمها رسول الله ﷺ<sup>(2)</sup>.

وقال مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «ونحر أبو طالب ناقه، ودخل رسول الله ﷺ بأهله، وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم: هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد

تزوَّجته خير البرية كلَّها

ومن ذا الذي في الناس مثل محمد

وبشَّر به البران عيسى بن مريم

وموسى بن عمران فيا قرب موعد

أقرَّت به الكتاب قدماً بأنه

رسول من البطحاء هادٍ ومهتد<sup>(3)</sup>

(1) سعيد بن عبد الله المشهور بقطب الدين الرواندي، الخرائج والجرائح، ج1، ص140-41.

(2) محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، ص31، طبعة: دار الحديث، القاهرة، وحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى، تاريخ الخميس، ج1، ص265، طبعة: دار صادر، بيروت.

(3) ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج5، ص376.

### مهر سيدة النساء خديجة عليها السلام

ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً إذ ذاك، ولكنه لم يكن أيضاً معدماً، فهو من آل عبد المطلب العامرة بيوتهم بقرى الضيفان وإغاثة اللهفان، ففي هذا السبيل تذهب أموالهم، ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب. فمع قلة ماله في ذلك الحين أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشاً، لأن إعطاء الرجل للمرأة صداقاً سنة عربية، لم يكن ليحسن تركها. وقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان صداق النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والنش نصف الأوقية، والأوقية أربعون درهماً، فذلك خمسمائة درهم»<sup>(1)</sup>.

(1) ثقة الإسلام الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص376، باب السنة في المهور.

## المفاهيم الأساسية

- كانت السيدة خديجة عليها السلام امرأة شريفة ذات فراسة قوية ونظر ثاقب، وقد لزمت بيتها وآثرت إرسال أموالها في التجارة على الإتجار بالنقود في مكة كما كان يفعل المرابون، وكانت تشرف من بيتها على إدارة عجلة تجارتها بفكرها الوقاد ومعرفتها وترسل غيرها في قافلة قريش في رحلة الشتاء والصيف.
- لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، واشتهرت أمانته وصدق حديثه وظهرت بركته، عرضت خديجة عليها السلام عليه المضاربة في مالها فوافق، وذهب معه ميسرة أحد غلمان خديجة.
- حصل العديد من الحوادث في سفر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشام، والتي دللت على شأنه العظيم، ثم عادا بريح وفير أضعاف ما كان يربحه غيره.
- عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة وحدث خديجة عليها السلام بما كان من أمر الرحلة، وأخبرها بما ربحوا وأطلعها ميسرة على ما رأى من حسن أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم، وما حدث معهم وقد أبدت إعجابها بذلك.
- لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بقادر على طلب خديجة للزواج.
- رغبت خديجة عليها السلام بالزواج من محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الفضائل، فأرسلت صديقتها تستعلم حاله وتحته على طلبها، ففعلت، وأبدى صلى الله عليه وسلم رغبته في ذلك ثم أرسل عمه وعشيرته لطلب الزواج منها.
- دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته إلى دار خديجة عليها السلام، فخطب أبو طالب عليه السلام خطبته الشهيرة طالباً يد خديجة لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولما تلعثم عمها عمرو عن الإجابة أجابت هي نفسها، وأبدت موافقتها على الزواج.
- أولم الرسول صلى الله عليه وسلم في عرسه، فنحر الجزور من مال خديجة ونحر أبو طالب ناقة لذلك أيضاً.
- أمهر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والنش نصف الأوقية، والأوقية أربعون درهماً، فذلك خمسمائة درهم.



## الدرس الثامن عشر:

# شبهات وردود حول زواج النبي ﷺ والسيدة خديجة ؓ

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى بعض الشبهات التي تُثار حول زواج النبي ﷺ والسيدة خديجة ؓ.
- يبيّن الردود على الإشكالات حول الزواج المبارك ومرتبطاته.
- يشرح الرأي الصحيح في بعض المسائل حول الزواج المبارك.



## شبهات حول الزواج المبارك

### 1. حول سبب الزواج:

إنَّ ما يروى من أنَّ التجارة هي السبب الرئيس في زواج السيِّدة خديجة بالنبي ﷺ، أو إنَّ الحاجة هي التي دفعتها لتتزوَّج به من أجل الحفاظ على أموالها وتنميتها، هو غير دقيق لأنَّ الأمر لو كان كذلك فليس من الصعوبة أن تجد السيِّدة خديجة ﷺ مثل هذا الرجل، وقد كان كلُّ واحد من رجال قومها حريصاً على الاقتران بها لو كان ذلك مقدوراً عليه<sup>(1)</sup>، «وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال»<sup>(2)</sup>، ولكنها وجدت في الهاشميِّ محمد ﷺ كمال خُلُق وكَمال خُلُق، جمال شخص وجمال نفس، حنكة لم يظفر بمثلها أقرانه من الشُّبَّان، ووقاراً لم يحظ بأقله الكبار، وهممة لا تقف أمامها الصعاب، فكانت أخلاقه الحسنة وسيرته العطرة بالإضافة إلى البركات الحافة به والتي تنذر بعظم شأنه هي السبب الحقيقي خلف رغبة خديجة ﷺ الاقتران به ﷺ.

### 2. دعوى زواجها السابق:

موضوع زواج السيِّدة خديجة الكبرى ﷺ من آخرين قبل أن يتزوَّجها رسول الله ﷺ حديث لا يمكننا بحال أن نسلِّم بصحَّته، بل نشكُّ في هذا الموضوع من أصله،

(1) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج1، ص82، طبعة:1، دار الفكر، بيروت، وعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، ج1، ص189، طبعة:2، مصطفى الباوي الحلبي، مصر، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص131، طبعة: دار صادر، ومحمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص521، وأحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص66، طبعة:1، دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث، وغيرهم الكثير من المؤرخون.

(2) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص131، ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في صفة الصفوة، وابن سيد الناس اليعمري في عيون الأثر، وتقي الدين المقرئ في إمتاع الأسماع، وغيرهم.



وذلك لإشكالاتٍ عدّة لا بُدَّ من أن نأخذها بعين الاعتبار.

فمن حديث المبدأ أنه لا يوجد إجماع بين المؤرخين الذين تناولوا سيرتها العطرة بالبحث على صحة هذا القول، فالاختلاف كبير جداً بين من يدعي زواجها القديم وبين من يؤكد من المسلمين أنها كانت بكرًا عندما دخل عليها المصطفى ﷺ.

وهو ليس اختلاف في أقوال يمكن الجمع بينها والخروج برأي تحليلي يرضي الأطراف المختلفة، كما لا يمكن القيام بعملية توفيق وتوجيه لتلك الآراء المختلفة، فهي إما أن تكون متزوجة فتكون ثيباً، وإما أن تكون غير متزوجة فتكون بكرًا، ونحن سنبين بشكل مختصر أنها كانت بكرًا وزواجها الأول والأخير كان من النبي ﷺ<sup>(1)</sup>.

القسم الأكبر من المؤلفين والكتاب وتقليدًا لمن سبقهم يقولون أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غير عائشة، ويأخذون ذلك كمسألة تاريخية، وأما السيّد خديجة عايشة، فيقولون: إنها قد تزوجت قبل النبي ﷺ برجلين، ولها منهما بعض الأولاد، الأول عتيق بن عائذ المخزومي<sup>(2)</sup>، وقيل اسمه عتيق بن عابد<sup>(3)</sup>، وقيل عتيق بن عبد الله<sup>(4)</sup>، والثاني اختلف في اسمه كذلك<sup>(5)</sup>، فقيل أبو هالة، وقيل النباش وقيل مالك وقيل زرارة، وقيل هند التميمي حليف بني عبد الدار، وكما اختلف في أسمائهم اختلف أيضاً حول من كان منهم زوجها الأول، فتارة يجعلون التميمي أولاً، وأخرى يقدمون المخزومي والعكس صحيح (خطب عشواء)<sup>(6)</sup>.

(1) ومن أراد الاستفاضة في الاطلاع، فليراجع ما سطره العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج2، ص122. والمحقق السيد نبيل الحسني في كتابه المفيد خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة ج1، ص88-96.

(2) صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص181، طبعة: دار إحياء التراث.

(3) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج1، ص73.

(4) أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج6، ص3200.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص194.

(6) ففي السمط الثمين قال ابن شهاب تزوّجت خديجة قبل النبي ﷺ رجلين الأوّل منهما عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فولدت له جارية اسمها هند فأسلمت وتزوّجت، وروى عن ابن شهاب أنه قال: تزوّجها أولاً أبو هالة ثم بعده عتيق ذكره الدولابي، وأبو عمرو، وصحح أبو عمرو قول ابن شهاب الثاني، ولم يذكر ابن قتيبة غير الأوّل، يراجع تاريخ الخميس في أحوال أنفُس النفيس، لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرّي، ج1، ص263.

ومع هذا التخبط بدايةً، كيف يمكن البتّ في هكذا روايات، ثم ما المانع من أن تتمنع السيدة خديجة ؓ عن الزواج وإن تقدم بها العمر عن مثيلاتها لأنها لم تجد من يستأهل الارتباط بها!! وهي ذات الحسب والنسب والشرف والعلو، وكل قومها حريص على الإقتران بها لو قدروا، وبذلوا دون ذلك الأموال، وما ذلك إلا للطعن فيها سلام الله عليها والانتقاص من حقّها! هذا مع أنّ النظر التحليلي في الأدلة الروائية يفيد كذلك بأنّها سلام الله عليها كانت غير متزوجة قبل الرسول ﷺ، والتفصيل يطلب في محله<sup>(1)</sup>.

### 3. افتراء تسكير خديجة لأبيها:

روى بعض المحدثين رواية مفادها أنّ والد خديجة ؓ امتنع من تزويجها من رسول الله ﷺ، وأنها ؓ سقت أباها الخمر حتى ثمل، وأنهم ألبسوه المزعر، فلما صحا من سكره أخبروه، فأنكر عليهم ذلك، فما زالت به السيدة خديجة ؓ حتى رضي. ولكن الأخبار تحدثنا أنّ عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ﷺ، «وأن أباها مات قبل الفجار<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup>، فأبوها كان قد مات قبل ذلك.

وبالعودة لمضمون الرواية نجده يتناقض تماماً وأخلاق الرسول الكريم ﷺ وأخلاق أم

(1) تاريخ خاتم الأنبياء، الشيخ كاظم ياسين، ص 166-167.

(2) الفجار: قيل: أيام الفجار: أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ، فاستحلوا الحرمات. وقيل: الفجار يوم من أيام العرب، وهي أربعة أفجرة كانت بين قريش، ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان في الجاهلية، وكانت الذبيرة على قيس، وإنما سمت قريش هذه الحرب فجاراً؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا، فسميت فجاراً، وادعى بعض أصحاب السير أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيامه، وجاءوا برواية مرسله عنه بلا سند أوردوه، ونحن نشك إلى حد بعيد في مشاركته في هذه الحرب لكثرة اختلاف النصوص حول الدور الذي قام به النبي ﷺ في هذه الحرب. فبعضهم يروي أن عمله قد اقتصر على منواله أعمامه النبل ورد نبل عدوهم عليهم، وحفظ أمتعتهم. والبعض الآخر يروي أنه أطلق فيها بعض السهام باتجاه الطرف الآخر، وكان يتمنى فيما بعد أنه لم يكن قد رماها، وثالث يروي أنه طعن أبا البراء فأرداه عن فرس، وإن هذا الاختلاف في الروايات والأحداث يدعوننا إلى الشك فيها فضلاً عن أنه لا يوجد لها أي طريق مُسند، وذكر اليعقوبي في تاريخه، ج2، ص16: أن أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بني هاشم وقال: هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام، ولا أحضره ولا أحد من أهلي. ونحن لا نرى أي مبرر في أن ينتهك أبو طالب ومعه النبي الأكرم ﷺ حرمة هذه الأشهر، وخصوصاً أنهما كانا متقديين تماماً مثل هذه الأمور قبل البعثة، ولا أدل على ذلك من موافقتهما للزبير بن عبد المطلب بإنشاء حلف الفضول، وحضور النبي ﷺ لذلك الحلف وثنائه عليه.

(3) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والرسول والملوك، ج1، ص522، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص133، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، ج2، ص155، وقد تبني قول الواقدي هذا جُل المؤرخين والمحققين من أصحاب السير.

المؤمنين خديجة عليها السلام قبل البعثة، ولا نراه إلا كذباً موضوعاً أوّله يناقض آخره. فعلى فرض أنّ أباهما كان على قيد الحياة، ولم يمت قبل الفجار، فإنّ مثل النبي صلى الله عليه وآله بما حباه الله من مميّزات هو ممّن تسعى إلى مصاهرته أعناق الأشراف، فهذا أبو سفيان بن حرب، وهو من هو في عداوته للنبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، لما بلغه أنّ النبي تزوّج ابنته رملة أم حبيبة، وكان في حالة حرب مع نبيّ الإسلام لم يمنعه ذلك أن قال مصرحاً بفضل الرسول الهاشمي صلى الله عليه وآله: «هذا الفحل لا يقدر أنفه»<sup>(1)</sup>.

والطامة الكبرى إذا أخذنا بتلك الرواية، فيلزم حينها أن نرمي السيّدة خديجة بإعمال الحيلة بغية الزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث صنعت طعاماً وشراباً لأبيها، وأثملته كي تتوصّل بذلك إلى رضا أبيها بالزواج، والسيّدة خديجة عليها السلام من أعفّ النساء وخير نساء الأرض قبل البعثة وبعدها، وأمرها كما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»<sup>(2)</sup>.

فالسيّدة خديجة عليها السلام أجلّ من أن تتوصل إلى مطلوبها بهذه الحيلة الشيطانية. ثم إنّ احتمال أن يعقد رجل من أشراف العرب عقد زواج وهو سكران يستنكره العرف والعقل، ولا يمكن أن يقدم عليه أبو طالب، وهو رجل كبير ومسّن، ووكيل للنبي صلى الله عليه وآله في الزواج، والمعلوم أنّ الكثير من أصحاب السير ذكروا أنّ أبا طالب ولفيفاً من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسادات مضر<sup>(3)</sup> حضروا المجلس، وتقدم أبو طالب بإيراد خطبته... ومن ثمّ تمّت تسمية المهر، وأجري عقد النكاح، وهذه الأمور تعرب عن أنّ المجلس كان مجلس عقل ووعي وفلاح، وأنّ التزويج كان على ملاك الشرف والفضل، وعن رغبة ورضى. وأين هذا مما جاء في الرواية من أنّ خديجة عليها السلام تُقدّم كوّس الشراب إلى أبيها.. إلى آخر ما جاء في تلك الرواية الساقطة جملةً وتفصيلاً!

(1) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج6، ص116، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج8، ص142، ترجمة رقم 11191.

(2) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ج4، ص1886، حديث 6424، باب فضائل خديجة أم المؤمنين عليها السلام.

(3) أبو هلال العسكري، الأوائل، ج1، ص13، والمعافى بن زكريا بن يحيى الجري، المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ج1، ص638، ومحّب الدين الطبري، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، ص28، وغيرهم الكثير.

## عمر خديجة عند زواجها من النبي ﷺ

### 1- في الروايات المسندة:

المشهور في كتب السيرة أن عمرها ﷺ لما تزوجها رسول الله ﷺ كان أربعين سنة، وأنها لما توفيت كانت بنت خمس وستين. وهذا المشهور في الحقيقة معتمد على رواية واحدة فقط<sup>(1)</sup> جاء فيها: سمعت حكيم بن حزام يقول: تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهي ابنة أربعين سنة...<sup>(2)</sup>. على هذه الرواية بُني القول المشهور<sup>(3)</sup>. ولكن هذا المشهور غير مُسلم به. وقد رُوِيَ عن ابن عباس وغيره خلاف هذا المشهور، فعن ابن عباس قال: «كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله ﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة...»<sup>(4)</sup>.  
وأما بقية الأقوال في هذا الشأن، فلم ترد فيها رواية مسندة إلى أحد من المحدثين الأوائل الذين عايشوا تلك الحقبة الزمنية، ولذلك نكتفي بهاتين الروايتين المسندتين.

### 2 - في أقوال بعض الحفاظ والمؤرخين:

رُوِيَ عن الحاكم النيسابوري أنه قال: «... وكان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة...»<sup>(5)</sup>، وقال ابن العماد: «وكثيرون هم من رجحوا هذا القول»<sup>(6)</sup>، منهم حفاظ

(1) أي حبيبة مولى الزبير: ترجم له كلاً من البخاري، وابن أبي حاتم الرازي بسطر واحد، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، يراجع التاريخ الكبير للبخاري، ج9، ص24، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ج9، ص359، طبعة:1، دار احياء التراث العربي، بيروت، وحديث أبي حبيبة مولى الزبير في أهل المدينة فقط، ولم يذكر له اسماً غير كنيته، يراجع تعجيل المنفعة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ج2، ص432، وعليه يعتبر الرجل في عرف أهل الجرح والتعديل مجهولاً. وقد روي عن حكيم بن حزام ذكر مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة، وخولف في ذلك كما ذكر ابن الأثير وغيره، يراجع أسد الغابة، ج2، ص58، ومن تتبع واستقصى مرويات الواقدي عنه في التواريخ يعلم أن الرجل مضطرب الرواية، وهذه الرواية منها، يراجع فتح المغيـث شرح ألفية الحديث للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ج3، ص331، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص17، وابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، ج4، ص581.

(3) وعليه نرى أنه لا حاجة لذكر المصادر التي نقلته.

(4) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص16-17، وابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، ج4، ص581.

(5) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج3، ص200، حديث 4837.

(6) عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، ص134، طبعة:1، دار ابن كثير، دمشق.

ومؤرخون ماضون<sup>(1)</sup>، وقال به جملة من الباحثين المعاصرين<sup>(2)</sup>.

ثم جاء في رواية عن ابن اسحاق: «توفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي ابنة خمس وستين سنة»، ثم عقب بقوله: «هذا قول شاذ، فإن الذي عندي أنها لم تبلغ ستين سنة»<sup>(3)</sup>. وهذا يعني أن عمرها حين الوفاة كان ثلاثاً وخمسين سنة، لأن الفترة التي عاشتها السيدة خديجة عليها السلام مع النبي ﷺ قد كانت خمساً وعشرين سنة، وعليه فإذا أخذنا بأكثر الأقوال شهرةً في عمر النبي المصطفى ﷺ عندما تزوج بها عليها السلام وهو «خمس وعشرون سنة»<sup>(4)</sup>، فإن عمر السيدة خديجة حين الزواج سيكون مساوياً لعمر النبي ﷺ أو قريباً منه.

وقد قال الحافظ البيهقي<sup>(5)</sup>: «... ثم بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال خمسين سنة، وهو أصح»<sup>(6)</sup>. وقد ذكر أكثر المؤرخين أن خديجة توفيت في السنة العاشرة من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين. وإذا أخذنا بتصحيح الحافظ البيهقي لما رواه الحاكم النيسابوري، وكونها عليها السلام عاشت مع النبي الأكرم ﷺ (خمساً وعشرين) سنة منها خمس عشرة سنة

(1) منهم الحافظ محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي، الذرية الطاهرة، ج1، ص30، حديث 14، طبعة:1، الدار السلفية، الكويت، ومحب الدين أبو جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري، خلاصة سير سيد البشر، ص38، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، وأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج16، ص98، طبعة:1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، و أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج3، ص36، طبعة: عيسى البابي الحلبي، مصر، ويحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرزي، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمال، ج1، ص48، طبعة: دار صادر، بيروت، وغيرهم.

(2) منهم العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من السيرة، ج2، ص116، والدكتور أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج1، ص113، طبعة:6، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، والدكتور محمد بن عبد الله العوشن، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ج1، ص18، طبعة دار طيبة، وغيرهم.

(3) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج3، ص201، حديث 4838.

(4) محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، ج1، ص17، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب- القاهرة.

(5) أحد كبار علماء المسلمين وحفاظهم، وعمدة المذهب الشافعي قال في حقه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: «ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي، فإن المنة له على الشافعي، لتصانيفه في نصرته مذهبه»، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه، لكان قادراً على ذلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يلوح بنصر مسائل مما صح فيها الحديث. يراجع شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص169.

(6) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص70، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

قبل البعثة، وعشر سنوات بعدها، فتكون قد توفيت ولها من العمر خمسون سنة<sup>(1)</sup>. وهذا يعني: أن عمرها حينما بعث النبي ﷺ كان أربعين سنة، وهو العمر الذي بعث فيه النبي ﷺ، أي أنها كانت بعمر النبي ﷺ. ويمكن الاستناد إلى قرينة أخرى، وهي وفاة أكبر أولادها «القاسم» بن رسول الله ﷺ، فإنه لما توفي بعد البعثة<sup>(2)</sup>، كشف ذلك عن كون ولادته كانت وعمر السيدة خديجة «55 سنة»، وهذا أمر بعيد جداً، فإذا ضممنا ذلك إلى ما ذهب إليه بعض الأعلام<sup>(3)</sup> من أن النبي ﷺ تزوجها ﷺ، وهي باكر، ومع ضم هذه القرائن وغيرها نخرج بنتيجة مؤداها أن عمرها عند زواجها مردّد بين الخامسة والعشرين والثامنة والعشرين<sup>(4)</sup>.

(1) السيد نبيل الحسني، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة، ج1، ص96-105، طبعة:1، اصدار قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، كربلاء.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص294: «وقال غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجيبة ثم مات بعد النبوة».

(3) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج1، ص159: «روى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: «أن النبي ﷺ تزوج بها، وكانت عذراء».

(4) جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج2، ص114-116.

## المفاهيم الأساسية

- إن ما يروى من أن التجارة هي السبب الرئيس في زواج السيِّدة خديجة بالنبي ﷺ، أو أن الحاجة هي التي دفعتها لتتزوج به من أجل الحفاظ على أموالها وتنميتها، هو غير دقيق، فقد كانت تقدر على حماية أموالها بزواجها من غيره من الأشراف ممَّن تقدّموا لخطبتها، فأخلاقه وعلمها بشأنه العظيم هي السبب وراء رغبتها فيه ﷺ.
- يدّعي البعض ممَّن يرومون الانتقال من فضائل السيِّدة خديجة ؑ أنها لم تكن بكرًا حين تزوّجها الرسول ﷺ بل تزوّجت برجلين قبله، والحقّ أنها لم تتزوج بغيره مطلقًا ولم تقبل بكل خطّابها لأنها لم تجد فيهم ما تريد هذا وإن تقدمت بالعمر على مثيلاتها.
- تروي بعض الأخبار الكاذبة أن والد السيِّدة خديجة ؑ كان رافضًا زواجها من النبي ﷺ، فأملته فرضي ولما أفاق استنكر ذلك. إلا أن ذلك ينتقض الحوادث التاريخية التي تقول بوفاة أبيها وقيام عمّها بالأمر، وكذا تناقض أخلاق وحال خديجة ومحمد ﷺ دون جدال، وكذا تنتقض طبيعة مجالس الخطوبة التي تتميز بالوقار والعقل فلا يخفى فيها على أحد أن يكون والد العروس سكران.
- روى ابن عباس وغيره أن خديجة يوم تزوجها النبي ﷺ كانت ابنة ثمان وعشرين سنة، ولكنّ المشهور في كتب السيرة أن عمرها ؑ كان أربعين سنة، ولكنه قول معتمد على رواية واحدة وغير مُسلم به.
- والنتيجة التي يمكن أن نخرج بها بناءً على العديد من الروايات وآراء المحققين والقرائن أن عمرها عند زواجها ؑ مرّدّد بين الخامسة والعشرين والثامنة والعشرين، وعاشت خمسًا وعشرين سنة مع النبي عشر منها بعد البعثة وتوفيت ولها من العمر خمسون سنة أو ثلاث وخمسون سنة.

## الدرس التاسع عشر:

# السيدة خديجة عليها السلام من الزواج إلى الاسلام

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يذكر بعض خصائص ومميزات بيت خديجة عليها السلام.
- يتعرف إلى بعض خصائص علاقة السيدة خديجة عليها السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- يبين أن السيدة خديجة عليها السلام أول من آمن من النساء وأسلم وصلى.





## في رحاب بيت خديجة ﷺ المبارك

يكفي أم المؤمنين خديجة ﷺ شرفه وفضلاً أن بيتها هو أول بيت وَحَدَّ اللهُ، وهو أول بيت صَلَّى اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وهو أوَّل بيت تلي فيه كتاب الحقِّ جَلَّ جلاله، ومنه كانت حادثة الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس<sup>(1)</sup>، وهو البيت الذي كان مهبط الوحي والتنزيل، ومنه انتشر ضياء الإسلام ونوره العظيم على الدنيا كلها، وكان يعتبر من المواضع التي يستحبُّ فيها الصلاة<sup>(2)</sup>، فهو «المنزل الذي كانت تنزله أم المؤمنين خديجة ﷺ، وفيه كان مسكن رسول الله ﷺ معها، وقد ولدت فيه خديجة أولادها جميعاً، وفيه توفيت ﷺ، فلم يزل رسول الله ﷺ فيه ساكناً حتى خرج ﷺ زمن الهجرة»<sup>(3)</sup>.

أمضت أم المؤمنين خديجة ﷺ مع رسول الله ﷺ قبل مبعثه الشريف خمسة عشر عاماً أحاطته فيها بكلِّ رعاية وعناية، وكانت تلك السنوات هي السنوات التي شُغلت فيها ﷺ بإنجاب أولادها والعناية بهم.

وقد ضمَّ بيتها المبارك إلى جوار الصفوة الكريمة من أبناء المصطفى ﷺ، زيد بن حارثة الذي سُبي في الجاهلية وهو ابن ثماني سنين، وبيع في بعض أسواق العرب، فاشترى للسيدة خديجة ﷺ، ثم وهبته للنبي المصطفى ﷺ قبل أن يبعث، فنشأ عنده.

(1) فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، ج4، ص16، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) كان المسلمون يحافظون على منزل أم المؤمنين خديجة ﷺ الذي يُذكرهم بتاريخ النبي الأكرم ﷺ والصدر الاوّل للإسلام، وكانوا يولونه أهمية خاصة بل كان المسلمون يحاولون ترميمه، واعادة بنائه والمحافظة عليه إلى أن سيطر الوهابيون على أرض الحجاز، فقاموا بهدم تلك الدار مع المئات من الآثار الإسلامية التاريخية، وبعد هدم تلك الدار اضطر عمدة مكة آنذاك إلى ان يبني مكانها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، لكن هذه المدرسة أيضاً سرعان ما هدموها، وبذلك أجهزوا على ثاني أكبر وأقدس مكان في مكة المكرمة بعد المسجد الحرام.

(3) الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج3، ص384.

وضمّ ذلك البيت العظيم أمّ أيمن حاضنة رسول الله ﷺ كذلك، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تنقل في تربيته بين بيت أبيه أبي طالب عليه السلام وبيت خديجة عليها السلام ورسول الله ﷺ.

### سيرة السيّدة خديجة قبل بعثة النبي ﷺ

كان زواج المصطفى محمد ﷺ من السيّدة خديجة عليها السلام بتقدير الله تعالى. ولقد اختار الله سبحانه لنبيّه زوجة تناسبه وتوازره، وبعد القران السعيد بدأت السيّدة خديجة عليها السلام تزداد معرفة بجوهر النبي الكريم والذي أتاحه الله لها، فألقت إلى يد هذا الأمين بكلّ ما تملك.

وعلى الرغم من ذلك لم يكن النبي ﷺ يتصرّف في مال خديجة عليها السلام، بل ترك زمام المبادرة بيدها. ولم تكن عليها السلام مع تدبيرها بالشحيحة الكاظة على المال الفاني، بل كانت قد خلقت لتكون مساعدة على الجود، وقد كانت عليها السلام مبادرة إلى فعل كل ما يرضي النبي الأكرم ﷺ، كذلك كانت تُكرم كل من يمتّ له بأيّ صلة كانت.

فعندما قدّمت عليه مرضعته حلّيمة السعدية بعد تزوّجه من خديجة عليها السلام، شكت إليه جدّب البلاد، فكلم لها خديجة، فأعطتها أربعين شاةً وبعيراً... وأنصرفت بخير<sup>(1)</sup>. كذلك أحبت السيّدة خديجة عليها السلام كل ما أحبه النبي ﷺ، وأبغضت كل ما أبغضه، وتلك هي أركان الوفاء وبنود الإيثار، فإن حياة أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام اتّصلت بحياته ﷺ، وإن غالب أحوالها كانت متعلّقة بأحواله. وإننا حين نقف على مديح النبي ﷺ لها بعد وفاتها وارتباطه بها إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، فإننا سنقف على أفكار وصور جليّة جداً، قد لفت كل حياتهما المباركة، ولا أدلّ على ذلك من قول النبي الأكرم ﷺ: «لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس،

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، ج1، ص619، طبعة:1، دار العاني، بغداد، وأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج1، ص95، من الطبعة:1، دار الفكر.

وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء»<sup>(1)</sup>. ولا يخفى على كل من خبر السيرة النبوية المباركة أنّ أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام كانت شريكة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله في كل هذه الأعمال الخيرة التي كان يقوم بها قبل مبعثه الشريف، وكان يصيب بها مواضع مستحقة في وسط بحرٍ من ظلمات الجاهلية التي كانت تعيشها جزيرة العرب في ذلك الوقت.

### بدء الوحي

روي عن الإمام الحسن العسكري عن الإمام عليّ الهادي عليهما السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ترك التجارة إلى الشام، وتصدّق بكلّ ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كلّ يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حقّ عبادته»<sup>(2)</sup>. وكانت السيّدة خديجة عليها السلام آنذاك تزوّد النبي صلى الله عليه وآله بما يحتاج إليه من طعام وشراب طيلة مكثه في حراء، فتوصله إلى باب ذلك الغار الكائن أعلى جبل النور في ظاهر مكة، والذي يحتاج الوصول إليه بين ساعتين أو ثلاث من الجهد الجهد. وكانت السيّدة خديجة عليها السلام تقطع المسافة بين بيتها والغار على قدميها الشريفتين، وقد بقيت على هذا المنوال من السعي المرضي حتّى جاء ذلك اليوم العظيم الذي آن فيه للزمان أن ينجلي عنه صده، وأن يمتلئ وجهه نوراً يتلألأ سنانه. «فلما استكمل صلى الله عليه وآله أربعين سنة ونظر الله عزّ وجلّ إلى قلبه، فوجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها، وأخشعها وأخضعها، وأذن لأبواب السماء ففتحت ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إليها، وأذن للملائكة، فنزلوا، ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد صلى الله عليه وآله

(1) ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب، ج4، ص1824، ترجمة رقم 3311، وأحمد بن حنبل، المسند، ج41، ص356، حديث 24864، طبعة1، مؤسسة الرسالة، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج8، ص103، ترجمة رقم 11093، و...

(2) الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، تفسير الإمام العسكري، ص156 - 158، عن أبيه الإمام علي بن محمد الهادي عليهما السلام قال: .... وساق الحديث.

وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضعه وهزّه، وقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(1)</sup>، ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عز وجل، ثم صعد إلى العلو، ونزل محمد ﷺ من الجبل، وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه به الحمى والنافض، وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره، ونسبتهم إياه إلى الجنون، وأنه يعتريه شياطين، وكان من أول أمره أعقل خليفة الله وأكرم براياه، وأبغض الأشياء إليه الشيطان، وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عز وجل أن يشرح صدره ويشجع قلبه، فأنطق الجبال والصخور والمدر، وكلما وصل إلى شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا وليّ الله، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، أبشر، فإن الله عز وجل قد فضلك وجمّلك، وزينك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين الأولين والآخرين، لا يحزنك قول قريش: إنك مجنون وعن الدين مفتون، فإن الفاضل من فضله رب العالمين، والكريم من كرمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيّق صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات»<sup>(2)</sup>.

توجه مولانا رسول الله ﷺ إلى أم المؤمنين خديجة عليها السلام، وأخبرها بالكرامة التي أكرمه الله بها من الرسالة، فقالت له ببشاشتها التي اعتادت أن تقابله بها: «أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». فقد علمت عليها السلام أن ما أكرمه الله به من مولده ثم ما حباه به من الخلق العظيم، وأن أعماله الصالحة، وخصاله الشريفة، لا يناسبها إلا كرامة الله له، وإتمام النعمة عليه، وأن من كان بهذه المثابة، فإن العزيز الرحيم الذي هو أحكم الحاكمين وإله العالمين يصطفيه وينتجبه، ولا يخزيه ولا يسلط

(1) سورة العلق، الآيات 1 - 5.

(2) الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تفسير الإمام العسكري، ص 156 - 158.

عليه الشيطان. وهذا استدلال منها على صحة النبوة والرسالة وثبوتها في حق من هذا شأنه، فأمنت بالله ورسوله ﷺ، وهي لم تستمع بعد لسورة من الذكر الحكيم. ومن هنا تعتبر سيِّدتنا خديجة عليها السلام أوَّل من استدلَّ بأخلاق وسيرة رسول الله ﷺ قبل البعثة دليلاً على صدِّقه بعد بعثته. وكفى بذلك منقبة لها، وفضيلة تفرَّدت بها دون سائر النساء.

### سبق خديجة نساء الأمة

كانت أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام، وأمير المؤمنين علي عليه السلام أوَّل من أجابا واستجابا لله عزَّتْ آلاؤه القائل في محكم كتابه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(1)</sup>، والحقُّ أنَّه لا يُعرف قدر ما لها وللوصي عليه السلام من الثواب إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام فتح الباب، فسُنَّ السنة لذكور الأمة، وخديجة عليها السلام فتحت الباب فسُنَّت السنة لإناث الأمة، وهذا يمكن أن يكون من أفضل ما حصل من الخير لأم المؤمنين الكبرى عليها السلام، فإنَّها لم تأخذ الدين أخذ مشايعة، ولم تتلقَّه مجاملة، بل أخذته عن ظمأ إليه ويقين به، فقد روي عن حفيدها الإمام الكاظم عليه السلام قال: «سألت أبي جعفر بن محمَّد عليه السلام عن بدء الإسلام، كيف أسلم عليّ، وكيف أسلمت خديجة؟ فقال لي أبي: إنهما لما دعاهما رسول الله ﷺ، فقال: يا عليّ يا خديجة إن جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما، وأطيعا تهديا، فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله.

فقال: إنَّ جبرئيل عندي يقول لكما: إنَّ للإسلام شروطاً وعهوداً ومواثيق، فابتدأوه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، ولم يلد له والد، ولم يلد ولدًا، ولم يتَّخذ صاحبة، إلهاً واحداً مخلصاً، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافةً بين يدي الساعة، ونشهد أنَّ الله يحيي ويميت، ويرفع ويضع، ويغني ويفقر، ويفعل ما يشاء، ويبعث من في القبور، قالوا: شهدنا...»<sup>(2)</sup>.

(1) سورة الواقعة، الآيتان 10-11.

(2) السيد علي بن موسى بن طاووس الحسني، طرف من الأنباء والمناقب، ص115-116، طبعة:1، تاسوعاء، مشهد.

ثم إنَّ الأخبار التي رواها جملة من الحفاظ<sup>(1)</sup> تشهد بأنَّ خديجة عليها السلام هي أول من آمن من النساء، ومن تلك الشهادات قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبته المسماة القاصعة: «... ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله، وخديجة، وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرَّسالة، وأشمُّ ريح النبوة»<sup>(2)</sup>، وعليه آراء العلماء.

### صلاة أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام

حازت الصلاة مكاناً عظيماً في الإسلام بل في كلِّ الرسالات حيث تعدُّ دعامة لجميع الشرائع السماوية، فهي أقدم عبادة. ولأنَّها من مستلزمات الإيمان لم تخل منها شريعة من الشرائع، ولم تنسخ في ما نُسخ منها، فإنَّه ما من نبيٍّ بعث، ولا رسالة نزلت إلا وفيها الأمر بإقامة الصلاة باقياً كالأمر بتوحيد الله.

فالصلاة عبادة مشتركة لجميع أمم الأرض لأنها وصية الله وأمره للنبيين والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين، وكما كانت أم المؤمنين خديجة عليها السلام أول من تلا القرآن بعد أن سمعته من النبي صلى الله عليه وآله، كذلك كانت أول من تعلم الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأقامها، فقد جاء في رواية: «صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، وصلت خديجة آخر يوم الاثنين»، وكذا يقول ابن عباس<sup>(3)</sup>.

(1) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج3، ص203، حدیث 484، وعنه الحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص116، وابن عساکر، تاریخ دمشق، ج14، ص173. أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، الأوائل، ج1، ص79-80، حدیث 74، طبعة: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ورواه أبو القاسم الطبراني، الأوائل، ج1، ص80، حدیث 54، طبعة: مؤسسة الرسالة - دار الفرقان، بيروت.

أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبید الله العتكي المعروف باليزار، مسند اليزار المنشور بالبحار الزخار، ج9، ص322، حدیث 3872، طبعة: 1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، وقال الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، عن أبي رافع قال: «أول من أسلم من الرجال علي، وأول من أسلم من النساء خديجة» رواه اليزار ورجاله رجال الصحيح، يراجع مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج9، ص353، حدیث 15258، طبعة: دار الفكر، بيروت.

أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج2، ص682، حدیث 1168، والحاكم النيسابوري، ج3، ص143، حدیث 4652، وابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب، أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير، ج1، ص161، حدیث 65، طبعة: 1، دار الوطن، الرياض، وابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص1090-1091.

(2) عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج13، ص197، طبعة: 1، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

(3) أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير، ج1، ص160، طبعة: 1، دار الوطن، الرياض، وابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص1820، ترجمة رقم 3311، طبعة: 1، دار الجيل، بيروت.

وجاء في خبر آخر: «... ثم إنَّ جبريلَ عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة<sup>(1)</sup>، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت له عين من ماء مزن فتوضأ جبريل ومحمَّد عليه السلام، ثم صلَّيا ركعتين وسجداً أربع سجداً، ثم رجع النبي ﷺ وقد أقرَّ الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحبُّ من الله، فأخذ بيد خديجة حتَّى أتى بها العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجداً هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً»<sup>(2)</sup>. وقد نقلت هذه الرواية بطرق أخرى<sup>(3)</sup>. وقد شهد للسيدة خديجة بهذه الخصيصة المحققون والعلماء<sup>(4)</sup> والمؤرِّخون. كما روي عن الامام علي عليه السلام قوله: «صلَّيت مع رسولِ الله ﷺ كذا وكذا لا يصلي معه غيري إلا خديجة»<sup>(5)</sup>.

(1) وأما ما ذكره بعضهم أنه لم تكن الصلاة مفروضة في أول البعثة، وإنما شرعت ليلة المعراج على ما في الأخبار، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُنُوبِكِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾، ففيه أن المسلم من دلالتها أن الصلوات الخمس اليومية إما فرضت بهيئتها الخاصة ركعتين ليلة المعراج، ولا دلالة فيها على عدم تشريعها لرسول الله ﷺ قبل ذلك، وقد ورد في كثير من السور الملكية، ومنها النازلة قبل سورة الإسراء كالمذثر والمزمل، «وسورة العلق»، وغيرهما ذكر الصلاة بتعبيرات مختلفة، يراجع المفسر السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، بيان رواي لتفسير سورة العلق.

(2) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخراساني، دلائل النبوة، ج2، ص160، طبعة:1، دار الكتب العلمية، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ باختلاف ألفاظ، يراجع الموفق بن أحمد الملكي أخطب خوارزم، مقتل الحسين، ج1، ص54، طبعة: دار أنوار الهدى، قم.

(3) الفقيه المحدث قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، ج1، ص83-84.

(4) سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، مسند أبي داود الطيالسي، ج4، ص470، حديث 2876، طبعة:1، دار هجر، مصر.

(5) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج3، ص1096.



## المفاهيم الاساسية

- يكفي في تشريف بيت السيِّدة خديجة عليها السلام أنه كان أوَّل بيت وَحَدَّ الله، وهو أوَّل بيت صَلَّى لله جَلَّ وعلا، وهو أوَّل بيت تلي فيه كتاب الحقِّ جَلَّ جلاله، ومنه كانت حادثة الإسراء بالنبي صلى الله عليه وآله. وهو البيت الذي كان مهبط الوحي والتنزيل.
- ضمَّ بيت السيِّدة خديجة عليها السلام بالاضافة لها وللنبي صلى الله عليه وآله ولأولادهما، زيد بن حارثة وأم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
- وضعت السيِّدة خديجة أموالها وكلَّ ما تملك في تصرف الرسول لكنَّه كان يترك لها المبادرة. وقد تميَّزت بجودها وكرمها وإعالة المحتاجين، فكانت تأتي بما يحبه الرسول ويرضاه وتبغض ما يبغضه.
- عاش الزوجان سعيدين هانئين وقد وصفها الرسول صلى الله عليه وآله بأنه كانت تسانده وتؤازره وأن الله لم يبدله خيراً منها أبداً.
- بعد زواجه من السيِّدة خديجة عليها السلام، كان النبي صلى الله عليه وآله يذهب إلى غار حراء للتعبّد، وكانت عليها السلام تزوّد النبي صلى الله عليه وآله بما يحتاج إليه من طعام وشراب فتوصله إلى باب ذلك الغار قاطعةً المسافة على قدميها الشريفتين وذلك حتّى البعثة.
- بعد نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله توجه صلى الله عليه وآله إلى أم المؤمنين خديجة عليها السلام، وأخبرها بذلك ودعاها إلى الاسلام، فأمنت من فورها ولم تكن قد استمعت إلى آية من القرآن بعد، بل صدّفته صلى الله عليه وآله بناءً على سيرته فكانت أول مجتهدة في الاسلام.
- من خلال سبق أم المؤمنين خديجة عليها السلام نساء هذه الأمة إلى الإيمان بالله ورسوله سنّت ذلك لكلِّ امرأة آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهنّ جميعاً بشهادة الحديث النبويّ.
- كانت السيِّدة خديجة عليها السلام أوَّل من صَلَّى خلف الرسول صلى الله عليه وآله من النساء، وعلي عليه السلام أوَّل من آمن وصلى من الرجال، وبقيت تصليّ معه سرّاً إلى حين انتشار الدعوة.

## الدرس العثرون:

### خصائص السيِّدة خديجة ؑ

#### أهداف الدرس

على المتعلِّم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يذكر بعض خصائص السيِّدة خديجة ؑ والتي انحصرت بها.
- يبيِّن أنَّ كلَّ أفعال خديجة ؑ تجاه الدعوة تصلح للاقتداء والتأسي.
- يذكر بعض وجوه تضحيات السيِّدة خديجة ؑ.



## تمهيد

إذا كانت النساء المؤمنات يتطلعن إلى سيرة عظيمة ترشدن إلى الأسوة الفاضلة والقدوة المثالية، فإنهنّ عبر مراحل التاريخ الإسلامي بأسره لن يجدن بعد السيّدة الزهراء عليها السلام قدوة أعلى وأمثل وأفضل من السيّدة أم المؤمنين خديجة عليها السلام، فهي التي مضت في طريق السبق تقفو أثر صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وتتبع خطواته بكلّ إخلاص وفداء، فقد كان يلقي ما يلقاه في النهار، فإذا أوى إلى بيته وجد مولاتنا خديجة عليها السلام قد جعلت كلّ ما في ذلك البيت برداً وسلاماً. وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله فقد عطف الأم الرؤوم في صدر حياته عند وقت الحاجة، فقد عوضه الله تعالى في خديجة عليها السلام زوجاً ورفيقة لدربه، فكانت بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى بلسماً لجراحه فلم تسوّه قط، ولم تغاضبه قط، ولم ينلهامنه عتبٌ ولا هجر، فقد أعطت المال والجهد والحنان والحبّ والمشورة الصادقة الصائبة لرسول الله صلى الله عليه وآله. والحق أنّ مواقفها المشهودة معه من أشرف المواقف التي تُحمد من امرأة في الأولين والآخرين، وقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «لَقَدْ فُضِّلَتْ خَدِيجَةُ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي كَمَا فُضِّلَتْ مَرْيَمُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»<sup>(1)</sup>.

## من خصائص السيّدة خديجة عليها السلام

### 1. محلّ للسلام الإلهي:

يظهر لمن تتبّع أخبار السيرة النبوية العطرة أنّ الله تعالى بعث بسلامه الخاصّ إلى

(1) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، ص135، طبعة: دار المعرفة، بيروت، وقال: فروى البزار والطبراني من حديث عمار بن ياسر رَفَعَهُ: ... الحديث، وهو حديث حسن الإسناد.

السيدة الغراء أم المؤمنين خديجة عليها السلام. وقد أرسل هذا السلام الإلهي في مراتٍ عديدةٍ لا مرة واحدة<sup>(1)</sup>؛ فقد روى حفاظ الأمة أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه... طعام وشراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل، ومني (جبرائيل)....»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية أخرى: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو بحراء، فقال: هذه خديجة قد جاءت بحيس<sup>(3)</sup> في غزرتها، فقل لها إن الله يقرئك السلام، فلما جاءت قال لها: إن جبريل أعلمني بك وبالحيس الذي في غزرتك قبل أن تأتي، وقال الله يقرئها السلام، فقالت: هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام»<sup>(4)</sup>.

وسلام الله على أم المؤمنين خديجة يوضح لنا أنها من جملة عباد الله المصطفين الأخيار، فإن المولى سبحانه قال في محكم كتابه: ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أُصْطَفُوا﴾<sup>(5)</sup>، ولذلك لا يوازي فضل هذه المرأة العظيمة من بقية النساء بعدها شيء، فإن السلام حصل من الله ومن جبريل كلاهما لخديجة عليها السلام، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(6)</sup>.

## 2. مرجع أهل البيت النبوي:

إن السيدة خديجة عليها السلام هي مرجع البيت الذي ينتسب إليه أهل البيت عليهم السلام. فقد ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾<sup>(7)</sup>،

(1) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج2، ص279، طبعة: المطبعة العلمية، طهران، الجمهورية الإسلامية، والنسائي، السنن الكبرى، ج5، ص94، حديث 8359.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1379، حديث 3609، طبعة: دار ابن كثير - اليمامة، بيروت، ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج4، ص1817، طبعة: إحياء التراث العربي، بيروت، وأحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج12، ص71، حديث 7156، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، ومحمد بن حبان التميمي البستي، صحيح ابن حبان، ج15، ص469، حديث 7009، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت،

(3) تمر يخلط بسمن وطحين ويعجن ويسوى كالثرید.

(4) سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص15، حديث 25، طبعة: مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

(5) سورة النمل، الآية 59.

(6) سورة آل عمران، الآيتان 73-74.

(7) سورة الأحزاب، الآية 33.

أن أهل البيت المقصودين هم النبي ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين حيث جللهم النبي ﷺ بكساء<sup>(1)</sup>. ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأن الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها<sup>(2)</sup>. فهي أم آل البيت الكبرى، ومن نسلها كانت ذرية رسول الله ﷺ خاصة.

### 3. أول المنفقين في الاسلام:

من المعلوم عند أهل الإسلام أن أول مال أنفق في سبيل الله تعالى كان مال السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، فهي التي من خلال سبقتها نساء الأمة إلى الإيمان بالله ورسوله سنت اللحاق بركب الإيمان لكل امرأة آمنت بعدها، وبما أنها أول من أنفقت مالها في سبيل الله، فقد سنت ذلك لكل من أنفق ماله في هذا السبيل بعدها، فيكون لها مثل أجرهم جميعاً.

وإن كان كثير من الصحابة قد شاركها في هذه الأعمال فيما بعد، إلا أن الأمر لا يستوي؛ لأن خديجة عليها السلام قد فعلت ذلك في وقت عز فيه صاحب والنصير، فقد كان النبي ﷺ أحوج ما يكون لمن يؤنسه ويصدقه ويواسيه. هذا مع الالتفات إلى أن جملة من الذين أسلموا في مكة جعلتهم مقاطعة ذويهم لهم من المحتاجين حيث كان أبو جهل الفاسق يغري بهم رجال قريش، «فإذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أتبه وخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفتهم حلمك (أي تبين خفة رأيه)، ولنفيلن رأيك<sup>(3)</sup>،

(1) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج5، حديث رقم 3205 + 3871، وأحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج6، ص292+304، حديث رقم 26551 + 26639، وأبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج12، ص451، حديث رقم 7021، والحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج2، ص451، حديث رقم 3558، وقال الترمذي: هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وقال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب، ج2، ص297: له طرق.

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، ص138.

(3) لنخطن، ففي القاموس: فال رأيه، يفيل فيولة، وفيلة: أخطأ وضعف، وفيل رأيه: قبحه وخطأه.

ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك...»<sup>(1)</sup>.  
وأما حال الفقراء والمستضعفين والعيبد ممن فتح الله تعالى قلوبهم للدعوة الإلهية، فقد كانوا من الأساس في عسر مادي، فلا بدّ من مصدر ماليّ مناسب يتوفّر للنبيّ ﷺ من خلاله سدّ نفقات المحتاجين من أهل الإيمان. وهكذا كانت أموال السيّدة خديجة عليها السلام المصدر الأساس لدعم النبيّ ﷺ، ورفد دعوته بالمال اللازم لتغطية نفقات المستضعفين. وقد قال عبيد الله بن أبي رافع لما سُئل: أوكان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إنّي سألت أبي عما سألتني، وكان يحدث لي هذا الحديث، فقال: وأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ما نفعتني مال قطّ ما نفعتني مال خديجة»<sup>(2)</sup>.

#### 4. بيت خديجة عليها السلام : البيت القدوة:

بعد أن خاطب الله عزّت آلاؤه حبيبه المصطفى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾<sup>(3)</sup>؛ قام النبيّ الأكرم ﷺ يدعو إلى الله تعالى وإلى دينه القويم سرّاً. وكان من الطبيعيّ أن يبدأ بعرض رسالة التوحيد على ألق الناس به وأقربهم إليه أهل بيته وعشيرته، ومن ثمّ أصدقائه ومن يثق به من الناس. وكان السبق على هؤلاء جميعاً من نصيب السيّدة خديجة عليها السلام وعليّ عليه السلام. وبعد غار حراء كانت جنات بيتها المبارك أوّل الأماكن التي تلي فيها القرآن، فأمن به كلّ من كان يظلمهم سقف بيتها العظيم (عليّ، وزيد، والصفوة الكريمة من أبناء المصطفى ﷺ، وأم أيمن) آمنوا قبل كلّ أحد<sup>(4)</sup>.

وقد جعل سكّان بيت أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام من ذلك المنزل شمساً تفيض النور منها على القبائل والشعوب حيث كان أوّل بيت تعهد بنصرة دين الله، وقد تقدّمهم في ذلك كله رفيقة درب الغراء خديجة عليها السلام، فصير رسول الله ﷺ ذلك البيت المبارك

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص320، وابن كثير، السيرة النبوية، ج1، ص495.

(2) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، ص468، المجلس السادس عشر.

(3) سورة المدثر، الآيتان 1-2.

(4) نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبيّة = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ج1، ص385، وقال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «ما أجاب رسول الله ﷺ أحد قبل علي بن أبي طالب وخديجة عليها السلام»، يراجع الشيخ الصدوق محمد بن علي، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص328، طبعة:2، الدار الإسلامية، طهران.

مركزاً لقيادة جماعة المؤمنين، ومدرسة لتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم وتأهيلهم كي يتحملوا أعباء الدعوة إلى الله، وذلك من خلال التربية الفردية الهادفة. ولا يخفى على أهل الإيمان أن «لهذا البيت النبويّ الأول مكانة عظيمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، لما حباه الله به من مزايا وخصه بشرف الأسبقية في الإيمان وتلاوة القرآن وإقام الصلاة... ويحق لهذا البيت أن يكون قدوة، ويحقّ لرَبِّته أن تكون مثلاً ونموذجاً حياً لبيوت المسلمين ولنسائهم ورجال المؤمنين كافة، فالزوجة فيه طاهرة مؤمنة، مخلصه، وزيرة الصدق والأمان، وابن العم المحضون والمكفول، مستجيب ومعضد ورفيق، والمتبني مؤمن صادق مساعد ومعين، والبنات مصدقات مستجيبات مؤمنات ممتثلات. وهكذا كان للبيت النبويّ مكانته الأولى، والواجب يدعو إلى أن يكون قدوتنا والأنموذج الذي نسير على هديه في المعاشرة، ومثالية السلوك بالصدق والتصديق، في الاستجابة والعمل لكل من آمن بالله ربّاً وبمحمد نبياً ورسولاً»<sup>(1)</sup>.

##### 5. خديجة عليها السلام أولى المضحيات في سبيل الدعوة:

مع إعلان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن تكليف الله تعالى له بدعوة الخلائق لتوحيد بارئهم وخلع الأنداد بدأت أشدّ مراحل حياته عناءً، وأكثرها إيلاًماً لأهل بيته الكرام حيث «إنّ أبا لهب كان يسكن في بيت له قبالة بيت خديجة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنها، وكان يسكن مع زوجته أمّ جميل بنت حرب بن أمية<sup>(2)</sup>، وكان ذلك الزقاق طريق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد (الحرام)»<sup>(3)</sup>، ولو لم يكن لأُم المؤمنين خديجة عليها السلام من المعاناة إلا ما يقتضيه جوار هذين الشريين لكفى، فقد تزعمت كتيبة قريش التي لا شغل لها إلا الإساءة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من ذويه وأقربيه.

وجاء في رواية: «رأيت رسول الله مرتين. مرّة بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة لي أبيعها، ومرّة عليه جُبّة له حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: «أيها الناس قولوا: لا إله إلا

(1) د. عصمة الدين كركر، المرأة في العهد النبوي، ص 43-46، طبعة: دار الغرب الإسلامي.

(2) امرأة أبي لهب شقيقة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية.

(3) محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، أخبار مكة، ج 3، ص 248، طبعة: 2، دار خضر، بيروت.



الله تُفلحوا»، ورجل يتبعه بالحجارة، وقد أدمى كعبه وعرقوبه، ويقول: يا أيها الناس لا تُطيعوه، فإنه كذاب، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا غلام بني عبد المطلب. قلت: فمن هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: عمه عبد العزى، وهو أبو لهب»<sup>(1)</sup>.

هذا أحد أفعال أبي لهب التي كان يتقرب بها إلى أصهاره من بني أمية وبقية طغاة قريش لينال الحظوة لديهم. وإذا كان أبو لهب قد أخذ على عاتقه التكفل بأذية رسول الله ﷺ، فإن إمرأته التي فاقت بقية المشركين شراسة ووقاحة، ولم تكن ترعى حق الجيرة مطلقاً، كانت لا تألو جهداً في إزعاج السيِّدة خديجة وإيذائها. وقد بقيت خديجة الغراء ﷺ، لسنوات عديدة تتحمل ضروب الأذى غير المحتمل وغير المطاق، والاستطالة والمعاناة، وكانت تكتفي بإزالة ما يرميه سفهاء قريش على دارها، وما كانت تلقيه «حمالة الحطب» من أحجار وأقذار وأشواك تضعها في طريق النبي ﷺ، ولم يسمع من أم المؤمنين خديجة الكبرى ﷺ إلا نداؤها: «يا معشر قريش تُرمى الحرّة في منزلها؟»<sup>(2)</sup>.

(1) ابن أبي شيبه عبد الله بن محمد العبسي، مسند ابن أبي شيبه، ج2، ص322، حديث 822، طبعة:1، دار الراية، الرياض، والحاكم، المستدرک، ج2، ص668، حديث 4219، والبيهقي، السنن الكبرى، ج1، ص123، حديث 358.

(2) العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج8، ص242، نقلاً عن المنتقى في مولد المصطفى ﷺ للكازروني الشافعي.

### المفاهيم الاساسية

- بفضل خصالها التي تحلّت بها ومعاناتها تجاه الدعوة والنبى ﷺ، كانت السيدة خديجة عليها السلام محلاً لتنزل سلام الحق سبحانه عليها، حيث جاء في العديد من الأخبار أنّ الله أرسل سلامه إليها عبر الرسول ﷺ.
- السيدة خديجة عليها السلام هي أم آل البيت الكبرى، ومنها حصراً استمرت ذرية الرسول ﷺ، وعندما يقال آل البيت فالمقصود هو بيت خديجة ومحمد ﷺ، حيث إنّ كلّ أصحاب الكساء يرجعون إلى رابطة مع خديجة عليها السلام.
- إنّ أول مال أنفق في سبيل الله تعالى كان مال السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، فسنت ذلك لكل من أنفق ماله في هذا السبيل بعدها، فيكون لها مثل أجرهم جميعاً. والأمر لا يستوي وأيّ إنفاق لاحق، لأنّ خديجة عليها السلام أنفقت والاسلام في مهده وهو مهّد بالإبادة وفعّلها هذا لا يقاس بأيّ إنفاق.
- يعتبر بيت السيدة خديجة البيت القدوة في الاسلام، حيث آمن كل ساكنيه بالاسلام ونبهه ولبوا نداءه ونصروه، وقد تولى النبي ﷺ التربية الفردية لأفراد البيت كلّ بحسبه، فهو نموذج حيّ لبيوت المسلمين ولنسائهم ورجال المؤمنين كافة.
- كانت معاناة وآلام السيدة خديجة عليها السلام تزداد يوماً بعد يوم مع توسّع الدعوة أكثر، حيث نال الرسول ﷺ أذى قريش على الدوام، وكانت تقوّي عزيمة زوجها العائد إلى البيت مدمى، وكانت تتحمّل أذى أوباش قريش كأبي لهب وزوجته التي ما فتئت ترمي الأوساخ والأشواك والاحجار أمام منزل خديجة عليها السلام وعلى طريق رسول الله ﷺ نحو المسجد الحرام.



## الدرس الحادي والعشرون:

# السيدة خديجة عليها السلام والدعوة إلى الاسلام

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرف إلى بعض مساهمات خديجة عليها السلام وأدوارها أثناء الدعوة السرية.
- يبين أدوار السيدة خديجة عليها السلام أثناء الدعوة العلنية.
- يذكر بعض مآثر السيدة خديجة عليها السلام.



## انطلاق الدعوة وبعض من عطاء خديجة عليها السلام

شرع رسول الله ﷺ يدعو إلى الله تعالى، وكان يستهدف بدعوته جميع من يتوسم فيهم الخير والقبول والتعقل، فأسلم خلال جهوده السرية آنذاك جماعة من ذوي العقل والرأي والنضج عُرفوا فيما بعد بالسابقين إلى الإسلام. وقد عدَّهم ابن هشام في السيرة أكثر من أربعين نفرًا من قريش<sup>(1)</sup>؛ ما خلا أبي ذر الغفاري الذي كان من أسبق السابقين إلى الإسلام<sup>(2)</sup>، حيث عُد رابع المسلمين<sup>(3)</sup>، وكان ضمن أولئك الصحابة الأوائل كوكبة من النساء السابقات<sup>(4)</sup>، تقدّمت عليهن السيّدّة فاطمة بنت أسد أمّ عليّ بن أبي طالب عليها السلام. ولأنّ النبيّ ﷺ قد أرسله ربّه عزّتْ آلاؤه رحمةً للعالمين؛ فأمن بدعوته أناس يُعدّون من الفقراء والمستضعفين مضافاً إليهم النفر الذين قاطعهم ذويهم، فوسعهم برّه ﷺ، وكان طعامه لهم مبدولاً، وكفه مدرارة وجود عليهم بكلّ ما يملك في سبيل ربّه. وهذه أسماء بنت عميس قال لها أحد الصحابة يوماً: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقّ برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: «كلّا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم

(1) عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، السيرة النبوية، ج1، ص260.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، حديث رقم 3261، طبعة:1، دار السلام، الرياض.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص34، وفيه قول أبي ذر: كنت رابع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر، وأنا الرابع.

(4) كأسماء بنت عميس التي آمنت بالله رفقة زوجها جعفر بن أبي طالب، وعمته صفية بنت عبد المطلب مع ولدها الزبير بن العوام، وأم سلمة هند بنت أبي أمية مع زوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم ابن عمّة رسول الله ﷺ (برة بنت عبد المطلب)، وطلبة شهداء الإسلام سمية بنت الخياط مع ولدها عمار بن ياسر بن يقظة العنسي، وأبيه، وأسماء بنت سلامة مع زوجها عياش بن أبي ربيعة، وفاطمة بنت المجلل مع زوجها حاطب بن الحارث الجمحي، وفكّيهة بنت يسار مع زوجها حطاب بن الحارث، ورملة بنت أبي عوف مع زوجها المطلب بن أزهري، وأمينة بنت خلف مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص، وفاطمة بنت الخطاب مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسماء بنت أبي بكر مع أبيها عبد الله بن أبي قحافة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وفهيرة وأمه، يراجع السيرة النبوية لابن هشام، ج1، ص260.

جائعكم، ويعظ جاهلكم...»<sup>(1)</sup>.

فقد غمر رسول الله ﷺ بیره وإحسانه أصحابه بل حتى أعداءه، يشهد بذلك أكثرهم عداوة له، فعندما أتاه عتبة بن ربيعة ليستخبر بزعمه عن حقيقة القرآن قال أبو جهل: «يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد، وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه. فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حسبنا إلا أنك صبوت، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك ما يغنيك عن طعام محمد»<sup>(2)</sup>.

ولسائل أن يسأل من أين لرسول الله ﷺ كل هذا المال الذي كان يسع الناس فيه على امتداد السنين التي قضاها في مكة؟ فنبادره بالجواب: إن هذا المال من الرافد الذي لم يتوقف عن العطاء مولاتنا السيِّدة خديجة الكبرى عليها السلام التي كانت أكثر قريش مالا، فكان النبي الأكرم ﷺ يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه<sup>(3)</sup>.

ويروى أنه ﷺ دخل ذات يوم على السيِّدة خديجة وهو مغموم، فقالت عليها السلام: مالك؟ فقال: «الزمان زمان قحط، فإن أنا بذلت المال ينفد مالك، فأستحي منك، وإن أنا لم أبذل أخاف الله»، فما كان من أم المؤمنين خديجة إلا أن دعت رجلاً من قريش وفيهم أبو بكر، قال أبو بكر: فَأَخْرَجْتُ دنانير وصبَّتها حتى بلغت مبلغاً لم يقع بصري على من كان جالساً قدامي لكثرة المال، ثم قالت: «اشهدوا أن هذا المال ماله، إن شاء فرقه وإن شاء أمسكه»<sup>(4)</sup>.

وليس بغريب على خديجة رضي الله عنها أن تفعل ذلك له، وقد فعلت ما هو أعظم من ذلك، حين دخلت معه الشعب فتركت مالها، واختارت مشاركته لما هو فيه من ضيق

(1) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج7، ص172، باب41— فضائل جعفر بن أبي طالب، حديث6567، طبعة: دار الجيل بيروت - دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(2) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج1، ص127، طبعة:3، مؤسسة الرسالة.

(3) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص468، المجلس16، بسنده إلى عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه مولى رسول الله ﷺ.

(4) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، ج31، ص199، طبعة:3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العيش، حتى أكلوا ورق الشجر، وأموالها طائلة في بيتها<sup>(1)</sup>. والمتدبر في سيرتها المباركة يتيقن أن دعم السيدة خديجة عليها السلام لرسول الله ﷺ ورسالته الإلهية، وللذين آمنوا لم يكن مقصوداً على البذل والعطاء المادي، بل وضمت لذلك عطاءً معنوياً لا حدود له، وذلك من خلال تصرفها كأم كبرى لجماعة المؤمنين حيث استعانت بما تجملت به من كرائم الأخلاق ومزجتها بعلو هممتها، وصحة مقصدها، فأوت ونصرت، وآزرت وصبرت واحتملت الصعاب مستسهلةً عظامها، ومستعذبةً مرارتها في سبيل نيل رضا الله ورسوله.

### سرية الدعوة ونزرها من أعمال خديجة عليها السلام

استمر النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، يستقطب الأتباع المهتمين من أقاربه وأصدقائه بسرية تامة. ولتوسيع دائرة الدعوة كان أولئك نفر لا يخاطبون إلا من يثقون به ويأمنون شره حيث إن الفترة الأولى من عمر الدعوة اعتمدت على تخطيط نبوي دقيق ومنظم ومحكم، فكان المصطفى ﷺ يحسب لكل خطوة حسابها، فحدّد لكل فردٍ من هؤلاء عمله بدقة وتنظيم، فجعل كل من آمن بالله يدرك طبيعة الدعوة والمرحلة التي تمرّ بها، وكان الكلّ ملتزماً جانب الحيطة والحذر والسرية والانضباط التام.

ومن المسلم به أن أم المؤمنين خديجة الغراء عليها السلام كانت الركن الوثيق الذي اعتمد عليه خاتم النبيين ﷺ في الكثير من الأعمال لا سيما مخاطبة المؤمنات السابقات والتواصل معهنّ لتثبيت القيم العظيمة لرسالة التوحيد، والدعوة إليها، وإبلاغ رسالة ربّ العالمين للناس كافة. كما لا يخفى أنها عليها السلام هيأت للنبي ﷺ البيت المريح الذي يجد فيه السكينة بعد المشقة، ورعت ذلك البيت المبارك وكلّ من يلوذ به، فشكّلت البيئة الأسرية المساندة والأمنة التي يحتاجها رسول الله ﷺ لتحقيق أهداف رسالته، فكانت عليها السلام بحقّ وزيرة صدق على الإسلام العظيم الذي مضت الدعوة إليه آنذاك سرية وفردية معتمدة على الاصطفاء والاختيار للعناصر التي تصلح أن تتكوّن منها الجماعة المؤمنة.

فكان ﷺ يلتقي بالمؤمنين سرّاً في دار أم المؤمنين خديجة عليها السلام، أو في شعاب مكة أثناء

(1) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان، ج 8، ص 562، طبعة: دار الفكر، بيروت.



الليل أو في الهاجرة بعيداً عن أنظار مشركي قريش، فيحفظهم القرآن الكريم، ويثير فيهم الفكر للتأمل في آيات الله والتدبر في مخلوقاته، ويعودهم الصبر على الأذى ويروضهم على الانقياد لأوامر الله حتى يُخلصوا لله سبحانه، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: - بعد أن وصف خلق الله لآدم عليه السلام -: «اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويُذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ،...»<sup>(1)</sup>.

وقد ظل النبي ﷺ ثلاث سنين يدعو إلى الله سرّاً، ثم أمر أن يجهر بالأمر فلم يجد إلى جانبه زوجة يضعف قلبها فتنبطه وتخوفه، وتؤثر الراحة وطمانينة البيت على النَّصَب واحتمال الأذى، بل وجد قرينة صالحة القلب كانت لنفسه المقدسة مطيعةً منساقاً على الدوام.

### خديجة عليها السلام ومرحلة الجهر بالدعوة

بعد أن أنذر رسول الله ﷺ عشيرته الأقربين وبلغهم أن الله تعالى أمره أن يدعوهم إليه، بادره أبو لهب بالإعراض عن الهداية، وقام القوم، وتفرقوا عن خاتم النبيين، فبلغ هذا الموقف ملأ قريش وطواغيتهم، مع ما انتشر من أمر الصحابة السابقين، فشاع ذكر الإسلام في مكة، وتحدث به، فأعظمت ذلك قريش، وغضبت له، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغي والحسد، وبادروه العداوة، وطلبوا له الخصومة<sup>(2)</sup>.

وفي هذا السياق يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مكث رسول الله ﷺ بمكة بعدما جاءه الوحي من عند الله تعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مستخفياً خائفاً

(1) عز الدين بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج1، ص113، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق = السير والمغازي، ج1، ص144، طبعة:1، دار الفكر، بتحقيق د. سهيل زكار.

لا يُظهِرُ حَتَّى أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَصْدَعَ بِمَا يُؤْمَرُ، فَأَظْهَرَ حِينَئِذٍ الدَّعْوَةَ»<sup>(1)</sup>، «إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ، وَالنَّاسُ فِي فَتْنٍ اِنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَّتْ الْأُمُرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ فَأَلْهَدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ...»<sup>(2)</sup>، فقام النبي ﷺ برسالته ودعا الناس إلى التوحيد والإيمان بالله عزَّ وجلَّ، وترك عبادة الأصنام والأوثان، وحثَّهم على التحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق، ونهاهم عن الرذائل وقبح الصفات، ووجههم إلى السلم ونبت العنق بعد ما فشي فيهم القتل والسطو والزنا وارتكاب الفواحش، وبعدهما كانوا يأخذون الربا ويشربون الخمر...

ولما قام المصطفى ﷺ يعلن هذه الدعوة لقي تلك الصوادم، وما تلك الصوادم؟ جهل وغرور، وكبرياء وعتو، وقسوة وفظاظة، وتعصّب للمألوف، ونفرة من الوعظ والنصح، وإباء أمام الإنذار، وطغيان وعدوان. فأَيُّ امرأةٍ غير خديجة ترى بعلمها في جوف هذه الغوائل ثم لا تزيده إلا حمداً على القيام بوظيفته وإيناساً بوقوفها معه في وجه كلِّ خصم لدود؟ أودى ﷺ بأنواع الأذى لما أسمعهم الدعوة ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(3)</sup>، تكاثر عليه المفترون، والهازئون به والساخرون منه، فقالوا: هو يطلب الملك علينا، وقالوا عن الوحي الآلهي: هو شعر جاء إلينا، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴿٩٤﴾ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(4)</sup>، فعلوا كل هذا والنبي ﷺ متدرِّع بالصبر،

(1) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الغيبة، ص333، حديث 277، طبعة:1، دار المعارف الإسلامية، قم، والشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج2، ص344-345، وروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قريب من ذلك، يراجع الشيخ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ج1، ص328.

(2) من بيان مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يراجع ابن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج1، ص136، طبعة:1، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

(3) سورة النمل، الآية 14.

(4) سورة الإسراء، الآيات 90-93.

مثارب على الصدع بالأمر، وفي هذا كانت معه الزوجة الشريفة الفاضلة خديجة عليها السلام تعلم محبّي الحق كيف يكون الصبر من أجله، وتهدّي إلى الأجيال الآتية أجمل صورة لثبات الجأش أمام الصعوبات<sup>(1)</sup>. فقد عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وآله أيام المحنة ومرحلة الضيق وسنوات الحصار، وشاركته سني الدعوة بآلامها وأتراحها لا تفارقه ولا تغيب عنه، بل تلازمه وتؤازره في كل شدة، ولا تضعف عن مناصرته، وتطرد الهموم عن قلبه المبارك وعن خاطره الشريف مستوعبةً متفهمَةً عِظَم الرسالة الإلهية التي يحملها صلوات ربّي عليه وعليها.

### ساعة من ساعات أيام خديجة عليها السلام

كانت السيّدة خديجة الكبرى والإمام عليّ عليه السلام في الأيام الأولى لجهر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بدعوته المباركة يمران في أصعب الظروف وأقساها لأن خطر اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله ماثل أمام أعينهما، ويتهدّدهم بين الحين والآخر. الأمر الذي جعل هذين العظيمين، ومن ورائهم الكفيل أبو طالب يواكبون النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ويتصدّون لكل الأخطار المحتملة التي ترافقت مع الإعلان، والصدع، والبلاغ النبويّ.

وقد جاء في رواية تخبر عن حادثة حصلت مع النبيّ صلى الله عليه وآله: «رماه أبو جهل قبّحه الله بحجر فشجّ بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة فتركهم صلى الله عليه وآله حتى أتى الجبل، فاستند إلى موضع يقال له: المتكأ وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: يا عليّ قد قُتل محمد، فانطلق إلى منزل خديجة رضي الله عنها، فدقّ الباب فقالت خديجة: من هذا؟ قال: أنا عليّ. قالت: يا علي ما فعل محمد؟ قال: لا أدري إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحيّ هو أم ميت، فأعطيني شيئاً فيه ماء وخذي معك شيئاً من هيس<sup>(2)</sup>، وانطلقني بنا نلتمس رسول الله صلى الله عليه وآله فإننا نجده

(1) الشهيد عبد الحميد بن محمد شاکر بن إبراهيم الزهراوي، خديجة أم المؤمنين، الفصل الثالث والعشرون، نقلًا عن مجلة المنار، ج13، ص553، بتصرف يسير.

(2) هكذا في النسخة ومصدره، ولعله مُصَحَّفٌ حيس، قال الفيروز آبادي: الحيس: الخلط. تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه، وربما جعل فيه سويق.

جائعاً عطشان، فمضى حتى جاز الجبل وخديجة معه، فقال عليّ: يا خديجة استبطني الوادي حتى أستظهره، فجعل ينادي: يا محمداه، يا رسول الله، نفسي لك الفداء في أيّ وادٍ أنت ملقى؟ وجعلت خديجة تنادي: من أحسّ لي النبيّ المصطفى؟ من أحسّ لي الربيع المرتضى؟ من أحسّ لي المطرود في الله؟ من أحسّ لي أبا القاسم؟ وهبط عليه جبرئيل عليه السلام فلما نظر إليه النبيّ ﷺ بكى، وقال: ما ترى ما صنع بي قومي؟ كذبوني وطرودوني وخرجوا عليّ، فقال: يا محمد ناولني يدك، فأخذ يده فأقعدته على الجبل..... ونظر جبرئيل عليه السلام إلى خديجة تجول في الوادي، فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة قد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فاقربها مني السلام، وقل لها: إن الله يقرئك السلام، وبشرها أنّ لها في الجنة بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب، لؤلؤاً مكللاً بالذهب، فدعاها النبيّ ﷺ والدماء تسيل من وجهه على الأرض، وهو يمسحها ويردّها، قالت: فداك أبي وأمي دع الدم يقع على الأرض، قال: أخشى أن يغضب ربّ الأرض على من عليها، فلما جنّ عليهم الليل انصرفت خديجة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام ودخلت به منزلها، فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة، وأظلتّه بصخرة من فوق رأسه، وقامت في وجهه تستره ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط، وإذا رمي من بين يديه وقته خديجة - رضي الله عنها - بنفسها، وجعلت تنادي: يا معشر قريش تُرمى الحرّة في منزلها؟ فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه...»<sup>(1)</sup>.

كان هذا وصفاً لما جرى في ساعة من ساعات الأيام التي قضتها أم المؤمنين خديجة عليها السلام مع النبيّ الأكرم ﷺ، وعلى مثل هذي الساعة قس ما سواها، وضمّ لذلك ما تختزنه من علمك بأنّ السيدة خديجة عليها السلام وقفت طيلة حياتها المباركة بجانب رسول الله ﷺ تذبّ عنه كلّ ما يمسه من سوء، وتصبره على ما يلقي من قومه من الأذى والتكذيب. ولا

(1) العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج8، ص242، نقلاً عن المنتقى للكارزوني الشافعي.

يغيبنّ عنك كثرة ما رجع إليها الحبيب المصطفى ﷺ وهو مصاب برضوض وجروح من جراء اعتداءات عتاة قريش، وكيف صبرت وصابرت على مكابدة المحن والمصائب، ولم تكن لتزيدها هذه الأحوال إلا صموداً، ولم تكن لتهبها تلك الأهوال إلا قوةً وعزيمةً وثباتاً، وذلك ليستبين للناس صبرهما، ويعظم عند الله أجرهما، وليتعلّم الصادقون من دعاة الإصلاح كيف يقترحمون الشدائد، ويستهيئون بما يعترضهم من المصاعب، وإن كان الله تعالى قادراً على دفع كلّ ألوان الأذى عنهم.

### حرص السيّدة خديجة على النبي الأكرم ﷺ

إنّ الذي يتتبع ما نقله المحدثون والمؤرّخون وأصحاب السير عن مخططات طواغيت قريش لقتل النبي الأكرم ﷺ، ومحاولات اغتياله المتكرّرة يستطيع أن يخرج من ذلك بمجلّد ضخم إذا لم نقل بمؤلّف يقع في مجلدات عدّة. والذين أشبعوا كتب التاريخ والسيرة بحثاً وتنقيباً يعلمون بأننا لم نبالغ في قولنا هذا. والحق أنّ الجريمة التي خطّط لها زبانية قريش وأرادوا تنفيذها ليلة الهجرة النبوية - وأفشلها الله تعالى بمبيت حيدرة الكرار على فراش النبي ﷺ - لم تكن آخر محاولاتهم لتصفية رسول الله ﷺ بل تبتعتها محاولات أخرى في المدينة قد تمّ التخطيط لها على تراب مكّة بجوار البيت الحرام.

لقد كان أبو طالب عليه السلام أيام الحصار في الشعب يأخذ الاحتياطات خوفاً من عتاة قريش «أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً، فكان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب من فراشه، وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه»<sup>(1)</sup>.

لكن إذا عرفنا حال أبي طالب خلال السنوات الثلاث من عمر الحصار الجائر، نتساءل: من هو إذاً صاحب اليد الطولى معهم في حماية الرسول الهاشمي ﷺ وحياطته قبل ذلك؟ إنها مولاتنا الغرّاء خديجة الكبرى صلوات الله تعالى عليها، فقد كانت عليه السلام ومن اللحظات الأولى للبعثة الشريفة حريصةً على النبي الأكرم ﷺ، وعلى كلّ ما يتعلّق به

(1) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج2، ص141، وابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص208، طبعة:1، دار هجر.

أشدَّ الحرص<sup>(1)</sup>، حيث جاء في رواية: أنها خرجت تلتمس رسول الله ﷺ بأعلى مكة، ومعها غداؤه، فلقىها جبريل في صورة رجل، فسألها عن النبي ﷺ، فهابته وخشيت أن يكون بعض من يريد أن يغتاله، فلما ذكرت ذلك للنبي ﷺ قال لها: «هو جبريل، وقد أمرني أن أقرأ عليك السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»<sup>(2)</sup>. تلك هي خديجة وذاك بعض من حالها إبان الدعوة ومجاهدتها مع الرسول ﷺ في سبيل إعلاء كلمة الله عزَّ وجلَّ.

(1) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص102، ترجمة 11092.  
(2) متن الحديث أخرجه جماعة من الحفاظ منهم أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في المستدرک، ج3، ص185، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد، ج9، ص227.

## المفاهيم الأساسية

- كان النبي ﷺ يدعو إلى الاسلام كل من أنس فيه الاستعداد لقبول الدعوة الحقّة، فأسلم خلال جهوده أكثر من أربعين نفرًا من قريش وأبو ذرّ الغفاريّ.
- غمر رسول الله ﷺ بربّه وإحسانه أصحابه الذين قاطعهم ذووهم وكذا الفقراء من المؤمنين. وكان مال خديجة هو مصدر الرسول ﷺ في الإنفاق، فكان يفكّ بمالها الغارم والعاني، ويحمل الكلّ، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه.
- خلال الدعوة السرية، كانت السيّدة خديجة عليها السلام الركن الوثيق الذي اعتمد عليه خاتم النبيين ﷺ في الكثير من الأعمال لا سيما مخاطبة المؤمنات السابقات والتواصل معهنّ.
- هيأت السيّدة خديجة عليها السلام للنبي ﷺ البيت المريح الذي يجد فيه السكينة بعد المشقة، ورعت ذلك البيت المبارك وكل من يلوذ به، فشكّلت البيئة الأسرية المساندة والآمنة التي يحتاجها رسول الله ﷺ لتحقيق أهداف رسالته، حيث كان ﷺ يلتقي بالمؤمنين سرّاً في دارها.
- عندما جاء وقت الجهر بالدعوة، اصطدم رسول الله ﷺ بالكثير من الصوامد من قومه وأقاربه وقاسى الكثير من الأذى ابتداءً بالتكذيب والسخرية وصولاً إلى محاولات القتل. وكانت زوجته الشريفة خديجة عليها السلام تعلم محبّي الحقّ كيف يكون الصبر من أجله، فعاشت معه ﷺ أيام المحنة ومرحلة الضيق، وكانت تلازمه وتؤازره في كلّ شدة، ولا تضعف عن مناصرته.
- يروي لنا التاريخ حادثة مرّة حصلت مع النبيّ والسيّدة خديجة عليها السلام حيث لحق بعض الجهّال المعاندين رسول الله ﷺ يدمونه بالحجارة، فوقته عليها السلام بنفسها وتلقّت الحجارة عنه وأنبتهم حتّى انفكّوا وانصرفوا.
- كانت السيّدة خديجة عليها السلام تخاف دومًا على حياة رسول الله ﷺ، فتخاف أن يتتبّع أحد يبغى قتله، فكانت توصل له الطعام خفية سرّاً إلى حيث هو ولا تُطلع أحداً يسألها عن مكانه.

## الدرس الثاني والعشرون:

# السيدة خديجة عليها السلام من ولادة السيدة فاطمة عليها السلام إلى الوفاة

### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف إلى قصة حمل وولادة السيدة خديجة  
السيدة فاطمة عليها السلام.
- يشرح دور السيدة خديجة عليها السلام إبان حصار  
المسلمين في شعب أبي طالب.
- يذكر حادثة وفاة السيدة خديجة عليها السلام.





## ولادة السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

بعد زواج السيِّدة خديجة عليها السلام من الرسول ﷺ هجرنها نساء مكة وكن لا يكلمنها ولا يدخلن عليها ولا يتركن أحداً يدخل عليها، فما كان لها من رفيق ولا أنيس في غياب رسول الله ﷺ عن المنزل. فلما حملت بالزهراء عليها السلام كانت إذا خرج النبي ﷺ من منزلها تكلمها وهي في ظلمة أحشائها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل النبي ﷺ يوماً فسمع خديجة تُحدث فاطمة، فقال لها: «يا خديجة من تُحدثين؟» قالت: «الجنين الذي في بطني يُحدثني ويؤنسي»، قال: «يا خديجة هذا جبرئيل يُشّرني أنها أنثى وأنها النسل الطاهرة الميمونة وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمةً ويجعلهم خلفاءه في أرضه»<sup>(1)</sup>.

وبعد أن تمت أشهر حمل السيِّدة خديجة وحضرتها الولادة، امتنعت نسوة قريش عن مساعدتها وأرسلن إليها: «أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له فإرسلنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً».

فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك حيث تركت وحيدةً في هذا الظرف الصعب، لكن الله عز وجل أبى إلا أن يطيب خاطرها ويكرمها مزيد تكريم، فأرسل إليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعتهن منهن لما رآتهن، فقالت إحداهن: «لا تحزني يا خديجة أرسلنا ربك إليك ونحن أخواتك أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص594.

لِنَلِي مِنْكَ مَا تَلِي النِّسَاءَ». فَجَلَسْنَ حَوْلَهَا فَوَضَعَتْ فَاطِمَةُ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً فَلَمَّا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ أَشْرَقَ مِنْهَا النُّورُ حَتَّى دَخَلَ بُيُوتَاتِ مَكَّةَ وَلَمْ يَبْقَ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَلَا غَرْبِهَا مَوْضِعٌ إِلَّا أَشْرَقَ فِيهِ ذَلِكَ النُّورُ...

وَقَالَتِ النِّسَاءُ: «خُذِيهَا يَا خَدِيجَةُ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً زَكِيَّةً مَيْمُونَةً بُورِكَ فِيهَا وَفِي نَسْلِهَا»، فَتَنَاوَلَتْهَا فَرِحَةً مُسْتَبْشِرَةً وَأَلْقَمَتْهَا نُدْيَهَا فَدَرَّ عَلَيْهَا، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَنُمُو فِي الْيَوْمِ كَمَا يَنُمِي الصَّبِيُّ فِي الشَّهْرِ وَتَنُمُو فِي الشَّهْرِ كَمَا يَنُمِي الصَّبِيُّ فِي السَّنَةِ<sup>(1)</sup>.

### السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ ومقدمات الحصار

خاطب الله سبحانه وتعالى حبيبه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلاً: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾<sup>(2)</sup>، فقام مولانا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممتثلًا أمر ربه عزت آلاؤه، وكان كما وصفه الإمام أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طبيب دَوَّارٍ بَطْبَهُ، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وأذان صم، وألسنة بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة...»<sup>(3)</sup>.

ولما رأت قريش ذلك، وأن المؤمنين به يستهينون بكل الآلام والبلاء في سبيل دينهم وعقيدتهم، كشرت عن أنيابها، واشتد البلاء على الذين آمنوا لكثرة ما لقوه من رؤوس الشرك وزبانيتهم. فلما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يصيب الذين آمنوا، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من العذاب بسبب الوضع العشائري السائد في مكة آنذاك، وحسد معظم عشائرها لبني هاشم، خاطب أصحابه قائلاً: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»<sup>(4)</sup>.

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص 594-595.

(2) سورة الشورى، الآية 7.

(3) عز الدين بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج 7، ص 183.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 321-322، وابن كثير، السيرة النبوية، ج 2، ص 4.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، ومن ثم تبعت هذه الهجرة بعد مدة من الزمن هجرة ثانية قام بها قسم آخر من المسلمين المستضعفين إلى الحبشة، فلما رأت قريش أنهم قد نزلوا أرضاً أصابوا بها أماناً من خلال حماية النجاشي لهم، وأن الإسلام فشا في القبائل، وبدأت دعوة النبي ﷺ يعلو شأنها، وانتقل المسلمون إلى مرحلة الجهر بالتوحيد علانية طاش من قريش صوابها، فأجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ.

ثم بلغ ذلك عمه أبا طالب عليه السلام، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأجابوه وأعلنوا منعهم للنبي المصطفى ﷺ، وهدد أبو طالب بالحرب، فعرفت قريش أنه لا سبيل لها إلى النبي الهاشمي ﷺ، «فاجتمعت قريش وكنانة في المحصب، حيث تقاسموا على الكفر<sup>(1)</sup>، وذلك ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وتعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب: «ألا يزوجوا إليهم، ولا يتزوجوا منهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم شيئاً، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم»<sup>(2)</sup>.

وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهودهم ومواثيقهم، وعُلقت هذه الصحيفة الظالمة في جوف الكعبة تأكيداً على التزام ما فيها إلى أن يُسلم لهم بنو هاشم رسول الله ﷺ، ليقتلوه ويمثّلوا به. وفي هذا الظرف العصيب كان للسيدة خديجة عليها السلام الدور المشرف في تفادي أضرار هذا الحصار، فلم تتردد أم المؤمنين عليها السلام لحظة واحدة في ترك منزلها المريخ والخروج مع زوجها العظيم إلى شعب أبي طالب، وتعيش مع النبي المختار ﷺ بين جبلين وعرين، وتوفّر من خلال وجودها هناك للمحاصرين معه مستلزمات الصمود، ولا بأس عندها في أن تفتش الحصباء وتلتحف السماء بجوار المصطفى ﷺ، وتُعاني وإياه الحرّ والقرّ، وتكابد برفقته الجوع والفقر، وتعايش معه البلاء والضعف، وتحمل المشاق والمصاعب، ما دام ذلك كله بعين الله وفي سبيل طاعته ومرضاته.

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص148، حديث 1590، باب: نزول النبي ﷺ مكة، طبعة: 1، دار طوق النجاة.

(2) محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج2، ص147، وكل أصحاب السير الذين ذكروا حصار قريش لبني هاشم...

## حصار بني هاشم في شعب أبي طالب

رأت قريش أن النبي الأكرم ﷺ وبقية أصحابه الذين لم يغادروا مكة قد استندوا إلى الركن الوثيق - مولانا أبي طالب ﷺ - فكان لهم نعم الكفيل. وسمعت قريش أقواله الفاصلة وأشعاره الواضحة التي أنشأها في منعة النبي ﷺ وتهديده لقريش بالحرب، «ورأوا منه الجدّ وآيسوا منه، فأبدوا لبني عبد المطلب الجفاء، فانطلق بهم أبو طالب، فقاموا بين أستار الكعبة، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم وفي قطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم، وتناولهم سفك دمائهم، فقال أبو طالب: اللهم إن أبي قومنا إلا النصر علينا، فعجل نصرنا، وحل بينهم وبين قتل ابن أخي، ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه، فقال أبو طالب: ندعو ربّ هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم، والله لتنتهنّ عن الذي تريدون، أو لينزلنّ الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون، فأجابوه إنكم يا بني عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلا على قتل هذا الصابئ السفیه - فتيقن أبو طالب أن قومه مصرّون على قتل النبي ﷺ - ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه، وبني أبيه، ومن اتّبعتهم»<sup>(1)</sup>.

ولأنه ما أودى النبي ﷺ أذية قطّ إلا وكان وقعها الأكبر على قلب أمنا خديجة ؓ، فقد سارعت كعادتها للنهوض بمهمّة تأييد الرسالة ومساندة الصادق الأمين وعشيرته الأكرمين، فشاركته الجهاد المرّ، وبذلت مالها لترغد من في الشّعب، وفصّلت ضيق الحياة وخشونتها معهم على رغد العيش، وطيب النعمة في جوار عشيرتها بني أسد، وبقية بطون قريش الذين قطعوا عن المحاصرين كلّ مقومات العيش، ووضعوا عليهم الجواسيس والحراس، فلم يدعوا أحداً من الناس يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً ممّا يرفق بهم، وكان المحاصرون يخرجون من الشعب إلى الموسم، فكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق، فيشترونها ويغلوونها عليهم، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: «أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه... وحولوا بينهم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد فليشترِ وعليّ

(1) محمد بن اسحاق، سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي، ج1، ص158-159.

النقد، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون<sup>(1)</sup> من وراء الشعب<sup>(2)</sup>، والتجأوا إلى أكل ورق الشجر ونبات الأرض. وعلى الرغم من ذلك فقد واجه بنو هاشم، وبنو المطلب، هذه الحرب الاجتماعية والاقتصادية بشجاعة وصر، وأبوا أن يعطوا الدنية في هذا الامتحان الشديد. وفي جميل بلائهم وجميل عنائهم قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهمُّوا بنا الهمومَ، وفعلوا بنا الأفاعيل؛ فمنعونا الميرة<sup>(3)</sup>، وأمسكوا عنا العذب، وأحلسونا الخوف، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربوننا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلوه ويُمثلوا به؛ فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف بالليل والنهار، فمؤمنا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامي به عن الأصل؛ فأما من أسلم من قريش بعد؛ فإنهم ممّا نحن فيه أخصياء؛ فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه؛ فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن، فكان ذلك ما شاء الله أن يكون»<sup>(4)</sup>.

### صور من مواقف خديجة عليها السلام

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه وجليل خطابه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِكَ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(5)</sup>.

أنفق المحاصرون في شعب أبي طالب كل ما يملكون، ثم مرّت عليهم الشهور والأيام

(1) يصيح أطفالهم ويصرخون بسبب الجوع، وأصواتهم تسمع من بعيد.

(2) محمد بن اسحاق، سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي، ج1، ص159.

(3) الطعام والأرزاق التي كانت تُحمل، وتجلب من بلد إلى آخر، فيشتريها الناس لمعاشهم، وتتخذ منها المؤونة.

(4) عز الدين بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج14، ص47+15، ص77.

(5) سورة الحديد، الآية 10.

أكثر قساوةً من ذي قبل، وبالأخصّ بعد تضيق قريش للحصار الظالم ليتنازلوا عن موقفهم المبدئيّ تجاه النبيّ ﷺ.

واشتدّت الحاجة حينئذٍ إلى ثروة السيّدة خديجة الكبرى ﷺ، حيث قلّ الطعام، ونقص الزاد، وجهد المسلمون وحلفاؤهم من جرّاء سياسات قريش التي اتّبعتها لإدارة هذا الحصار الخانق. وفي هذا الظرف العصيب يمكننا أن ندرك شيئاً ممّا أرادته مولانا رسول الله ﷺ بقوله: «ما نفعني مال قطّ مثل ما نفعني مال خديجة»<sup>(1)</sup>.

وبوسع المرء أن يقدر خطورة الموقف وصعوبته إذا عرف أنّ هذا الحصار الجائر قد استمرّ على هذا النحو لثلاث سنين بالتمام والكمال كانت فيها أموال السيّدة خديجة ﷺ تُستثمر في معركة الحياة أو الموت هذه لتجهيز الممكن من الطعام ولو بأعلى الأثمان بغية إنقاذ حياة المحاصرين والمستضعفين من المسلمين حيث لم يكن يصل إليهم شيء إلاّ سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش. ويظهر من بعض الأخبار أنّ أمّ المؤمنين خديجة ﷺ استعانت بابن أخيها التاجر حكيم بن حزام بن خويلد لتزويد المحاصرين بالقمح<sup>(2)</sup>، وأنّه كانت تأتيه العير يحمل عليها الحنطة من الشام، فيقبلها الشعب ثم يضرب أعجازها، فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من الحنطة<sup>(3)</sup>.

وذكر أنّ أبا جهل لقي حكيم بن حزام، ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمّته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب، فتعلّق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتّى أفضحك بمكّة، فجاء أبو البخترى بن

(1) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، ص468، المجلس السادس عشر، بسنده إلى عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه - أبي رافع مولى رسول الله -، عنه ﷺ.

(2) علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق، ج15، ص104.

(3) هذه إحدى الطرق التي كان يعتمد عليها حكيم بن حزام لإدخال الميرة إلى شعب أبي طالب، ومن تتبّع ما ورد في سيرته يعلم أنّ الرجل كان تاجراً حاذقاً ومخضرمًا، ولكن المعروف من سيرة رسول الله ﷺ أنه لم يكن يقبل من المشركين شيئاً إلاّ بثمنه، فذات مرة اشترى حكيم حُلّة ابن ذي يزن، وأهداها للنبي ﷺ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: «إني لا أقبل هدية مشرك» قال حكيم، فجزعت جزعاً شديداً حين زهد هديتي، فبعثها بسوق النبط من أول سائم سامني، ودس رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فاشتراها، وقد تأخر إسلام حكيم بن حزام إلى يوم فتح مكة، وطلب من النبي ﷺ يوم حنين مائتين من الإبل، فأعطاه رسول الله ﷺ من سهم المؤلّفة قلوبهم، ووجهه بالابتعاد عن الجشع، يراجع المصدر السابق، ج15، ص102-110.

هشام بن الحارث بن أسد، فقال: ما لك وله؟ قال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: طعام لعمته عنده بعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لحي بعير، فضربه فشجّه ووطئه وطفناً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشتموا بهم»<sup>(1)</sup>.

«وخرج العباس بن عبد المطلب من شعب أبي طالب ليشتري طعاماً، فأراد أبو جهل أن يسطو به، فمنعه الله منه، وأرسلت خديجة بنت خويلد إلى زمعة بن الأسود: إنّ أبا جهل يمنعنا من ابتياع ما نريد؛ فأسمع أبا جهل كلاماً»<sup>(2)</sup>. وكان زمعة فيما بعد ممّن قاموا في وجه أبي جهل وأعوانه للمساهمة بفكّ ذلك الحصار الظالم الذي لم يستطع المحاصرين فيه صدّ المحاصرين وثنيتهم عن دين الله، ولا عن نصره رسول الله رغم موت جماعة منهم»<sup>(3)</sup>.

وبعد أن سطر بنو هاشم وبنو المطلب بمقاومتهم أروع صفحات الصمود انتهى ذلك الحصار الرهيب بإبطال صحيفة الظلم والجور، وخرج المحاصرون بجباه مرفوعة أعزّة منتصرين يتقدّمهم النبيّ المصطفى صلوات الله عليه.

### على سرير الاحتضار

انتهى الحصار الذي فرضته قريش على النبيّ الأكرم ﷺ وكل من حامى دونه، وكان ذلك على القول الراجح في المحرم من السنة العاشرة للبعثة النبوية. وفي أواخر تلك السنين العشر الشداد توفيّ سيد البطحاء أبو طالب، وكان على سرير الاحتضار شخص آخر عزيز جداً عند المؤمنين، ذلك كان شخص سيّدتنا ومولاتنا خديجة عليها السلام، التي لم تلبث إلا أياماً

(1) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص550، وأبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص272، طبعة:2، دار الفنائس، بيروت، وابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص88، وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص181.

(2) أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص235.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص234، بسنده إلى مجاهد عن عبد الله بن عباس قال: «حصّرنّا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة، حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فما يُباع شيئاً، حتى مات منا قوم».



معدودة من شهر رمضان المبارك<sup>(1)</sup> حتى اعتلت وطاف بها شبح الموت واشتد بها المرض، فكانت طريحة الفراش، ورسول الله ﷺ إلى جانبها يراها ويقوم على خدمتها، ويخفف عنها ويذكرها بما وعداها الله به في الجنة من نعيم، ويحوطها بعطفه وحنانه وشفقته ورأفته، ويؤنس وحشتها ويقف إلى جوارها لحظة الاحتضار.

وما أصعبها على قلبه الشريف وهو يرى أن وداعها قد حان، وأنها الآن أوشكت على الفراق الذي لا بد منه. وقد روي أنه كان يخاطبها في تلك اللحظات: «أقدمي خير مقدم يا خديجة، أنت خير أمهات المؤمنين وأفضلهن، وسيدة نساء العالمين إلا مريم وآسية امرأة فرعون. أسلمتكم يا خديجة على كره مني، قد جعل الله للمؤمنين بالكره خيراً كثيراً. الحقني يا خديجة بأمرك حواء في الجنة، وبأختك سارة أم إسحاق التي آمنت بالله جل جلاله.... أقدمي يا خديجة على أختك أم موسى وهارون التي ربط الله على قلبها بالصبر لتكون من المؤمنين..... وأقدمي على أختك كلثم بنت عمران أخت موسى وهارون....، وأقدمي على أختيك يا خديجة؛ على آسية ومريم، لا مثيل لهما من نساء العالمين، وقد جعلهما الله مثلاً للذين آمنوا من الرجال والنساء، يقتدي بهما كل مؤمن ومؤمنة...»<sup>(2)</sup>.

وبينما الحال كذلك فاضت نفس أم المؤمنين خديجة الكبرى ﷺ، بين يدي رسول الله ﷺ، وأسلمت الطاهرة روحها لبارئها لتمضي راضية مرضية مبشرة ببشائر الصادق الأمين لها: ﴿فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿١٠﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾<sup>(3)</sup>.

وبعد وفاة خديجة ﷺ كانت السيدة فاطمة ﷺ تلوذ بأبيها ﷺ وتدور حوله،

(1) أجمع المؤرخون وأصحاب السير على أن وفاة السيدة أم المؤمنين خديجة الكبرى ﷺ كانت بعد فك الحصار وخروجها إلى دارها، واتفقوا على أنها توفيت وأبو طالب ﷺ في عام واحد سُمي بعام الحزن وعُرف به في السيرة والتاريخ، لكنهم اختلفوا في مدة بقائها على قيد الحياة بعد انتهاء الحصار، والذي عَيَّن ميقاناً لوفاتها قد قال: توفيت خديجة لعشر خلون من شهر رمضان في السنة العاشرة للبعثة النبوية قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهو القول الأشهر في وفاتها ﷺ.

(2) الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، مقتل الحسين ﷺ، ص 52-54، من جملة حديث طويل يتضمن دخول رسول الله ﷺ على خديجة ﷺ حينما حضرته الوفاة، وقد رواه المصنف بسند ضعيف إلى أبي أمامة عن النبي ﷺ إلا أن له شواهد عديدة رواها بعض الحفاظ كأبي القاسم الطبراني في معجمه.

(3) سورة القمر، الآيتان 54-55.

وتقول: «أبه أين أمي؟» فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال له: «ربك يأمرك أن تقرئي فاطمة السلام، وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران»، فقالت فاطمة عليها السلام: «إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام»<sup>(1)</sup>.

وحزن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على فراق زوجته الصابرة الوفية حزناً يفتت الأكباد، وكانت مصيبته بفقدائها من أشد المصائب التي مرّت به. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتغسيل أم المؤمنين وتكفينها «فغسّلت خديجة أم أيمن وأم الفضل زوجة العباس»<sup>(2)</sup>.

وشيّعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بقي من الصحابة في مكة، وبنو هاشم وبنو أسد، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبرها، وكان أول قبر ينزل إليه، ووضعها في لحدّها بيديه الشريفتين في الحجون مقبرة أهل مكة<sup>(3)</sup>، ورثاها وأبا طالب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال:

أَعَيْنِي جُوداً بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا  
عَلَى هَالِكَيْنِ لَا تَرَى لَهُمَا مِثْلًا  
عَلَى سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ وَابْنِ رَيْسِهَا  
وَسَيِّدَةِ النِّسْوَانِ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى  
مُهَذَّبَةً قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ حَيْمَهَا  
مُبَارَكَةً وَاللَّهُ سَاقَ لَهَا الْفَضْلَا  
لَقَدْ نَصَرَ فِي اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ  
عَلَى مَنْ بَغَى فِي الدِّينِ قَدَرَعِيًّا إِلَّا<sup>(4)</sup>

(1) أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ج1، ص139، حديث رقم 440، بسنده عن مولاتنا الطهر البتول فاطمة عليها السلام، والشيخ الطوسي، الأمالي، ص175، المجلس السادس، بسنده عن حفيدها الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

(2) تقي الدين المقرئ، إمتاع الأسماع، ج6، ص30، طبعة: 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) قال محمد بن عبد الله الأزرق: قال جدي: لا نعلم بمكة شعباً يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة، فإنه يستقبل وجه الكعبة كلّ مستقيماً... وساق بعضاً مما ورد في السنة مما يدل على منزلة هذا المكان، وتفضيله على كثير من بقاع مكة وغيرها من الأراضي، يراجع أخبار مكة، ج2، ص209، طبعة: دار الأندلس للنشر، بيروت.

(4) ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ص85، طبعة: 1.

ومن كرامة أم المؤمنين خديجة عليها السلام على النبي ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها أولاد عدّة، ولم يتزوج عليها قط، إلى أن قضت نحبها، فوجدَ لفقدها، فإنها كانت نعم القرين<sup>(1)</sup>. وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها، فسلام الله على روحها الطاهرة حيّة وميتة.

(1) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص110.

## المفاهيم الأساسية

- بعد أن تمت أشهر حمل السيدة خديجة وحضرها الولادة، اغتمت خديجة لامتناع نساء قريش عنها، فأرسل الله إليها من الجنة سارة وآسية ومريم وكلثوم ليقمن بأمرها، ثم ولدت فاطمة عليها السلام ونطقت بالشهادتين.
- بعد أن ألحقت قريش الأذى بالمسلمين بشكل كبير أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة للحفاظ على حياتهم والأمن على أنفسهم، ففعلوا.
- لما رأت قريش أن عود الاسلام قد اشتدّ وبدأ المسلمون بنشر عقائدهم بشكل علني، اتخذت قراراً بمحاصرة بني هاشم والمسلمين حتى يسلموا النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، فتعاقدوا على أن لا يزوجهم ولا يتزوجوا منهم ولا يتاعوا منهم ولا يبيعوهم فقاطعوهم اقتصادياً واجتماعياً فلجأوا إلى شعب أبي طالب.
- صمد المسلمون أمام حصار قريش القاسي، وفضلت السيدة خديجة عليها السلام الصمود مع النبي صلى الله عليه وسلم في الشعب على رغد العيش مع قبيلتها، وقد كان لها ومالها الدور الكبر في الحفاظ على حياة المسلمين من الموت جوعاً.
- استمر الحصار ثلاث سنين. وقد استعانت السيدة خديجة عليها السلام بابن أخيها التاجر حكيم لتزويد المحاصرين بالقمح.
- لما خرج العباس بن عبد المطلب ليشتري طعاماً، أراد أبو جهل أن يسطو به، فمنعه الله منه، وأرسلت خديجة إلى زمعة أن يُسمع أبا جهل كلاماً بسبب أعماله.
- انتهى الحصار الذي فرضته قريش على النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم والمسلمين في السنة العاشرة للبعثة النبوية، وفي أواخر تلك السنين توفي أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم.
- لم تلبث مدة طويلة حتى خيم الحزن على النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، إذ صارت خديجة عليها السلام طريحة الفراش ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانبها يرهاها ويقوم على خدمتها، إلى أن توفيت.
- حزن النبي صلى الله عليه وسلم على فراق زوجته الصابرة الوفية حزناً يفتت الأكباد، وكانت مصيبتة بفقدائها من أشدّ المصائب التي مرت به، ثم شيّعها ودفنها في الحجون.



## الدرس الثالث والعشرون:

# السيدة خديجة عليها السلام والنبى محمد صلى الله عليه وسلم : حبُّ خالد

### أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرّف مكانة السيدة خديجة في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم.
- يشرح بعض المواقف التي بين فيها الرسول صلى الله عليه وسلم محبته لخديجة عليها السلام.
- يذكر بعض المواقف التي بين الرسول صلى الله عليه وسلم فيها عرفانه بجميل خديجة عليها السلام.



## تمهيد

إنَّ للسيدة أم المؤمنين خديجة مكانة مرموقة ومنزلة رفيعةً عند الله تعالى. وقد تجلّت بوضوح الأدوار العظيمة الذي قامت بها أمُّ المؤمنين الكبرى منذ أول يوم نزل عليه الوحي الإلهي مؤذناً بنشر نور الرسالة الخاتمة. واستمرت عليها السلام تحيا بحياة الرسالة المحمدية وتستهن في سبيلها بكلِّ المصاعب والمحن التي واجهتها. وقد بذلت في هذا الطريق كلَّ ما أنعم الله عليها به.

وهذا يبيِّن مدى التفاوت بينها وبين باقي أمهات المؤمنين، فخديجة عليها السلام بذلت للإسلام كلَّ ما تملك يوم كان الإسلام وحيداً، بينما احتجّت أمهات المؤمنين الأخريات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بعد أن عمّت كلمة الإسلام جميع البقاع، وطالبن بزيادة النفقة وتوسيع المعيشة عليهنَّ. وهذا الفارق وغيره الكثير من الفوارق جعل مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم الحنين إلى خديجة عليها السلام حتى آخر يوم من حياته الشريفة، فكان صلى الله عليه وآله وسلم دائم الذكر لها والثناء والترحم عليها، وأبقى ذكراها العطرة حيّةً في روحه وفي وجدانه، ولم تستطع أيّ من زوجاته أن تداني مكانتها في نفسه، وظلَّ يحفظ لها إخلاصها وإيمانها ومواقفها، ويشكر لها ولاءها ومواساتها إلى آخر عمره الشريف.

والحقُّ أنّ هذه المنزلة السامية لأمِّ المؤمنين خديجة عليها السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّما كانت باستحقاق ظاهر لا يخفى حيث تفرّدت عن جميع نساء زمانها في اتّصافها بكلِّ فضل وفضيلة. وقد تمّت لها الكمالات الباهرة، وامتدّت أنوارها المتكاثرة لتضيء سماء الإسلام وأهله.



## كثرة ذكر النبي ﷺ للسيدة خديجة ؑ

تنقل لنا الأخبار بعضاً مما نقل عن حالات وفائه ﷺ لأم المؤمنين خديجة الكبرى ؑ. وكفى بذلك تقريراً لهذه

الحقيقة وتأكيداً لها، فقد رعى خديجة حيّةً وميتةً، وقام بعد موتها بكل ما يعلم أنه يدخل السرور على قلبها المبارك كما لو أنها كانت ما تزال على قيد الحياة. وكان ﷺ يُكرم أهلها وذويها وصديقاتها؛ برّاً بها، وكان يمضي عهدها القديم بعد موتها، ويسير بسيرتها المحمودة في علاقتها مع أهلها وخلاتها وجيرانها ومعارفها تماماً كما لو أنها معهم حاضرة.

ولم يُعرف عنه ﷺ أنه حزن على أحد قطّ أشدّ من حزنه على فراق أم المؤمنين خديجة ؑ، ولا أكثر من ذكر أحد قطّ بعد وفاته كما كان يكثر من ذكر أم المؤمنين خديجة الكبرى ؑ، يؤكد ذلك ما روي في صحيح أخبار سيرته وأحواله حيث كان ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها<sup>(1)</sup> «ولم يكن يسأم من كثرة الثناء عليها والاستغفار لها»<sup>(2)</sup>.

ولم يكن لسانه الشريف يفتّر عن الدعاء لها وتذكر جميلها وحقوقها عليه. والمتتبع للأحاديث التي وردت في وصف أحوال رسول الله ﷺ بعد وفاة أم المؤمنين خديجة ؑ يرى بوضوح كيف أنّ النبي الأكرم ﷺ كان لا يملّ من ذكر حبيبته خديجة ومآثرها، فيُعالي شأنها ويحفظ لها وُدّها، ويشكر صُحبَتها، ووفاءها وأيادها البيضاء الحانية على الإسلام وأهله.

ولا شك أنّ كثرة ذكر النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة الكبرى ؑ تدلّ على كثرة محبّته لها، فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره. وهذا من جملة الأسباب التي جعلت إحدى

(1) محمد بن الحسين الأجرّي، الشريعة، ج5، ص2193، حديث رقم 1681، باب ذكر غضب النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها، وحسن ثنائه عليها، وابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب، ج4، ص1824، ترجمة رقم 3311، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج8، ص103، ترجمة رقم 11093، وابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص84، ترجمة رقم 6867.

(2) الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص13، حديث رقم 21، مناقب خديجة رضي الله عنها.

زوجات النبى صلى الله عليه وسلم تغار منها مع أنّها لم تجتمع هي وإياها في مكانٍ واحدٍ، أو تشترك هي وإياها في رسول الله حال حياتها، ومع ذلك غارت من السيدة خديجة الكبرى لكثرة ما كانت تسمع من ثناء النبى صلى الله عليه وسلم عليها، وقد صرّحت بذلك فقالت: «ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها وثنائه عليها<sup>(1)</sup>.

وقالت أيضاً: «ما غرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربّما قلت له: «كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة»، فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية أنّ أمّهات المؤمنين اجتمعن ذات مرّة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحدقن به وقلن: فدينك بأبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الأحياء لقرت بذلك عينها. قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «خديجة، وأين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذبتني الناس، وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها. إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب»، قالت أم سلمة: فقلنا: فدينك بأبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنّها قد مضت إلى ربّها، فهنّأها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في درجات جنّته ورضوانه ورحمته<sup>(3)</sup>.

(1) كانت تغار من نساء النبى صلى الله عليه وسلم لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك، وأنه لكثرة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم إياها... وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة، وقال القرطبي: مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها. قلت (ابن حجر): وقع عند النسائي من رواية النضر بن شميل عن هشام - عن أبيه عن عائشة -: «من كثرة ذكره إياها وثنائه عليها»، فعطف الثناء على الذكر من عطف الخاص على العام، وهو يقتضي حمل الحديث على أعم مما قاله القرطبي، وقولها: «وأمره الله أن يبشّرنا إله» وهو أيضاً من جملة أسباب الغيرة، لأن اختصاص خديجة بهذه البشرى مشعر بمزيد محبة من النبى صلى الله عليه وسلم فيها، ووقع عند الإسماعيلي من رواية الفضل بن موسى عن هشام بن عروة بلفظ: «ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة حين بشرها النبى صلى الله عليه وسلم ببيت من قصب». يراجع ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج7، ص136.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1389، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة، حديث رقم 3607.

(3) الموفق بن أحمد البكري الحنفي الخوارزمي، المناقب، الفصل العشرون، ج1، ص350، طبعة: 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، وعلي بن عيسى الإرزلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج1، ص360، طبعة: 1، بني هاشمي، تبريز.

والمتدبر في ما قدمناه يلحظ كيف كانت أم المؤمنين خديجة عليها السلام تملأ حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد مماتها. ولكم أن تتصوّروا والحال هذا كيف كانت في حياتها صلوات الله عليها. هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد أن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ومن خلال قوله: «خديجة، وأين مثل خديجة»، ومن كثرة ذكره وثنائه عليها، وإشادته بفضلها ومكانتها، كأنما يريد لفت نظر المرأة المسلمة إلى الأسوة الحسنة والقودة العظيمة التي ينبغي لها أن تقتدي بها في كل مجالات حياتها.

### حبّ خديجة عليها السلام رزق من الله

أحبّ مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة النساء خديجة عليها السلام وأحبته، وكان إخلاصها الفريد، وإيمانها العظيم، وحبها الفياض حرياً بأن يقابله النبي المصطفى صلى الله عليه وآله بما يستحقّ من الحبّ والإخلاص والتكريم والوفاء. وهذا ما حصل بالفعل، فقد بلغ من حبّه لزوجه خديجة الكبرى عليها السلام، وعظيم مكانتها في نفسه الطاهرة أن لا يفارقه حبّها حتى بعد موتها، وكان صلى الله عليه وآله يجرّ بذاك الحبّ العظيم ويفتخر به، ويُعدّه من فضل الله تعالى عليه، ورزقه المقسوم له، وقد تجلّى التعبير النبويّ عن ذلك مرّاتٍ ومرّاتٍ فكان يقول: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»<sup>(1)</sup>.

وهذا كلامه صلى الله عليه وآله بعين لفظه، فتأمل قوله: «رُزِقْتُ»- ولم يقل أحبّها- تجد فيه ما فيه من غاية التعظيم ونهاية التفخيم، وليس في لغات البشر كلّها أدلّ من هذا الحديث على المكانة السامقة والمنزلة الأثيرة للسيدة أم المؤمنين خديجة عليها السلام في نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث اعتبر أنّ حبّها رزق الله إليه قد أعطيه، وطُبع عليه. ومن البديهيّ وحيث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو إمام الشاكرين، أن يُحدث للوهّاب شكراً على رزقه الكريم وعطائه العظيم. وهذا ما لا يعلم مبلغه إلا الله عزّت آلاؤه.

(1) مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مُسلم، ج4، ص1888، حديث رقم 2435-75، باب:- 12 فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

## على حب أم المؤمنين خديجة عليها السلام

أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدتنا خديجة عليها السلام، فكان من تبعات حبه لها أن أحب من يحبها، وأحب من كانت هي تحبه، ولا غرابة فإن محبوب المَحْبُوبِ مَحْبُوبٌ، وما روي عن عائشة خير شاهدٍ على ذلك، فإنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة». وصرح قائلاً يوماً: «إني لأحب حبيبها»<sup>(1)</sup>.

وروى أنس بن مالك فقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالشيء<sup>(2)</sup> يقول: «أذهبوا به إلى فلانة، فإنها كانت صديقة خديجة، أذهبوا به إلى فلانة، فإنها كانت تحب خديجة»<sup>(3)</sup>. لقد كان حب النبي صلى الله عليه وسلم لأمتنا خديجة عليها السلام واضحاً جلياً يعرفه كل من صحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال تعلق النبي صلى الله عليه وسلم الدائم بذكرها، وإكرام كل ما يمت إليها بصلة من أجلها. وعلى الرغم من أنه تزوج بعد وفاتها عليها السلام بنسوة عدة إلا أن السيدة خديجة عليها السلام بقيت دائماً هي الأقرب إلى روحه، ومن أجدر منها بأن تحتل في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حياته مكان الصدارة والقرب؟

ولسائل أن يسأل: لماذا يصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحب ويجهر به؟ أو لماذا لم يخف النبي صلى الله عليه وسلم حبه الشديد لخديجة عليها السلام حتى لا تشعر نساؤه بكل تلك الغيرة؟ ولماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكر خديجة ويثني عليها كل ذلك الثناء؟

والجواب عنه أن الأمر مع أم المؤمنين خديجة عليها السلام يختلف، فهي أعظم أمهات المؤمنين قدراً، وكثرة ذكرها، والتحدث عن أفضالها ومآثرها هما من لوازم الدين الذي يجب تبليغه للأمة حيث إنها وزيرة الصدق في الإسلام والشخص الثاني فيه، ونبى الإسلام يريد لفت نظر المرأة المسلمة إلى الأسوة الحسنة والقذوة الصالحة التي ينبغي لها أن تقتدي بها، وعدم التحدث عن أم المؤمنين خديجة وخصالها الحميدة ومناقبها المجيدة، وجهدها وجهادها يكون من باب كتمان العلم الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه.

(1) الحافظ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، ص103، ترجمة رقم 11093.

(2) منبى للمجهول؛ أي: أتاه أحد بهديّة.

(3) محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، ج1، ص90، حديث 232، طبعة:3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، وأبو بشر

الدولابي، الذرية الطاهرة، ج1، ص41، حديث رقم 40، والحاكم، المستدرک، ج4، ص193، حديث رقم 7339.

## نغمة شبيهة بصوت خديجة عليها السلام

تظهر لنا صفحة من صفحات حياة النبي الكريم ﷺ في وفائه لأم المؤمنين خديجة الكبرى من خلال تأثره إذا سمع صوتاً يشبه صوتها. فقد روي عن إحدى زوجاته أنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك - حيث تذكّر صفة استئذان مولاتنا خديجة لشبه صوت هالة بصوت السيّدة خديجة، فهشّ لمجيئها وسرّب بها، فقد ذكّرته فجأة بصوت أحبّ الناس إلى قلبه -، فقال «اللهمّ هالة بنت خويلد»<sup>(1)</sup>.

وفي لفظ الرواية التي أخرجها البخاري فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، وقال: «اللهمّ هالة»<sup>(2)</sup>. وهذا يدلّ على أنّه ﷺ ترك القيلولة وأسرع للقاء هالة بنت خويلد، وقد تغيّر حاله من السرور الذي حصل له، وذلك لما وضع الله لخديجة في قلبه من المحبة، وأصل هذا كله: أنّ من أحبّ محبوباً أحبّ محبوباته، وما يتعلّق به وما يشبهه، وما يذكره به.

## حفظ عهد خديجة عليها السلام

من خلال حفظ النبي الأكرم لعهد أمّ المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام يعلمنا ﷺ حسن الودّ ورعاية حرمة صاحب والعشير ولو كان ميتاً، كما يحثنا على الاحتفاظ بالفضل لأهل الفضل، وبالمعروف لأهل المعروف، وتذكّر أصدقاء الماضي وعدم نسيانهم. وفي هذا السياق ورد عن إحدى زوجات النبي ﷺ أنها قالت: دخلت على رسول الله ﷺ امرأة، فأتي رسول الله ﷺ بطعام فجعل يأكل من الطعام، ويضع بين يديها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يديك، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة، وإنّ حسن العهد أو حفظ العهد من الإيمان»<sup>(3)</sup>.

(1) مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مُسلم، ج4، ص1889، حديث رقم 78-2437، باب: 12- فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 3821، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

(3) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص14، حديث رقم 23، باب: مناقب خديجة رضي الله عنها.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخلت عليه امرأة كانت تدخل على داره أيام خديجة عليها السلام سرّ لرؤيتها. ومن المروى في هذا عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلتُ: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»<sup>(1)</sup>.

### رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ذمام خديجة عليها السلام

كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا وجد من بعض أزواجه خروجاً عن القدر الذي يُعذرن فيه يوقفهنّ على أخطائهنّ ويعاتبهنّ وربما هجرهنّ. ومن الشواهد على ذلك ما روته إحدى زوجاته، فقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناءٍ عليها، واستغفارٍ لها، فذكرها يوماً، فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوّضك الله من كبيرة السنّ، قالت: فرأيته غضب غضباً، أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنّي لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما لقيت قال: «كيف قلت؟! والله لقد آمنت بي إذ كذبتني الناس، ورزقت منها الولد...». قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً<sup>(2)</sup>. وفي هذا الحديث بيان واضح في أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان راعياً لذمام أمنا خديجة وحافظاً لعهدا.

وهناك ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ينافح عن خديجة عليها السلام في القول فقط بل كان يترجمه إلى أفعال، فقد روى أبو عبد الله بن أبي نجیح قال: أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزور ولحم، فأخذ عظماً منها فتناوله الرسول بيده، فقال له اذهب به الى فلانة، فقالت له إحدى زوجاته: لم غمرت يدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن خديجة أوصتني بها»، فغارت

(1) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج1، ص62، ح40، كتاب الإيمان.

(2) أبو بشر محمد بن أحمد الأنصاري الدولابي الرازي، الذرية الطاهرة، ج1، ص31، حديث رقم 19، طبعة:1، الدار السلفية، الكويت، وأخرجه بلفظ قريب أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج6، ص117+150-154، وكذا رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص13، حديث رقم 21، مناقب خديجة رضي الله عنها، وابن عساکر، تاريخ دمشق، ج3، ص195.

وقالت: لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة<sup>(1)</sup>، فقام رسول الله ﷺ مغضباً، فلبث ما شاء الله، ثم رجع فإذا أم رومان، فقالت: يا رسول الله ما لك ولفلانة إنها حدث، وأنت أحق من تجاوز عنها، «فأخذ بشدق عائشة»<sup>(2)</sup>، وقال: «ألست القائلة كأنه ليس على الأرض امرأة إلا خديجة؟! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك، ورزقت مني الولد وحرمتموه»<sup>(3)</sup>.

وفي مرة أخرى تجرأت إحدى زوجاته بالقدح بخديجة ﷺ مرة أخرى فقالت له ﷺ: «وهل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها، - تعني نفسها-؟»، فغضب النبي ﷺ، وقال لها: «لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقني إذ كذبتني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء»<sup>(4)</sup>.

والمتدبر في هذه الكلمات يلاحظ أنها من جوامع الكلم التي تدل على جلاله قدر السيدة خديجة عند رسول الله ﷺ وتبين عظيم دورها في تخفيف آلام الدعوة وشدائدها عن خاتم النبيين ﷺ. كما أن في هذا الحديث بياناً لعظم فضلها، وإلى أي مدى عرف لها النبي ﷺ قدرها ومنزلتها في حياتها، وحفظ لها ودّها وعهدتها بعد وفاتها، فصولات الله وسلامه عليها، وجزاها بفضلها وكرمه عن دينه ونبيّه خير الجزاء.

(1) أي: كأن خديجة أنستك النساء جميعاً، فأصبحت لا ترى غيرها في هذه الدنيا.  
(2) وفي رواية مجيء حسانة المزنية: فلما ذكر خديجة قلت: قد أبدلك الله من كبيرة السن حديثة السن، «فشدقني»، يراجع محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج1، ص426، طبعة:1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.  
(3) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، سيرة ابن إسحاق=السير والمغازي، ج1، ص244، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، ج2، ص424، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، 1412 هـ، بيروت، والموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، مقتل الحسين ﷺ، ص50-51، ونور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية، ج3، ص440، طبعة:2، دار الكتب العلمية، بيروت.  
(4) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجزي، الشريعة، ج5، ص2193، حديث رقم 1681، باب ذكر غضب النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها، وحسن ثنائها عليها، وابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب، ج4، ص1824، ترجمة رقم 3311، وأحمد بن حنبل، المسند، ج6، ص117، حديث 24908، طبعة: مؤسسة قرطبة، القاهرة، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات، ورواه ابن حجر في الإصابة، ج8، ص103، ترجمة رقم 11093، وابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص128، طبعة: دار الفكر، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد، ج9، ص224، إسناده حسن.

فحقيقٌ بنساءِ المسلمين أن يجعلنَ السيِّدة خديجة الكبرى ؑ نِراساً للحياة، يرتشفنَ من معينِ مآثرها، ويقتدينَ بها في الدين والخُلُق والانقياد التام لله ورسوله، فشموخُ المرأة وعزُّها في دينها، واتِّباع القدوة والأسوة التي يقدمها هذا الدين العظيم من خلال سابقة السابقين السيِّدة الغراء خديجة الكبرى ؑ.



## المفاهيم الأساسية

- لم يُعرف عن النبي ﷺ أنه حزن على أحد قطّ أشدّ من حزنه على فراق أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام، ولا أطال من ذكر أحدٍ قطّ بعد وفاته كما أطال ذكرها ﷺ، فما يكاد يخرج من البيت حتّى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها ولم يكن يسأم من كثرة الثناء عليها والاستغفار لها.
- كان النبي ﷺ يكثر ذكر أفضال خديجة عليها السلام عليه وعلى الاسلام فكان يقول: خديجة، وأين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذبتني الناس، وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها. إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنّة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب.
- أحبّ الرسول ﷺ السيّدة خديجة حبّاً لا مثيل له، وكان يراه من رزقه الذي منّ الله تعالى به عليه، فكان يقول إني قد رزقتُ حبّها.
- أحبّ رسول الله ﷺ كلّ من يحبّ خديجة وما تحبّه ﷺ، فكان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»، ويقول إني لأحبّ حبيبها.
- كان النبي ﷺ يصرّح ويعلن حبّه لخديجة وشكره الدائم لها، لا لاستثارة الضغائن في قلوب بعض زوجاته، بل إنّ ذلك كان لازماً عليه ﷺ لتقديمها كقدوة للنساء وتبيان عظيم أيادها وحسن جهادها.
- كان النبي يتأثر ويفرح ويسرّ إذا سمع صوتاً يشبه صوت خديجة، وكذا حصل عندما دخلت عليه أختها فنهض مسروراً وقال: اللهم هالة بنت خويلد.
- كانت بعض النساء يأتين ويلجأن إلى بيت النبي ﷺ وخديجة عليها السلام أيام حياتها، فتحسن لهنّ ﷺ، وقد أتى بعضهنّ إلى الرسول ﷺ بعد وفاة خديجة عليها السلام فكان يقبل عليهنّ ويسأل عن أحوالهنّ ويسرّ لذلك فإذا سئل عن ذلك كان جوابه: «إنّها كانت تأتينا زمن خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان».

## الدرس الرابع والعشرون:

### السيدة نسيبة بنت كعب (1)

#### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يتعرف إلى أسرة السيدة نسيبة رضي الله عنها وعائلتها.
- يبين إسلام السيدة نسيبة ومبايعتها الرسول.
- يذكر الأدوار المختلفة التي قامت بها السيدة نسيبة خدمةً للإسلام.



## تمهيد

المجاهدة الفاضلة نسيبة بنت كعب المازنية واحدة من رهط كريم أوقفن حياتهنَّ على خدمة الإسلام بكلِّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فهي امرأة تقيَّة نقيَّة، ارتدت ثوب العِفَّة والحياء، فأحاطها بهالة من الهيبة والوقار والإكبار إذ استطاعت أن تجمع بين الشجاعة والإيمان، وبين القوَّة والحياء مع زهد في نعيم الدنيا، وتوق دائم للقاء الله. وقد كانت وما تزال قدوةً لنساء الإسلام، وهي كذلك تذكرة دائمة للرجال أن من بين النساء مَنْ هي قادرة على أن تكون على قدم راسخة في الإيمان بالله، والاحتساب عنده، والتوكُّل عليه، وأن تكون نموذجاً فريداً من بين الخيرات اللواتي يمثِّلن نساء الرسالة، فهي صاحبة شجاعة امتازت بها عن الكثير من نساء عصرها ورجالهم، وقد حصلت نسيبة على رضا الله ورضا رسول الله ﷺ بتصريح النبي الأكرم ﷺ .

إنَّ السيِّدة نسيبة (أمَّ عمارة) تُعدُّ أمودجاً فريداً لمدرسة الأمومة التربويَّة التي بذلتُ تجاه أولادها عظيم الجهد، حين عكفتُ تُلَقِّنهم مفاهيم الإسلام، وتغرس فيهم محبة خير الأنام، وتحفِّزهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فأخذوا ينهلون من إيمان والدتهم التي رفعت لواءً تربوياً نالت به سبقاً في دور الأم المسلمة، ومدى تأثيرها على بناء الأجيال الناجحة، ولا أدلُّ على ذلك من نتاج تربيتها لولديها الشهيدَيْن رضوان الله عليهما.

## نسبها وأسرتها

اسمها هو نسيبة وأمَّ عمارة هي الكنية التي اشتهرت بها هذه المجاهدة الخزرجية (من قبيلة الخزرج) الأنصارية المدنية ذات الشخصية النادرة بين النساء قديماً وحديثاً.

أبوها هو كعب بن عمرو بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجّار. وبنو النجّار هم أحوال سيد العرب عبد المطلب بن هاشم عليه السلام جدّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وفيهم وُلد وأمضى طفولته قبل أن يخرج به عمّه المطلب بن عبد مناف إلى مكّة. وأمّ السيّدة نسيبة رضي الله عنها هي الرّباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد الخزرجية الأنصارية المدنية.

أما أخوة السيّدة أم عمارة، فأولهم: أبو الحارث عبد الله بن كعب المازنيّ (نسبة إلى بني مازن بن النجار) صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي شهد معه بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلّها، وكان مؤتمنًا على خمس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (1).

وثانيهم هو أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازنيّ، وقد شهد مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بدرًا وأحدًا وما بعدهما من المشاهد (2)، وهو أحد البكّائين السبعة الذين لم يقدرُوا على المسير إلى غزوة تبوك (3)، لقلة الزاد والراحلة يومئذٍ، وفيه وفي إخوانه نزل (4) قول الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّأُوا لِيَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (5).

### أزواجها وأولادها

تزوّجت السيّدة نسيبة من ابن عمها زيد بن عاصم بن عمرو المازنيّ، وهو ممّن شهد بيعة العقبة الثانية (6)، وله منها ابنان اثنان هما صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله وحبيب. ولمّا مات زيد بن عاصم، تزوّجها غزية بن عمرو من بني مازن بن النجّار، فولدت له تميمًا وخولة (7).

(1) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج3، ص981، طبعة:1، دار الجيل، بيروت.

(2) المصدر السابق، ج2، ص851، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج3، ص485، طبعة:1، دار الكتب العلمية.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص851.

(4) محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، والفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، عند تفسير هذه الآية من سورة التوبة، والواحدي، أسباب نزول القرآن، ج1، ص262، طبعة:1، دار الكتب العلمية.

(5) سورة التوبة، الآية 92.

(6) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، سيرة 1، ص256، طبعة:3، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(7) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص303، ترجمة رقم: 4549.

وفي غزوة أحد خرج أهل هذا البيت بأجمعهم إلى الجهاد في سبيل الله. خرجت نسيبة بنت كعب مع زوجها وولديها عبد الله وحبیب، وقد أبلوا جميعاً بلاءً حسناً. وروي أنّ النبي الأكرم ﷺ قد قال: «بارك الله فيكم أهل بيت»، وقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»<sup>(1)</sup>.

## أمّ الشهيدین

هي أمّ الشهيد حبيب بن زيد، صاحب رسول الله ﷺ الذي شهد معه بيعة العقبة وأحدًا والخندق، وغيرها من المشاهد، وهو الذي حمل رسالة النبي الأكرم ﷺ إلى مسيلمة الكذاب لما ادّعى النبوة، فلما سلّمه الرسالة قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال له: نعم، ثم قال له: أوتشهد أنّي رسول الله؟ فقال حبيب: أنا أصمّ لا أسمع. فعل ذلك مسيلمة مراراً، وكان في كل مرة لا يجيبه فيها حبيب إلى طلبه، يقطع من جسمه عضواً، وبقي حبيب محتسباً صابراً إلى أن قُطع إرباً إرباً<sup>(2)</sup>.

وروي أنّ مسيلمة الكذاب قطع يدي حبيب من المنكبين ورجليه من الوركين، ثمّ حرقه بالنار، وهو مع كل ذلك لا ينزع عن قوله، ولا يرجع عما بدأ به، حتّى مات حرقاً في النار، رحمه الله<sup>(3)</sup>.

وأما شهيدها الثاني، فهو عبد الله بن زيد صاحب رسول الله ﷺ. وقد عدّه بعض العلماء من أهل بدر، وكان من رواة الحديث النبوي الشريف، وهو الذي قتل مسيلمة

(1) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص314، وعنه شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص278-279، وابن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج14، ص268، طبعة:1، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، والعلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج20، ص133-134، وغيرهم.

(2) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري «عز الدين ابن الأثير»، أسد الغابة، ج1، ص675، ترجمة: 1049، طبعة:1، دار الكتب العلمية، وكل من ترجم لهذا الشهيد السعيد من أصحاب التراجم والسير.

(3) أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ، ج2، ص131، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكذاب بسيفه<sup>(1)</sup>، وكان من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولكن كل ذلك لم يشفع له رضي الله عنه، فقتله جنود يزيد بن معاوية مع ثلثة من صحابة رسول الله ﷺ يوم الحرّة سنة ثلاث وستين<sup>(2)</sup>.

### إسلام نسبية ومبايعتها للنبي ﷺ

كانت أمّ عمارة من أوائل أهل المدينة الذين دخلوا في دين الله تعالى لما بلغتهم الدعوة عبر سفير رسول الله ﷺ إلى يثرب مصعب بن عمير رضي الله عنه. وقد أتت مع زوجها في الثلث الأخير من الليل متيقظة للقاء النبي الأكرم ﷺ عند العقبة لتبايعه على السمع والطاعة. ومن يومها ذاك ما نكثت عهدها ولا نقضت بيعتها، بل جدّدتها يوم الحديبية، وكانت ممّن اشتركت في بيعة الرضوان أيضاً.

ويروي عبد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، أن أباه كعباً حدّثه، وكان ممّن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ قال: «.. بتنا تلك الليلة في رحالنا حتّى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ فنتسلّل مستخفين تسلل القطا، حتّى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساءنا نسبية بنت كعب أمّ عمارة إحدى نساء بني النجار، وأسماء بنت عمرو إحدى نساء بني سلمة وهي أمّ منيع..»<sup>(3)</sup>، ولم يكن هناك نسوة غيرهما قد بايعن بيعة العقبة الثانية.

ثمّ إنّ السيّدة نسبية لم تترك الإيمان مستقرّاً في القلب كحقيقة مجردة راکدة، وإمّا حوّلتها إلى حقيقة حيّة وعمل يبرهن على صدق الاعتقاد. فمنذ بايعت مولانا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية، ما نكثت عهدها ولا نقضت بيعتها، بل جدّدتها، وكانت

(1) المصدر السابق، وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص282، طبعة:3، مؤسسة الرسالة، بيروت، وبدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج17، ص221، طبعة: دار إحياء التراث، بيروت، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص97، طبعة: دار إحياء التراث، وغيرهم.

(2) البيهقي، دلائل النبوة، ج6، ص474، باب ما روي عن النبي ﷺ في إخباره بقتل أهل الحرّة، فكان كما أخبر، طبعة:1، دار الكتب العلمية- دار الريان للتراث، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص282، وغيرهم.

(3) العلامة المولى محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج19، ص24، طبعة:2، مؤسسة الوفاء، بيروت، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص303، ترجمة رقم: 4549، وجُل أصحاب السير.

ممن اشتركن في بيعة الرضوان، ومن ثم صلح الحديبية حيث أجرى الله تعالى على يدي النبي الأكرم ﷺ صلحاً بينه وبين أعدائه، وحصل بذلك للمسلمين الخير الكثير الذي استمر متصلاً بفتح خيبر وفتح مكة، وحصل لهم العز والنصر والرفعة؛ التي وعدهم الله تعالى بها إذ قال: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(1)</sup>.

### مشاركتها في أحداث الدعوة

حملت السيدة أم عمارة الرأية النسائية في كثير من المواقف والبطولات، وكانت منارة تحكي لنا واقعاً عملياً

لدور المرأة المسلمة في المجتمع الرسالي، فشاركت وأهل بيتها في مجمل أحداث الدعوة في فترتها المدنية، وكان النبي ﷺ يكرمهم، ويزورهم في بيتهم، ويأكل عندهم<sup>(2)</sup>. ومن المواقف التي شهدتها أم عمارة مع النبي الأكرم ﷺ معركة أحد، وصلاح الحديبية، وغزوة خيبر، وعمرة القضاء، وغزوة حنين<sup>(3)</sup>. وبعد وفاة النبي ﷺ شاركت في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وجرحت ثلاثة عشر جرحاً بالغاً، وقد قطعت يدها المباركة في ذلك اليوم المشهود.

وكما خطت نسيبة رضي الله عنها للمرأة المسلمة الشجاعة مثلاً راقياً، وشكلت أمودجاً تطبيقياً متوازناً للمسلمات اللواتي يتميزن بخصلة الشجاعة، فكانت المرأة الفاضلة المجاهدة، كذلك كانت الفقيهة المطالبة بكل خير، فقد روت أم عمارة جملة من الآثار النبوية، وقد روي أنها أتت النبي ﷺ، فقالت له: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُذكرن بشيء<sup>(4)</sup>، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَدِيعِينَ وَالْخَدِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

(1) سورة الفتح، الآية 19.

(2) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج 25، ص 30، طبعة: 2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، وحسين بن محمد تقي النوري، مستدرک الوسائل، ج 7، ص 364، طبعة: 1، مؤسسة آل البيت ﷺ، قم، عن درر الالئ لأبن أبي جمهور.

(3) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج 8، ص 303، ترجمة رقم: 4549، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج 8، ص 441.

(4) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ج 25، ص 32، طبعة: 2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.



وَالْمُتَّصِدَاتِ وَالصَّيْمِينَ وَالصَّيْمَتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا<sup>(1)</sup>. ومروي عن أم المؤمنين أم سلمة، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهما أنهما قالتا بقول نسيبة هذا، فكان قولهن السبب في نزول هذه الآية المباركة.

### ما بعد غزوة بدر الكبرى

عادت فلول المشركين إلى مكة كاسفة البال، مكتئبة النفس، حانقة الصدر تتجرّع غصص الهزيمة المرة التي لم تصب بمثلها في كل تاريخها. فغدوا يحقنون حقدهم وحشدوا وتهيأوا بكل ما أوتوا من قوة، وقصدوا المدينة المنورة، فكانت معركة أحد التي تقارب فيها الجمعان، وبدأت مراحل القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، فلما صاح: مَنْ يبارز؟

برز له أمير المؤمنين علي عليه السلام، فالتقيا بين الصّفين، فبدره عليّ ضرب به على رأسه حتى فلق هامته فوق، وهو كبش الكتبية، فسّر رسول الله ﷺ بذلك وأظهر التكبير، وكبر المسلمون وشدوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نقضت صفوفهم<sup>(2)</sup>، وقتل كل من حمل لواءهم، وأصبح لواء المشركين ملقى لا يجسر على حمله أحد.

قيل لنسيبة المازنية رضي الله عنها: هل كنّ نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن؟ فقالت: أعود بالله لا، والله ما رأيت امرأةً منهنّ رمت بسهم، ولا بحجر، ولكن رأيت معهنّ الدفاف، والأكبار يضربن، ويذكرن القوم قتلى بدر ومعهنّ مكاحل، ومراود، فكلمنا وليّ رجل أو تكعكع ناولته إحداهنّ مروداً ومكحلة، ويقلن: إنّما أنت امرأة، ولقد رأيتهنّ ولّين منهزمت مشمّرات، -ولها عنهنّ الرجال أصحاب الخيل، ونجوا على متون الخيل- يتبعن الرجال على الأقدام، فجعلن يسقطن في الطريق، ولقد رأيت هند بنت عتبة،

(1) سورة الأحزاب، الآية 35.

(2) محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي المدني، مغازي الواقدي، ج1، ص226، طبعة:3، دار الأعلمي، بيروت، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص31، والمقريري، في إمتاع الأسماع، والديار بكري، تاريخ الخميس، وغيرهم الكثير.

وكانت امرأة ثقيلة، ولها خلق، قاعدة خاشية من الخيل ما بها مشي، ومعها امرأة أخرى حتى كَرَّ القوم علينا فأصابوا منّا ما أصابوا، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>.

### بعض من معاناة النبي الأكرم ﷺ

بلغت الشدّة أن خلصت كتائب الشرك المتتالية قريباً من رسول الله ﷺ، «فرماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر أنفه ورباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأنّ عبد الله بن شهاب شجّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته...»<sup>(2)</sup>، فأثقله الألم بعد نزع الدم من وجهه الشريف. وفي خضمّ هذه المعاناة برز دور أبطال المسلمين من الثابتين حول رسول الله ﷺ كأُمير المؤمنين عليّ عليه السلام وحمزة، ومصعب بن عمير وأبي دجاجة، ونسيبة بنت كعب وأهل بيتها الكرام رضوان الله عليهم. وفي محطتنا القادمة سنستعرض أيضاً جملةً من مواقف السيِّدة نسيبة يوم أحد، ثم نذكر بقية المواقف العظيمة التي وقفها هذه السيِّدة الجليلة رضوان الله عليها.

(1) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج70، ص176،

(2) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج2، ص193، طبعة:1، دار الكتاب العربي، بيروت.

## المفاهيم الأساسية

- هي نسبة بنت كعب، وأم عمارة هي الكنية التي اشتهرت بها، وهي خزرجية أنصارية.
- أبوها هو كعب بن عمرو من بني مازن بن النجار، وأمها هي الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد الخزرجية الأنصارية المدنية.
- أخوا السيِّدة نسبية هما أبو الحارث صاحب رسول الله ﷺ الذي شهد معه بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها، وكان مؤتمنًا على خمس النبي الأكرم ﷺ، وثانيتها هو أبو ليلى وقد شهد مع النبي الأكرم ﷺ بدرًا وأحدًا وما بعدهما من المشاهد، وهو أحد البكائين السبعة الذين لم يقدرُوا على المسير إلى غزوة تبوك.
- تزوجت السيِّدة نسبية من ابن عمها زيد وهو ممن شهد بيعة العقبة الثانية، وله منها ابنان اثنان استشهدا فداءً للإسلام، حيث قتل مسيلمة الكذاب ولدها حبيبًا لما رفض الاعتراف به نبيًا، وقتل يزيد بن معاوية ولدها الآخر عبد الله في واقعة الحرة.
- ولما مات زيد بن عاصم، تزوجها غزية بن عمرو من بني مازن بن النجار، فولدت له تميمًا وخولة.
- كانت أم عمارة من أوائل أهل المدينة الذين دخلوا في دين الله تعالى لما بلغتهم الدعوة عبر سفير رسول الله ﷺ إلى يثرب. وقد بايعت بيعة العقبة وجدّدتها في يوم الحديبية وبيعة الرضوان.
- حملت السيِّدة أم عمارة الرّاية النسائية في كثير من المواقف والبطولات. وكانت منارة تحكي لنا واقعًا عمليًا لدور المرأة المسلمة في المجتمع الرسالي، فشاركت وأهل بيتها في مُجمل أحداث الدَّعوة.

- بعد معركة بدر، وانهزام المشركين، حشدت قريش قواها لمعركة أحد، وفي البداية كان الانتصار حليف المسلمين، ثم عصى الرماة رسول الله ﷺ ونزلوا عن الجبل فانهزموا.
- تكاثر الأعداء على رسول الله ﷺ وجرحوه ولم يثبت معه إلا الامام عليّ ﷺ وأقلّ من عشرة رجال، وكانت نسيبة رضي الله عنها ممّن ثبت وحامى عن رسول الله ﷺ.



## الدرس الخامس والعشرون:

### السيدة نسبية (2)

#### أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

- يذكر بعضاً من مشاركة السيدة نسبية رضي الله عنها في الغزوات.
- يتعرّف إلى بعض مآثر السيدة نسبية.
- يبيّن المواقف البطولية للسيدة نسبية رضي الله عنها وثباتها مع الرسول ﷺ في المعارك.



## دورها العظيم في غزوة أحد

من المعلوم أنه ليس في الإسلام على المرأة جهاد، إلا حينما يكون كيان الإسلام في خطر أكيد. وقد حصل هذا في آخر معركة (أحد) حيث كانت كتائب المشركين تترى واحدة تلو الأخرى لا همّ لفرسانها إلا قتل النبي الأعظم ﷺ. فبعد مقتل أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وبعد أن جرح رسول الله ﷺ توالى الهجمات التي تريد الإجهاز عليه ﷺ.

هنالك أدركت أم عمارة مدى الخطر الذي يتهدّد الإسلام، فألقت سقائها<sup>(1)</sup>، واندفعت مع أخوتها وأولادها وزوجها خلف أمير المؤمنين علي ﷺ والنفر الكرام المدافعين عن النبي ﷺ، فوقفت مع أولئك الأبطال الأشاوس في أعظم موقف للدفاع عن كيان العقيدة وقائد الإسلام، فسطروا بنباتهم حول النبي الأكرم ﷺ وذبّهم عنه أروع الملاحم الخالدة، وكان رائدهم فيها الصدق والإخلاص، صدق الإيمان والإخلاص في ما عاهدوا الله عليه، حيث تصوّر لنا السيّدة نسيبة تلك الحادثة فتقول رضي الله عنها:

«قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في نفر ما يتمون عشرة، وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه نذبّ عنه، والناس يمرّون به منهزمين، ورآني لا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً معه ترس، فقال لصاحب الترس: ألق ترسك إلى من يقاتل، فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ، وإنّما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل. لو

(1) كذلك السيدة صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ طرحت سقائها أرضاً، وهبّت كاللّبؤة التي هوجم أشبالها، ومضت تشقّ الصّفوف، وتضرب بالرمح الوجوه، فلما رآها النبي ﷺ مقبلةً خشي عليها أن ترى أخاها حمزة بن عبد المطلب وهو صريع، وقد مثّل به المشركون أبشع تمثيل، فأشار إلى ابنها الزبير بالحؤول بينها وبين مصرع سيد الشهداء.



كانوا رجالاً مثلنا أصبناهم إن شاء الله، فأقبل رجل على فرس فضربني وتترست له فلم يصنع سيفه شيئاً، وولّى. وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: «يا بن أمّ عمارة أمك أمك»<sup>(1)</sup>. قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شعوب<sup>(2)</sup>.

وكانت أم سعيد (جميلة) بنت سعد بن ربيع تقول: دخلت عليها (أي على نسبية)، فقلت حديثني خبرك يوم أحد. فأخبرتها<sup>(3)</sup>، ثم قالت فرأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قمية أقماه الله، وقد ولى الناس عن رسول الله، يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه، فكنت فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان<sup>(4)</sup>.

وكان يقول رسول الله ﷺ فيها: «لمقام نسبية بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان»<sup>(5)</sup>، وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً...<sup>(6)</sup>.

وقد جاءنا عن المصطفى الأكرم ﷺ ما يوفي بوصف حالها، ويخلد فضلها وبلاءها في ذلك اليوم العصيب، فروي عنه ﷺ أنه قال: «ما التفت يميناً ولا شمالاً، إلا وأنا أراها تقاتل دوني»<sup>(7)</sup>.

(1) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص304، ترجمة رقم: 4549، وابن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج14، ص267.

(2) شعوب: اسم من أسماء الموت كالمنية، أي: أوردته موارد الموت والهلكة.

(3) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج1، ص115، طبعة: 3، دار الكتاب، قم.

(4) عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، السيرة النبوية، ج2، ص81-82، طبعة: 2، مصطفى الباوي الحلبي وأولاده بمصر، وعنه السهيلي في الروض الأنف، وابن سيد الناس في عيون الأثر، وابن كثير في السيرة النبوية والبداية والنهاية، والمقريزي في إمتاع الأسماع، وشهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنية، والزرقاني في شرح المواهب، وغيرهم.

(5) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج1، ص116، طبعة: 3، دار الكتاب، قم، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص314، وعنه شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص278-279.

(6) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص314، وعنه شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص278-279، ابن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج14، ص266، والعلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج20، ص133-134.

(7) محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج8، ص305، ترجمة رقم 4549، طبعة: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج8، ص442، ترجمة رقم 12182، طبعة: 1، دار الكتب العلمية، وابن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج14، ص268، طبعة: 1، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، وغيرهم من أصحاب السير.

## أم عمارة من المبشرين بالجنة

قال عبد الله بن زيد بن عاصم: شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ، فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأنا وأمي نذب عنه، فقال: «ابن أم عمارة؟» قلت نعم. قال: «أرم». فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر، وهو على فرس فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت عليه منها وقرأ، والنبى ﷺ، ينظر يتبسم، ونظر جرح أمي على عاتقها، فقال: «أمك أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل البيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت، ومقام ربيك، يعني زوج أمه، خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت». قالت (نسيبة): ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»، فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا<sup>(1)</sup>.

## من مواقفها يوم أحد

روى ولدها عبد الله بن زيد، فقال: جرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى، ضربني رجل كأنه الرقل<sup>(2)</sup>، ولم يعرج عليّ ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله ﷺ: «اعصب جرحك»، فتقبل أمي إليّ ومعها عصائب في حقوبها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي، والنبى ﷺ واقف ينظر إليّ، ثم قالت: انهض بُني فضارب القوم، فجعل النبي ﷺ يقول: «ومن يطبق ما تطيقين يا أم عمارة!».

قالت (نسيبة): وأقبل الرجل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله: «هذا ضارب ابنك». قالت فأعترض له، فأضرب ساقه فبرك. قالت فرأيت رسول الله ﷺ يتبسم حتى رأيت نواجذه، وقال: «استقدت يا أم عمارة»، ثم أقبلنا نعلّه بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي ظفرك، وأقر عينك من عدوك، وأراك تارك بعينك»<sup>(3)</sup>. وكما لا يخفى فإن احتياط الجنود لحياة قائدهم أمر تحتمه الرغبة في نجاح المعركة

(1) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص305، ترجمة رقم 4549، وعنه الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص281.

(2) الرقل: النخلة الطويلة، يراجع النهاية، ج2، ص97.

(3) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص304 - 305.

والدعوة، وعلى القائد أن يقبل ذلك، لأنَّ في حياته حياة الدعوة، وفي فواتها خسارة المعركة. وقد رأينا كيف كان المؤمنون الصادقون والمؤمنات الصادقات يلتفون جميعاً حول قائدهم العظيم، ويحمونه من سهام الأعداء، بتعريض أنفسهم لها، ولم يعرف عنه ﷺ أنه أنكر ذلك مع شجاعته وتأييد الله له، بل أثنى على هؤلاء الملتفتين حوله، كما رأينا في ثنائه على نسيبة أم عمارة، ودعائه لها بأن تكون هي وزوجها وأولادها رفقاءه في الجنة.

## السيدة نسيبة في الغزوات

### 1. السيدة نسيبة وغزوة حمراء الأسد:

على الرغم مما أمَّ بنسيبة بنت كعب من جراح في معركة أحد، إلا أنها رضي الله عنها يظهر أنها كانت ممَّن يعالج جراحات أمير المؤمنين عليّ ﷺ حين انصرف ﷺ من أحد، وبه ثمانون جراحة يدخل الفتائل من موضع ويخرج من موضع.

ثم دخل الرسول ﷺ على عليّ ﷺ وبكى لما فيه ثم قال: «إنَّ أبا سفيان قد أرسل موعدة بيننا وبينكم حمراء الأسد»، فقال عليّ ﷺ: «بأبي أنت وأمي والله لو حملت على أيدي الرجال ما تخلفت عنك»، قال: فنزل القرآن ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>. وشكت المرأتان<sup>(2)</sup>، إحداهما نسيبة، إلى رسول الله ﷺ ما يلقي - عليّ ﷺ - وقالتا: يا رسول الله قد خشينا عليه مما تدخل الفتائل في موضع الجراحات من موضع إلى موضع، وكتمانه ما يجد من الأم<sup>(3)</sup>.

وبعد ما جرى لها في غزوة أحد حاولت السيدة أمَّ عمارة المشاركة في غزوة حمراء الأسد، ولكن حال دون ذلك القرع الذي أصابها، فإنه لما نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد شدت عليها ثيابها، ولكن نزت جراحها من جديد، فما استطاعت المشاركة من كثرة نزع الدم. ولقد مكث أهلها ليلتهم تلك يعالجون جراحها حتى أصبحوا، فلما

(1) سورة آل عمران، الآية 146.

(2) نسيبة بنت كعب المازنية، وأم سليم بنت ملحان، يراجع الشيخ المفيد، الاختصاص، ص158.

(3) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العسكري، الاختصاص، ص158، طبعة:1، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، والسيد علي بن موسى بن طاووس، سعد السعود، ص112، طبعة:1، دار الذخائر، قم.

رجع النبي ﷺ من الحمراء ما وصل إلى بيته حتى أرسل إلى أم عمارة شقيقها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسّر النبي ﷺ بذلك<sup>(1)</sup>.

## 2. السيِّدة نسيبة في غزوة بني قريظة:

بنو قريظة عشيرة من عشائر اليهود الثلاث الذين كانوا يسكنون المدينة، وهم الذين ظاهروا قريشاً في الخندق، وأعانوهم على حرب رسول الله ﷺ، فلما انتهت معركة الخندق ضرب النبي ﷺ عليهم حصاراً لبضع وعشرين ليلة، وقد شاركت السيِّدة نسيبة في محاصرتهم حتى جهد اليهود، وقذف الله في قلوبهم الرعب، لما صاح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «يا كتيبة الإيمان والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنه»، فقال اليهود: يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ<sup>(2)</sup>، وقبلوا التحكيم، وأسهم النبي ﷺ لنسيبة بسهم من الغنيمة مع نساء أخريات شهدن الغزوة.

## 3. السيِّدة نسيبة في غزوة خيبر:

في غزوة خيبر التي جرت في صفر من السنة السابعة للهجرة خرج رسول الله ﷺ بجيشه، ومعه نسوة، يسقين الجرحى، ويداوين المرضى<sup>(3)</sup>، وكانت من أوائلهن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية<sup>(4)</sup>. وقد شاركت رضي الله عنها في حصار اليهود الذين اتخذوا من حصون خيبر وكرأ لهم يدبرون منها المكائد ويحيكون المؤامرات ويوجهون الدسائس إلى قبائل العرب من خلال تحريضهم على حرب المسلمين، يدفعهم إلى ذلك الحقد المتأصل في نفوسهم للنبي ﷺ ودعوته، والغل في قلوبهم للإسلام والمسلمين، وغريزة الأخذ بالثأر لمن قُتل من بني قريظة.

(1) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص304، ترجمة رقم: 4549.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص240، وعنه السهيلي في الروض الأنف، وابن سيد الناس في عيون الأثر، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة، وابن كثير في السيرة النبوية والبداية والنهاية، والمقرئزي في إمتاع الأسماع، وصفي الرحمن المباركفوري في الرحيق المختوم، وغيرهم.

(3) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج44، ص567، حديث 1967 + 27017، طبعة: 1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(4) محمد بن عمر الواقدي، مغازي الواقدي، ج2، ص685.

ورُوِيَ عن الحارث ابن أخ نسيبة بنت كعب، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أعطاهَا يومَ خيبر خِزْرًا حمراءَ وضعته في رقبتهَا، وكذلك أعطى بقية النسوة اللواتي كنَّ معه، وجعل لهنَّ نصيباً من الفياء<sup>(1)</sup>.

#### 4. السَّيِّدَةُ نَسِيبَةُ يَوْمِ حُنَيْنٍ:

تميّزت أم عمارة بأعلى درجات الإخلاص لدينها، وشجاعتها في الذود عنه أوضح من الشمس في رابعة السماء. وقد تجلّى ذلك مرّةً بعد مرّةٍ، ففي غزوة حُنَيْنٍ كانت أم عمارة على رأس النسوة الأربعة اللواتي ثبتن مع الهاشميين التسعة، وأيمن ابن أم أيمن، وهم الذين لم يفارقوا رسول الله ﷺ يوم حُنَيْنٍ. «وكانت نسيبة رضي الله عنها تحثو التراب في وجوه المنهزمين، وتقول: أين تفرون عن الله ورسوله؟ ومر بها عمر، فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت، فقال لها: هذا أمر الله!!»<sup>(2)</sup>.

وتروي لنا أم عمارة رضي الله عنها طرفاً عن دَورِهَا في ذلك اليوم المشهود، فتقول: «لَمَّا كان يومُ حُنَيْنٍ، والناس منهزمون في كلِّ وجه، وأنا وأربعُ نسوة في يدي سيف صارم، وأمُّ سُليم قد حزمتُ وسطَهَا، وهي يومئذٍ حامل، وأمُّ سليط، وأمُّ الحارث، فجعلتُ أسلُّ السيف، وأصيح بالأنصار: آيَّةُ عادة هذه؟! ما لكم وللفرار؟! وأنظر إلى رجل مشركٍ من هوازن على جمل، معه لواء، يريد أن يوضع جملة في أثر المسلمين، فأعترض له فأضربُ عُرقوبَ الجمل، فوقع على عَجْزِهِ، وأشدُّ عليه، فلم أزلُ أضربُه حتَّى أثبتُّه، وأخذتُ سيفاً له، ورسول الله ﷺ قائمٌ مصلّتُ السيفَ بيده، قد طرح غمده، ينادي: يا أصحابِ سورة البقرة، وكَرِّ المسلمون...»<sup>(3)</sup>.

#### 5. السَّيِّدَةُ نَسِيبَةُ يَوْمِ الْيَمَامَةِ:

كان لها مع عمّار بن ياسر رضي الله عنهما الأثر العظيم في تحفيز المقاتلين يوم اليمامة، وفيه قُطعت يد نسيبة رضي الله عنها، فلم تبالِ بذلك حيث لم يكن لها همٌّ يومئذٍ إلا إيفاء

(1) محمد بن عمر الواقدي، مغازي الواقدي، ج2، ص688.

(2) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج1، ص287، العلامة المولى محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار ج21، ص150، طبعة:2، مؤسسة الوفاء، بيروت، من رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(3) محمد بن عمر الواقدي، مغازي الواقدي، ج3، ص903، غزوة حُنَيْن.

نذرها الذي نذرته يوم بلغها نبأ استشهاد ولدها حبيب<sup>(1)</sup>، ولا يتحقق ذلك إلا بالوقوف على مصرع مسليمة الكذاب.

وقد روت نسيبة ما جرى معها في ذلك اليوم لما سألتها أم سعد: يدك ما أصابها؟، فقالت نسيبة (رض): «أصيبت يوم اليمامة لما جعلت الأعراب تنهزم بالناس، نادى الأنصار أخلصونا، فأخلصت الأنصار فكنت معهم حتى انتهينا إلى حديقة الموت، فاقتلنا عليها ساعة حتى قُتل أبو دجاجة على باب الحديقة، ودخلتها وأنا أريد عدو الله مسليمة، فيعرض لي رجل فضرب يدي فقطعها، فوالله ما كانت ناهية ولا عرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولاً، وابني عبد الله بن زيد المازني يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته؟ قال: نعم، فسجدت شكراً لله عز وجل، وانصرفت»<sup>(2)</sup>.

وقد روي أن أم عمارة رضي الله عنها جُرحت يوم اليمامة اثني عشر جرحاً، وقُطعت يدها<sup>(3)</sup>، وفيما بعد كان الناس يأتونها بمرضاهم لتستشفى لهم، فتمسح بيدها الشلاء على العليل، وتدعو له، فقيل ما مسحت بيدها ذا عاهة إلا برئ<sup>(4)</sup>.

## وفاة نسيبة

كانت معركة اليمامة التي جرت أحداثها في ربيع الأول من السنة الثانية عشرة للهجرة آخر المعارك التي حضرتها أم عمارة رضي الله عنها. وبعد أن عادت إلى المدينة المنورة أخذت تمرُّ الليالي والأيام، والمرأة الجليلة عابدة زاهدة لا تبالي بكل ما أصابها في هذه الدنيا الفانية، فهي في خدرها راکعة ساجدة تعبد ربها حتى أتاها اليقين، فصعدت النفس المطمئنة إلى بارئها راضية مرضية يكللها قول الرسول ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»<sup>(5)</sup>.

(1) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة، ج6، ص546، حديث اليمامة ومن شهدها، رقم 33718، طبعة:1، مكتبة الرشد، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج2، ص18، ترجمة رقم 1589، والحافظ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج1، ص262، ترجمة رقم 874، طبعة:1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) الكلاعي الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ، ج3، ص61، العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج20، ص133، وعلي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبيّة، ج2، ص509، طبعة: دار المعرفة، بيروت.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص1948، ومحمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص303، ترجمة رقم: 4549.

(4) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، ج4، ص70، طبعة:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(5) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص305، ترجمة رقم 4549، وعنه الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص281.

وكان انتقالها للرفيق الأعلى في سنة 13 من الهجرة، ورقد جثمانها الطاهر في البقيع، إلى جوار مَنْ سبقها من إخوانها الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

رحلت أم عمارة وتركت لنا سيرةً تتلج صدر كلِّ مسلم، وتقرّ عينه حين يطالعها، ويتعرّف من خلالها على تلك المواقف المشرفة لهذه المجاهدة الفاضلة، والجنديّة المقاتلة التي نذرت نفسها للدفاع عن عقيدتها ضاربة أروع الأمثلة لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة في المجتمع الإسلاميّ إيماناً وثباتاً وتضحية، فكانت السيّدة نسيبة لؤلؤة في عقد نساء الرسالة اللّواتي ترَكْنَ لنا آثاراً هامّة لحركة التّلاحم الأُسريّ داخل المجتمع الإسلاميّ الأوّل. وما تزال أم عمارة قدوةً ملهمةً لكلِّ مخلص ومخلصة لدين الله، وكلِّ مُحَبِّ ومُحِبّة لرسول الله ﷺ.

## المفاهيم الأساسية

- شاركت السيِّدة نسيبة رضي الله عنها وعائلتها الكريمة في معركة أُحد، وكانت تسقي المجاهدين وتداوي الجرحى، ولمَّا انهزم المشركون وصارت حياة النبي ﷺ في خطر، اندفعت للذبِّ عنه ﷺ والمشاركة في القتال.
- جُرحت السيِّدة نسيبة ثلاثة عشر جرحًا في معركة أُحد وهي تقاتل دون الرسول ﷺ. وقد منعها جرحها ذلك من المشاركة في معركة حمراء الأسد التي دعا لها أبو سفيان.
- بشّر النبي ﷺ السيِّدة نسيبة وعائلتها بالجنَّة، ودعا لهم بأن يكونوا رفقاءه فيها.
- كانت السيِّدة نسيبة ممَّن داوى جراحات الامام عليٍّ ﷺ جرَّاء معركة أُحد.
- شاركت السيِّدة نسيبة رضي الله عنها في غزوة بني قريظة الذين أعانوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ، فكان لها سهم من الغنيمة مع أخريات شهدن الغزوة.
- شاركت السيِّدة نسيبة رضي الله عنها مع نسوة أخريات في غزوة خيبر، يسقين المقاتلين ويداوين الجرحى. وقد شاركت في حصار اليهود الذين اتَّخذوا من حصون خيبر وكرًا لهم وجعل النبي للنساء المشاركات نصيبًا من الفياء.
- وفي غزوة حنين كانت أم عمارة على رأس النسوة الأربعة اللواتي ثبتن مع الهاشميين التسعة، وأيمن ابن أم أيمن، وهم الذين لم يفارقوا رسول الله ﷺ يوم حنين. وكانت نسيبة رضي الله عنها تحثو التراب في وجوه المنهزمين.
- كانت السيِّدة نسيبة رضي الله عنها تحفِّز المقاتلين يوم اليمامة مع عمار بن ياسر، وفيه قُطعت يدها رضي الله عنها وجُرحت اثني عشر جرحًا، فلم تبالٍ ودخلت حديقة الموت ووقفت على مسيلمة الكذاب قد قتله ولدها عبد الله، فسجدت لله شكرًا وانصرفت.
- بعد معركة اليمامة عادت نسيبة إلى المدينة المنورة، وأخذت تمُرُّ الليالي والأيام، والمرأة الجليلة عابدة زاهدة حتَّى أتاها اليقين، فصعدت النفس المطمئنَّة إلى بارئها راضية مرضية في سنة 13 من الهجرة، ورقد جثمانها الطاهر في البقيع.





## مركز المعارف للتمهيد والتمتون التعليميَّة

مِنْ مَوْسَّسَاتِ جَمعيَّةِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ  
الثَّقَافِيَّةِ، مَتَخَصُّصِ بِإِعَادِ المَنَاهِجِ وَتَدْوِينِ  
المَتُونِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَفَقِ المُنَهْجِيَّةِ العِلْمِيَّةِ  
وَالرُّؤْيَا الإِسْلَامِيَّةِ الأَصِيلَةِ.

ISBN: 978-614-467-119-1



9 786144 671191



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

AL- MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

لبنان - بيروت - العمورة - الشارع العام  
تلفون: +961 1 476142 فاكس: +961 1 471070

[www.almaaref.org.lb](http://www.almaaref.org.lb)

Email: [info@almaaref.org.lb](mailto:info@almaaref.org.lb)